الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس

كليّة الآداب واللغات والفنون قسم: اللّغة العربية وآدابها

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تخصص: لسانيات عربية

الموسومة بـ:

المنجـز النقــدي اللسانـــي الجـزائـري في ترقيـة اللسانيـات العربيـــة عبد الجليل مرتاض أنموذجا

إعداد الطالب: بولنوار عمار إشراف الأستاذة الدكتورة: بوخاتمي زهرة

لجنة المناقشة:

• د. مهـاجي فايـــزة	– جامعة سيدي بلعباس.	رئيســـــا
• أ. د. بوخاتمي زهرة	– جامعة سيدي بلعباس.	مشرفا ومقررا
• أ.د. بن زحاف يوسف	– جامعة غليـزان.	عضوا مناقشا
• د. رحـال هشـــام	– جامعة غليـزان.	عضوا مناقشا
• أ. د. طيبـي أمينـــة	– جامعة سيدي بلعباس.	عضوا مناقشا
• د. مـرزوق محمـــد	– جامعة سيدي بلعباس.	عضوا مناقشا

السنة الجامعية :2021-2022


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى:

الوالدة حفظها الله

الوالد طيّب الله ثراه

الزوجة الكريمة والأولاد

إخوتي وأولادهم

وكل الأهل والأحباب

شكـر وعرفـــــان

الحمد لله أولا وآخرا على منه وكرمه وتوفيقه لنا بإتمام هذا العمل

ثم في هذا المقام أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذة الدكتور المشرفة بوخاتمي زهرة التي تفضلت بالإشراف على هذا العمل في هذه الظروف الصعبة وتحمّلها عناء القراءة والتوجيه والتصحيح فجزاها الله عنّي خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور لحسن بلبشير الذي أشرف عليّ في بداية إنجاز هذا العمل

وأتوجه بالشكر والعرفان لأعضاء اللّجنة الموقّرة الذين كلفّوا أنفسهم عناء قراءة هذه الرسالة قصد تقويمها وتعديلها، كذلك الشكر موصول إلى السيدة مديرة المختبر الأستاذة الدكتورة طيبي أمينة، وأعضاء لجنة التكوين وأساتذتي وزملائي، وإلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل وأخص بالذكر الدكتور سي أحمد عبد القادر.

المقـــدمـــــــة

ظهر الفكر النَّقدي اللِّساني في مطلع القرن العشرين من رحم اللِّسانيات حيث ترعرع في أحضانها واتخذها مرجعا في نقد وتحليل الخطاب، إذ فرض نفسه في الساحة النَّقدية بأدوات إجرائية علمية مميزة، ومصطلحات خاصة مبتكرة، ونماذج تحليلية وفقت إلى حد كبير في تحليل ونقد الخطابات بكل أنواعها، وهذا بالتركيز على اللُّغة في المقام الأول، مع مراعاة خصوصية كل خطاب.

لقد تطور النَّقد الأدبي تطورا سريعا تماشيا والإنتاج الأدبي بمختلف أجناسه، وكذا بتطور اللِّسانيات وتعدد مدارسها وانتشارها في مشارق الأرض ومغاربها، فعملت على تحليل النُّصوص والخطابات وفق مرجعياتها الفلسفية والفكرية والعلمية، كل ذلك وفق أدواتها الإجرائية الخاصة.

أجمع العلماء على أن اللِّسانيات هي الدِّراسة العلمية العميقة الدقيقة للغة، القائمة على وصف وبناء النَّماذج والقوالب وتحليلها وكشف قوانينها والعلاقات القائمة بين العناصر المكونة لها وتتبع تفاعل هذه العناصر المكونة لبنية النص الواحد، وأن النَّقد هو فن تحليل وتقويم النُّصوص والخطابات بكل أنواعها الأدبية والسياسية والفنية والدينية وغيرها على أسس علمية وجمالية، فمن هذا نتج اقتران الدراسات النَّقدية بالدراسات اللِّسانية، فأضحى النَّقد مرتبطا ارتباطا وثيقا باللِّسانيات، وذلك بالاعتماد على نظرياتها العلمية الدَّقيقة، فنشأت اللحمة بين التَّأويل النَّقدي والتحليل اللُّغوي العلمي، فنتج عن هذا الاقتران ما يعرف باللِّسانيات النَّقدية التي انفتحت على العلوم الأخرى ذات الصلة كالفلسفة، والتاريخ، وعلم الاجتماع وعلم النفس والسياسة وغيرها وأصبحت تتقبل وجهات نظرها الخاصة، وكان هذا كله وفق مراحل عديدة.

إن من المهام الأساسية للسانيات الحديثة هي الوصف والتأريخ لجميع اللغات التي تعمل عليها، مما مكنها من الربط بين الأصول اللغوية والكشف عن القواعد الفاعلة في جميع هذه اللغات، والتي يمكن الرجوع إليها كقوانين ثابتة ومن هذه اللُّغات اللُّغة العربية بكل لهجاتها .

والحال أنه لا يمكننا الحديث عن نقد أدبي في بداية القرن الواحد والعشرون بعيدا عن اللِّسانيات، فكل عامل في الساحة النَّقدية إلا واستعان بنظرية من النَّظريات اللِّسانية الحديثة وجعلها مرتكزا لدراسته النَّقدية .

لقد حاول علماء اللِّسانيات دراسة الخطاب من منطلق أن اللِّسانيات هي الدراسة العلمية للغة، وأن هذه الأخيرة هي المكون الأساسي لأي خطاب مهما كان نوعه، ومهما كان موطنه، على الرغم من خصوصية كل لغة، لهذا وجدنا عددا من الدَّارسين والباحثين العرب عامة والجزائريين خاصة من انتهج النَّقد اللِّساني في تعامله مع مختلف الخطابات.

ونظرا لطبيعة مشروعنا هذا ارتأينا الوقوف على أعمال علم من أعلام الجزائر وهم كثر والحمد لله، وقد تركوا تراثا ضخما يستحق الوقوف عنده وإظهاره بالبحث والتنقيب، وقد جاء هذا البحث ليسجل الجهود النَّقدية اللِّسانية لعلم من أولئك الأعلام والذي أنجز رصيدا علميا وأثرا مشهودا في خدمة اللغة العربية، ذلك هو **الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض**، والذي بذل جهدا علميا كبيرا في إحياء علوم اللُّغة العربية، وتلقي النَّظريات اللَّسانية الغربية، وتطبيقها على المدونة العربية مع مراعاة خصوصية اللغة العربية، كما نجده قد اهتم بتصنيف القواميس اللُّغوية المختصة، وكتابة الروايات والقصص الأدبية، فقد تنوعت أعمال الرجل بين التأليف والترجمة والتحقيق والنَّقد والإبداع، فهو عالم موسوعي المعرفة، محيط بالتُّراث اللغوي والبلاغي والأدبي العربي، واضح الأسلوب في التصنيف والكتابة، خدم اللغة العربية بجد وإخلاص وتفاني، تشهد على ذلك كتبه العديدة المتنوعة، ودراساته الجادة المتأصلة التي أصبحت منهلا للباحثين يأخذون منها ويفتخرون بها، وخاصة كتابه اللُّغة والتَّواصل الذي يعد من أهم كتبه التي لقيت رواجا في أوساط الباحثين العرب.

لذلك حاولنا من خلال هذا البحث استشراف آفاق جديدة في الدَّراسات النَّقدية اللِّسانية الجزائرية المعاصرة تتجاوز الأنماط التقليدية الشائعة في الدِّراسات الحديثة، وخاصة التي غرقت في تتبع الجزئيات وابتعدت عن الدِّراسات الشاملة والواسعة التي تستند على الرؤية الواضحة والآفاق البعيدة.

من هذا المنطلق ستكون دراستنا منصبة على المنجز النَّقدي اللِّساني للدكتور عبد الجليل مرتاض، وأثره في ترقية اللِّسانيات العربية، وذلك بتتبع طرائق تطبيق عالمنا للنظريات الغربية على النصوص العربية مع محاولة الكشف عن ملامح التجديد في الدرس اللِّساني العربي والكلام عن نظرية لسانية عربية قائمة بذاتها توازي النَّظريات الغربية .

فكانت دراستنا هاته موسومة بـ "**أثر المنجز النَّقدي اللِّساني الجزائري في ترقية اللِّسانيات العربية – عبدالجليل مرتاض أنموذجا–**"، ولأجل إنجاز البحث يمكننا أن نطرح الإشكالية التالية:

كيف تلقى عبد الجليل مرتاض المناهج النقدية اللسانية الغربية؟ وجعلها مرتكزا لبناء منجزه النقدي

وفيما تكمن أهمية المنجز النقدي اللساني الذي جاء به عبد الجليل مرتاض؟

وما مدى إسهام منجزه النقدي في ترقية اللسانيات العربية؟

إننا من خلال هذه الدراسة لا نسعى إلى تتبع كل ما جاء به عبد الجليل مرتاض، وإنَّما سنركز على هدف محدد وهو الدراسات النَّقدية اللِّسانية التي كان لها دور كبير في الارتقاء باللِّسانيات العربية، من خلال تعزيز الرَّوابط الإجرائية التطبيقية والمفهومية بين اللِّسانيات الغربية ودرسنا اللِّساني العربي القديم والحديث، ومحاولة تفعيل تبادلهما الوظيفي على المستوى النَّظري والتَّطبيقي في منجزه العلمي.

وكانت هناك عدَّة أسباب لاختيار هذا البحث، منها موضوعية وأخرى ذاتية والثالث جامع بينهما بحكم المشروع والتخصص.

– أولا الموضوعية: كون أنَّي أطمح إلى كشف ما جادت به قريحة العلماء الجزائريين في مختلف الدِّراسات اللُّغوية واللِّسانية والنَّقدية ومنهم الدكتور عبد الجليل مرتاض.

– ثانيا الذاتية: هي محاولة استكمال مساري العلمي بهذه الدِّراسة الجامعة بين علمي اللِّسانيات والنَّقد بحكم تكويني في الصوتيات في اللسانس، وفي الدلالة وتحليل الخطاب في الماستر، فحاولت الجمع بين الدِّراسات اللِّسانية وعلم النَّقد من خلال علم من أعلام الجزائر وهو عبد الجليل مرتاض الذي ارتقت أعماله إلى الوطن العربي فأصبح مرجعا لكثير من الدِّراسات الرائدة.

– الثالثة هي انتمائي إلى مشروع اللِّسانيات العربية والذي من أهدافه الرئيسية كشف الدِّراسات الجزائرية الحديثة المتخصصة ومحاولة تثمينها، ومنها هذا المنجز – أعمال عبد الجليل مرتاض– لما له من قيمة علمية ومعرفية.

العمل على إثراء المكتبة بمثل هذه الأعمال التي تميط اللثام عن – منجزات عبد الجليل مرتاض– التي كان لها الفضل في تطبيق المنجز النَّقدي الغربي على الإبداع العربي مع مراعاة الخصوصية العربية والثقافية، تنظيرا وتطبيقا.

ومن خلال هذه المعطيات، وبناء على ما تقدَّم عرضه من إشكالات عملنا على تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة فصول مهدنا لها بمدخل، وسبقت هذا كله بمقدمة.

ففي مدخل البحث تطرقنا إلى عدة مفاهيم منها مفهوم المنجز في الأعمال العلمية والأدبية، وماهية اللِّسانية والنَّقد والعلاقة القائمة بينهما، كما قدَّمنا إطلالة سريعة حول اللَّسانيات العربية وإشكالية المصطلح.

أما الفصل الأول فقد تناولنا فيه البنوية وتجلياتها في خطاب عبد الجليل مرتاض النقـدي وقسمناه إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول كان حول الفكر البنيوي أصوله ومرتكزاته، والمبحث الثاني حول الأسس اللِّسانية للنظرية البنيوية، وخصصنا المبحث الثالث للتطبيقات البنيوية عند عبد الجليل مرتاض .

ويأتي الفصل الثاني الذي تطرقنا فيه إلى المناهج النسقية الحداثية وما بعد الحداثة، والذي قسّمناه بدوره إلى ثلاثة مباحث، حيث خصصنا المبحث الأول للأسلوبية، قدمنا فيه مفهوم الأسلوب والأسلوبية عند عبد الجليل مرتاض، وكذا أنواع الأسلوبيات الفرعية عنده، وكان المبحث الثاني حول التناص – الماهية والمصطلح- وتطبيقاته عند عبد الجليل مرتاض، أما المبحث الثالث فكان مخصصا للسيميائية حيث حددنا مفهومها ومصطلحاتها المتعددة، ودرسنا فيه علاقة هذا العلم بعلم الدلالة، وقدمنا دراسات تطبيقية لعبد الجليل مرتاض حول سيميائية العلامة الإشهارية.

أما الفصل الثالث فكان مخصصا للنظريات اللِّسانية المعاصرة في تحليل النصوص، وقسمناه إلى أربعة مباحث: المبحث الأول خصصناه للقراءة والتلقي، وقدمنا فيه الأصول الأولى لهذه النظرية وكذا منطلقات عبد الجليل مرتاض في التَّنظير لهذا العلم الحديث، والمبحث الثاني كان لعلم النص، الذي يعد من بين أحدث المناهج التي تميزت بالدقة والوضوح، وتطرقنا فيه لآليات تحليل النُّصوص عند عالمنا من منظور هذا العلم، أما المبحث الثالث فخصصناه للسانيات الجغرافية واللهجات، والتهجين اللغوي، وعلم اللهجات الأدبي الذي استحدثه عبد الجليل مرتاض وأسس له، وحاول وضع اللبنة الأساسية والمرتكزات التي يقوم عليها هذا العلم، وكان المبحث الرابع تحت عنوان النقد اللساني التكاملي، الذي يعد كاستنتاجات خاصة بآليات تفاعل كل المناهج التي سبقت تحت منهج واحد وبأدوات إجرائية موحدة.

وخاتمة جمعت فيها النَّتائج المتوصل إليها، ثم ملحق تطرقت فيه إلى السيرة الذاتية لعبد الجليل مرتاض وأهم كتاباته العلمية والأدبية.

وقد اتَّبعنا في بحثنا هذا المنهج الوصفي وذلك لتتبع المنجز العلمي التطبيقي لعبد الجليل مرتاض ومقارنته بما جاءت به النَّظريات النَّقدية اللِّسانية الحديثة .

كما اعتمدنا في عملنا على مراجع علمية متخصصة في اللِّسانيات والنَّقد، وركزنا على مؤلفات عبد الجليل مرتاض بحكم أنها المصدر الأساس لعملنا هذا ومنها: اللِّسانيات الأسلوبية، البنية اللِّسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، التناص، اللغة والتواصل، في عالم النص والقراءة، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، الروافد اللِّسانية لتحليل الخطاب، التحليل البنيوي للمعنى والسياق، البنية السردية في الإبداع الروائي، وغيرها من المصادر والمراجع التي بنينا عليها هذا العمل.

أما الدراسات السابقة التي عثرنا عليها فكانت جلها عبارة عن رسائل علمية أكاديمية (ماجستير ودكتوراه)، ومقالات في مجلات محكمة وأيام دراسية، عالجت في مجملها مواضيع جزئية متخصصة حول أعمال الرجل، خاصة في مجال اللِّسانيات الجغرافية واللهجات.

وكما هو الشأن في كل البحوث العلمية فقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات والعوائق منها قلَّة المراجع التي تناولت البحث والباحث بجدية وشمولية، وكذا تشعب وعدم توحيد المصطلح حيث أضحى هذا العامل يؤرق كثير من الباحثين والمختصين.

بولنـــوار عمـــــــار

سيدي بلعباس في 01 جوان 2021

المدخـــل: النقـد واللسانيـــات

تتمحور المفاهيم الأساسية المشكلة للركائز التي ستنبني عليها فكرة هذا البحث حول مفهوم المنجز في الدراسات العلمية والأدبية، وحول علمي اللسانيات والنقد والعلاقة القائمة بينهما، وكذا في مفهوم اللسانيات العربية وروافدها وإجراءاتها التطبيقية.

مفهـوم المنجــز:

المنجز في الدراسات العلمية والأدبية يعود إلى ما تفرد به ناقد أو باحث من كتابات وأعمال ودراسات وأفكار، يهدف من خلالها إلى " الخرق والتجاوز إلى صياغة المنجز بوصفه نصا نقديا يطمح إلى بلورة فكرة عامة تمنح المنجز شرعيته وأصالته وتفرده، وهذا المنجز له علاقة وثيقة بالذات الكاتبة، فكلما كانت الذات حاضرة بوضوح، خطى المنجز خطوات واثقة باتجاه الوصول والتفرد والتحقق"[1]، وهذا ما وجدناه في الكاتب والباحث والعالم الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض، الذي تفرد في كتاباته نوعا وكما، وقد تشعبت كتاباته وتنوعت في عدة مجالات، كالدراسات اللسانية، والدراسات النقدية، والدراسات الأدبية، وتأليف القواميس وكتابة الرواية، فكل نوع من هذه الكتابات حاول التجديد فيه وفق رؤية خاصة بما يراه مناسبا لمجتمعه وثقافته وخصوصيته العربية عامة والجزائرية خاصة .

فكتابات عبد الجليل مرتاض لم تكن من أجل الكتابة فقط، أي أنها لم تكن كتابة من أجل الترفيه وتسجية الوقت، وإنما هي "مجال تجلى فيه وعي الكاتب بمختلف الأجناس الأدبية وبوظيفة اللغة والشكل في تحريك وتغير المقاييس الجمالية، إنها تمثل جماع تفاعل وعي الكاتب مع شروطه التاريخية، أسئلة ذاته المنقسمة داخل مجتمع يمور بالفوارق والصراعات والاستلابات، الكتابة أقرب ما تكون إلى استراتيجية الكاتب في اتخاذ موقف من عصره ومجتمعه عبر الاستتيقا وإعادة تأويل القيم من زاوية تزاوج بين توضيح الذات وتذويت المجتمع بين التمثل الواعي ومكونات اللاوعي"[2]، وهذا معناه أن عبد الجليل مرتاض لم تكن كتاباته من العدم، وإنما أراد من خلالها

[1] أحمد شهاب، تحليل الخطاب النقدي المغامر، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2015، ص94

[2] محمد برادة، الرواية العربية وراهنات التجديد، مجلة دبي الثقافية ط1، 2011، ص32

تطويع ما توصل إليه الغرب وفق نظرة تتماشى وخصوصية مجتمعه الجزائري العربي، بجميع تناقضاته الفكرية والأيدولوجية.

اللسانيات:

تعد اللسانيات عند بعض الدارسين "التعبير المقابل عربيا لكلمة Linguistics، بالإنجليزية، وقد ترجمها بعضهم بكلمة أخرى هي علم اللسان، وبأخرى هي علم اللغة العام، وبأخرى هي الألسنية، اللسانية واللغويات، وليس العبرة بالاسم وإنما العبرة بالمفهوم فاللسانيات أيا كان التعبير المستخدم في وصفها هي: الدراسة العلمية للغة من حيث هي لغة دراسة مستقلة عن العلوم الأخرى"[1]، وقد ظهرت كعلم قائم بذاته في مطلع القرن العشرين، بعدما نادى العالم اللساني السويسري دي سوسير بوجوب استقلالية اللسانيات، وأن يكون موضوعها الأساس هو اللغة ودراستها لذاتها ومن أجل ذاتها.

لقد اتسع مجال اللسانيات اتساعا كبيرا في السنوات الأخيرة ليشمل عدة جوانب كاللسانيات التاريخية، واللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسية والحاسوبية والتداولية ولسانيات النص، وغيرها من العلوم والمجالات، وبهذا اتخذ الفكر النقدي اللساني لنفسه "مبدأ أوليا وهو أنه أيا كان الأدب فإنها لحقيقة بأن النصوص التي تعد أدبا ما هي في كل الأحوال إلا لغة، لذا فإنا لنا أن نعد أي شيء تخبرنا به اللسانيات عن اللغة بالمعنى الواسع لكلمة اللغة قابلة للتطبيق على النصوص الأدبية "[2]، لأن إشكالية القراءة والتأويل والتفسير تعود إلى ما تحمله اللغة من معاني، والتي تختلف حسب ترتيب الحروف والكلمات وتوزيعها في النص، وهذا من اختصاص اللسانيات والمفاهيم اللغوية، لكن بعض الدراسات النقدية الحديثة حاولت إخراجها من مجال اللسانيات إلى مجالات أخرى.

[1] إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار الميسرة للنشر والتوزيع، ط3، عمان، 2015م، ص: 15

2 روجير فاولر، النقد اللساني، تر: عفاف البطينة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1،2012 ، ص: 383

النقــد:

لقد مُورس النقد منذ القدم عندما كان نقدا انطباعيا ثم تطور تطورا مستمرا عبر العصور المختلفة، حتى صار على ما هو عليه الآن، وقد أُختلف في تحديده وتباينت الآراء حوله بين مختلف الدارسين، حيث يرى بعضهم أن النقد "هو ضرب من النشاط هاجسه الجمع بين الملاحظة العلمية الدقيقة، والانطباع الذوقي المرهف"[1]، بمعنى إخضاع الانطباع النقدي الذوقي إلى العلمية الموضوعية وفق الأدوات الإجرائية لكل منهج، وقد تساءل معظم الدارسين عن طبيعة وطريقة ممارسة النقد منذ الأزل "فمنذ أفلاطون، وأرسطو، ومرورا بكثير من النقد لدى العرب والغربيين والشرقيين، وانتهاء بأحدث مدارس النقد، ومناهج النظر في الأدب، ثمة هاجس يشغل النقاد هو: أي المناهج أكثر دقة في فهم النص الأدبي؟"[2]، وتحليله تحليلا شاملا وتكون منه الغاية المرجوة في فهم النص ومعرفة دلالته ومقاصده.

لذلك نجد كل واحد قد اجتهد بحسب رأيه ومعرفته "فالرومانسيون رأوا في الرّبط بين الذات، والنص، أقرب الطرق لفهمه وتذوّقه ونقده، فيما رأى النفسيون أن البحث في الدوافع، فردية كانت أو جماعية، من المؤلف أو القارئ، أقربها إلى سبر غوره، فيما ذهب الاجتماعيون، والاقتصاديون والسياسيون، إلى غير هذا، فعنوا بالقارئ ومتطلباته ورأوا في معرفة هذه المتطلبات، وانعكاسها في النتاج الأدبي، طريقا ممهّداً لتقويم ذلك النتاج، وتحليله، ودراسته"[3]، وهي رؤية خاضعة للخلفيات الفكرية والفلسفية لكل فئة، أما مهمة الناقد فـ"هي البحث في الأعمال الأدبية عمّا يؤيد صحة هذا الرأي، والأعمال الأدبية لا تسوغ دراستها باعتبارها أبنية فردية وإنما هي جزء من بنية شمولية، ولمعرفة السياق الزمني والتاريخي دورٌ غير هيّن في الوصول إلى فهم أعمق وأدق للأدب"[4]، الذي لا تخرج بنيته الشكلية عن استعمال اللغة، كونها هي المكون الأساسي لأي نص

[1] إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث، من المحاكاة إلى التفكيك، دار الميسرة للنشر والتوزيع، ط5، عمان، 2015م، ص: 249

[2] إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث، من المحاكاة إلى التفكيك، ص: 249

[3] المرجع نفسه، 249

4 المرجع نفسه، 249

كان، لذلك فهو يخضع في الدراسات الحديثة إلى علم اللسانيات، ونقده نقد لساني لامحالة، ولا نعلم نقدا غير النقد اللساني.

علاقة اللسانيات بالنقد:

تعددت فروع اللسانيات وتشعبت مما خلق اختلافا في غاياتها وأهدافها، وفي نظرتها إلى الأدب وآليات قراءته، لذا وجدنا "رومان ياكوبسن يعيد بناء موضوع الشعرية اعتمادا على تصور لساني منفتح انطلاقا من لحظة اللقاء بين اللسانيات ونظرية التواصل، التي اكتشف تقاطعاتها ومشاكلها، والتي مكنت من صياغة نموذج تواصلي لفظي يضم المكونات الأساسية لكل فعل تواصلي، من خلال هذا النموذج اكتشف وظائف لغوية متنوعة، وبالتالي فتح آفاق واسعة للبحث اللساني قصد دراسة الأنماط والرسائل اللفظية المختلفة"[1]، فمن هنا تنطلق علاقة اللسانيات بالأدب بعامة والشعرية بخاصة، وقراءته النقدية كونه موضوعا للتواصل.

لقد دافع ياكبسون عن وجوب ربط الدّراسات اللسانية بالأعمال الأدبية والشّعرية خاصة، ويرى أنّه " إذا كان للشاعر رانوم الحق – وله الحق- في اعتبار الشّعر نوع من اللغة، فإن اللساني الذي يكون مجال دراسته كل أشكال اللغة يمكن ويجب أن يدرج الشّعر في أبحاثه، وقد بينت الندوة الحالية بوضوح أن الزمن الذي كان فيه اللسانيون ومؤرخو الأدب معا يتجنبون قضايا البنية الشّعرية هو زمن قد ولّى، لحسن الحظ، وفي الحقيقة كما يقول هولاندر يبدو أنه لا وجود لأي سبب لمحاولة فصل الأدب عن القضايا اللسانية عموما، وإذا كان هناك نقاد لا زالوا يشككون في كفاءة اللسانيات على أن تشكل مجال الشعرية، فإنني شخصيا أفكر أن عدم كفاءة اللسانيين ذوي الأفق الذيق في مجال الشعرية لا يعني عدم كفاءة العلم اللساني ذاته، ومع ذلك فإن كل واحد هنا قد فهم بشكل نهائي أن لسانيا يصم آذانه عن الوظيفة الشعرية للغة، كما أن عالما في الأدب غير مبال بالمشاكل اللسانية وغير مطلع على المناهج اللسانية يعتبران على حد سواء

.

1 عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل، دار الحوار، سوريا، ط1، 2003،ص46

صورة لمفارقة تاريخية صارخة"[1]، هذا بالنسبة للشّعرية، وينسحب هذا على بقية الأجناس الأخرى، والتي يجب على اللساني معرفة ضوابطها ومرتكزاتها، وآليات نسجها وعوامل التواصل فيها، فهذا النص يلخص ويثبت علاقة اللسانيات بالأدب والنقد.

وعلى الرغم من هذا حاول بعض النقاد المشكّكون والمعادون والرافضون لاستخدام اللسانيات في النقد الأدبي تحريف اللسانيات كعلم، "وقدموها على أنها ضرب من ضروب الآلية اللا- إنسانية القادرة فقط على تفكيك الأعمال الأدبية بلا حساسية ولا شعور، وهذا رسم كاريكاتوري مضلل عن النقد اللساني"[2]، تبدد وتغير بمرور الوقت.

لقد انتقلت هذه النظرة إلى الدراسات اللغوية العربية، وظهر ما يسمى بالنقد العربي الجديد "الذي بدأ مساراته الأولى من نهاية الستينيات، وتطور مع تطور دراسات علم اللغة الحديث واللسانيات واستثمارها في إعادة قراءة النصوص الأدبية، فإن هذا الواقع الجديد أفرز عددا كبيرا من الدراسات والأبحاث التي تستلهم النقد الجديد"[3]، ولا نقصد هاهنا بالجديد النقد الذي ظهر سنة 1911 بصدور كتاب 'النقد الجديد ' لجون سبنجارن، وإنما نقصد النقد الجديد الذي يعتمد في تحليله للنصوص على اللسانيات الحديثة.

اللسانيات العربية :

تعددت الآراء النقدية حول مفهوم اللسانيات العربية، حتى وصل الأمر إلى التشكيك في هذا المنجز وطرح تساؤل، هل هناك حقا لسانيات عربية تصل إلى حد المقارنة بينها وبين اللسانيات الغربية؟

إن هذه المقارنة خلقت تذمرا عند بعض الدراسين حتى رأوا أن اللسانيات العربية ما هي إلا تطبيق حرفي للنظريات الغربية، وما وصلت إليه مدارسها اللسانية المتعددة، ولم تصل بعد إلى

1 رومان ياكوبسن، قضايا الشعرية، ص 61

2روجير فاولر، النقد اللساني، ص:3

3 عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2008، ص05

النضج المعرفي العام، خاصة أن بعض الباحثين العرب اقتصر على دروس دي سوسير وجعلها "المرجع الأساس في فهم هذا العلم الجديد وإفهامه إلى طلبتهم، غير أن ثنائية الفهم والإفهام لم تكن مكتملة الشروط، ومنها تناسي جهد الماضي ومحاولة غرس فسيلة دون جذورها، لذلك انتابها شيآن غموض وقصور، غموض في الفهم وقصور في الإفهام حتى قيل: إن ما كتبه سوسير لهو أبين وأبسط وأوضح من شروحهم وهذه حقيقة لا مناص منها، فمن غمض عليه فهمه، قصر عليه إفهامه"[1]، خاصة من لم يكن له معرفة تامة بالدرس اللغوي العربي القديم والحديث، حتى يتسنى له استنباط مفاهيم اللسانيات الحديثة ومقارنتها بالرصيد العربي القديم، كي يتبين له أن جل مفاهيم النظريات اللسانية الغربية مبثوثة في هذا المنجز العربي القديم بمصطلحات تراثية أصيلة.

وفي المقابل هناك من يرى أن اللسانيات العربية قد قطعت شوطا هاما في التنظير والتطبيق وصناعة المصطلح، وقد مكنها هذا من تحديد إطارها العام الذي تشتغل فيه، بمفاهيم خاصة وأدوات إجرائية محددة وواضحة وقابلة للتجربة والقياس، وبهذا تحدد مفهوم اللسانيات العربية الحديثة على أنها كل ما يكتب باللغة العربية حول اللسانيات، سواء اللسانيات العربية أو لسانيات لغات أخرى، أو حول اللسانيات العامة، ليصبح كل منجز كتب حول اللسانيات باللغة العربية داخل في مفهوم اللسانيات العربية الحديثة.

كما تعد قضية المصطلح من أصعب القضايا التي أرقت البحث اللساني العربي، خاصة في جانب بلورة المفاهيم اللسانية، وتحديدها ضمن مصطلحات علمية دقيقة ليسهل تعميمها وتعلمها وتعليمها وتطبيقها ميدانيا، رغم أن الدراسات اللغوية العربية القديمة والحديثة قد ارتقت إلى مستويات علمية عالية، وأبانت عن نضج فكري رفيع.

وقصد تحقيق النقلة المنشودة في الدرس اللساني العربي وجب "تقديم الجديد في علم مصطلحه والمفيد في خطاب مفاهيمه، وذلك من باب الوقاية من لجج المفاهيم الملتبسة، والانزلاق في وحل المصطلحات المتذبذبة بين أشكالها العربية ومضامينها الغربية"[2]، خاصة في ظل الصراع

[1] عمار ساسي، قضايا اللسانيات العربية الراهنة من الوصف إلى الفحص، عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2017، ص:01

2 يوسف مقران، تحليل الخطاب اللساني العربي دراسة مصطلحية ابستمولوجية، دار الفكر العربي، الجزائر، 2017، ص 08

القائم بين المصطلح التراثي والمعرب المترجم له، والذي خلق تناقضا كما تقدم ذكره حول التجربة اللسانية العربية بين مشكك ومتفائل بها، وطرف وسط جامع بينهما.

لا توجد مواقف أخرى غير التي ذكرنا حول اللسانيات العربية، فالموقف الأول هو "موقف متحفظ مما جاءت به اللسانيات الحديثة رافض لآرائها ومتمسك بها وضعه النحاة الأوائل حول اللغة العربية"[1]، هذا من جهة، ومن أخرى نجد الرأي الثاني الذي "هو نقيض الأول متفتح على اللسانيات الغربية بدون قيود أو تمحيص، ورافض لما وضعه النحاة من علم النحو"[2]، وبالاضافة إلى هذين الرأيين نجد رأيا وسطا "التزم مبدأ إقامة الحوار بين النظرية اللسانية العربية القديمة واللسانيات الغربية الحديثة، آخذا من الطرفين ما يخدم اللغة العربية والنظرية اللسانية العربية عامة، فشكل اتجاها ناضجا في الكثير من جوانبه، ما مكنه من حمل مصطلح اللسانيات العربية الحديثة بمعناها الواسع"[3]، وقد نهج هذا الاتجاه ثلة من العلماء العرب والجزائريين، وعلى رأسهم الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح، عبد الجليل مرتاض، عبد المالك مرتاض، صالح بلعيد، الحبيب مونسي وغيرهم من العلماء والباحثين والأكاديميين، الذين أنجزوا أعمالا ضخمة ومؤلفات قيمة خدمة للغة العربية لغة القرآن الكريم.

[1] بن ناجي عبد الناصر، اللسانيات العربية الحديثة المفاهيم والإجراءات، دار الفكر العربي، الجزائر، 2016، ص 17

[2] بن ناجي عبد الناصر، اللسانيات العربية الحديثة المفاهيم والإجراءات، ص 17

2 المرجع نفسه، ص 17

الفصل الأول: البنوية وتجلياتها في خطاب عبد الجليل مرتاض النقدي

- ✓ البنوية وأصولها الفكرية
- ✓ تلقي البنوية عند عبد الجليل مرتاض
- ✓ التطبيقات البنوية عند عبد الجليل مرتاض

المبحث الأول : البنويـة وأصولهـا الفكريـة

البنوية فكر شغل الكثير من العلماء والفلاسفة في جميع التّخصّصات العلمية الأنثروبولوجيا، التاريخ، علم الاجتماع، النّفس، اللّغة، الرّياضيات، الفيزياء، الكيمياء وعلم الأحياء، وغيرها من العلوم التي اتّخذت من مفهوم البنية أساسًا في تحليلها وعملها، وهذا رغم اختلاف بحوثهم ومجالات تفكيرهم، لذلك يرى البعض أن البنوية كما في " الرياضيات تتعارض مع تجزئة الفصول غير المتجانسة محاولين إيجاد الوحدة بواسطة تشاكلات، والبعض الآخر يرى كما لأجيال متتالية من اللغويين أن البنيوية تجاوزت الأبحاث التطورية التي تتناول ظواهر معزولة وأخذت بطريقة المجموعات للنظام اللغوي المتزامن، أما في علم النفس فقد زادت البنيوية من معاركها ضد الميول الذروية Atomistiqueالتي كانت تسعى لجعل المجموعات مقتصرة على روابط بين عناصر مسبقة"[1]، ومن هنا يتّضح لنا أن البنوية جاءت كثورة على جميع المناهج السّائدة في ذلك الزّمن.

يرى كثير من العلماء أنّ الفكر البنوي قديم قدم العلوم، وأنّ البنوية " أو ما قد يوضع تحت هذا الاسم قد اعتبرت على أنها بمثابة الشيء الجديد تماما، والثوري الانقلابي في الوقت نفسه، وهذا كما أعتقد هو أمر زائف دون شك، ففي المقام الأول وحتى في مجال الإنسانيات لا تعد البنيوية جديدة تماما فنحن يمكننا تتبع هذا التيار من التفكير منذ عصر النهضة وإلى القرن التاسع عشر وحتى وقتنا هذا، وفي المقام الثاني يعد هذا الأمر خاطئا أيضًا بسبب آخر، فما نسميه بالبنيوية في مجال اللغويات أو الأنثروبولوجيا أو ما شابه ذلك ليس أكثر من تقليد خافت وشاحب لما استخدمته العلوم الطبيعية شديدة الدقة منذ زمن طويل"[2]، وهذا مسلّم به في الدّراسات اللّسانية، وهو أنّ المنهج البنوي مرّ بعدّة مراحل وكانت له إرهاصات قديمة، حيث حاولت الانتقال من المعياريّة إلى الوصفيّة، ومن التّاريخية إلى الآنية، لكن لم تتبلور أفكاره تنظيرا لعوامل تاريخيّة أو فكريّة سائدة، ومن أمثال هؤلاء واتيني الذي أشار دي سوسور إلى إسهاماته في كتابه محاضرات في الألسنة العامة وهمبلدوت وطوان مارتي، هذا بالنسبة للعلوم اللّغوية، أمّا

1 جان بياجيه، البنيوية، تر: عارف منيمنة وبشير وبري، منشورات عويدات، بيروت، ط4، 1985، ص 7

2 كلود ليفي ستراوس، الأسطورة والمعنى، تر: شاكر عبدالحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986، ص 28

بالنّسبة للعلوم الأخرى فقد ظهر علم النّفس الوصفي في أواخر القرن الثّامن عشر والذي اشتغل على هذا الفكر.

1- المنطلقات الفكرية للسانيات البنوية

اتّفق كل اللّسانيين المحدثين على أنّ دي سوسور هو مؤسّس علم اللّسانيات الحديث ومن دون منازع، وواضع الأسس الأولى للمنهج البنوي، وذلك من خلال الثّنائيات اللّغوية التي وضعها، والتي تعدّ بمثابة اللّبنة الأولى للتّفكير البنوي، حيث انطلقت منها كلّ الدّراسات البنوية في كلّ المدارس اللّسانية الحديثة، وكذلك نظرته للغة من منطلق أنّها "نظام من العناصر المعتمد بعضها على بعض، تنتج قيمة كل عنصر من وجود العناصر الأخرى في وقت واحد"[1]، ورغم أن سوسير قد استعمل مصطلح النّظام ولم يستعمل البنية، إلاّ أنّه أشار إلى وجود عناصر يعتمد بعضها على بعض وهذا هو البناء الذي يكتسب كلّ عنصر من عناصره قيمته من خلال العنصر الآخر المكوّن للنّظام، ويحكم هذا النّظام مجموعة قوانين خاصّة به وينفرد بها البناء دون غيره، وقد شبه دي سوسير نظام اللّغة بلعبة الشطرنج ويرى" أن أية حالة من حالات ترتيب القطع الشطرنج تشبه كثيرا حالة من حالات اللغة فقيم القطع تعتمد على موقعها على لوحة الشطرنج، كما أن كل عنصر من العناصر اللغوية يستمد قيمته من تقابله مع العناصر الأخرى"[2]، فبهذا التّصوّر الذي قدمه دي سوسور يتضّح لنا أن قيمة العناصر اللّغوية وهي بمفهومه العلامات لا تكمن أهميّتها في نفسها، ومثلها في ذلك كمثل قطع الشطرنج إذا حذفت أحد القطع غيّرت بأخرى لا تهمّ ولا يهمّ شكله أو مادّته وإنّما الذي يهمّ هو علاقته مع بقية القطع، ورمزيته لهذه العلامة أو القطعة كالفارس مثلا، إنّ قيمة العلامة اللّغوية تستمدّ من علاقتها مع ما جاورها من العلامات، وإنّ البنيّة اللّغوية تستمدّ دلالتها من تتابع هذه العلامات أو تلك.

هذه الأفكار التي كانت بمثابة الرّكائز الأولى للبنوية، جعلت معظم المدارس اللّسانية البنوية الحديثة تستمدّ المادّة الأولى منها، وهذا بفارق متباين حيث أن تأثير سوسير "كان أقوى في أوروبا منه في أمريكا، ولعلّ هذا هو السبب في أن اللسانيات الأمريكية تختلف عن اللسانيات الأوروبية، فالأمريكيون يركّزون على

1 فاردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص134

2 المرجع نفسه، ص106

العلاقات النحوية الأفقية أي الطريقة التي تربط العناصر اللغوية ببعضها البعض في التركيب، بينما يركّز الأوروبيون على العلاقات الرأسية أي العلاقة بين العناصر التي يمكن أن تحل محل بعضها البعض في نفس الموقع من التركيب اللغوي"[1]، وهو ما يؤكد اختلاف رؤيتهم إلى التراكيب اللغوية، مما أسهم في تعدد المدارس اللسانية التي اهتمت بدراسة اللغة.

قبل هذا وفي مطلع القرن 20م، ظهرت مدرسة روسية أسهمت إسهاما كبيرا في بلورة الفكر البنوي، وهي مدرسة الشّكلانيين الروس التي حددت بنية القصيدة الشّعرية والعروض الشّعري وفرّقت بين الوزن والإيقاع، وترى أن المعنى لا يكمن في الوزن وإنّما في الإيقاع والذي يقابله في العربيّة النّغمة والتّنغيم والنّبر والوقف والفاصلة، وغيرها من الظّواهر الصّوتية التي تؤثّر في معنى النّص والخطاب.

إنّ اهتمام الشّكلانيين كان منصبّا على بنية الإيقاع الشّعري وعلى علاقة المقاطع الصّوتية المتكرّرة والظّاهرة فيما بينها، وهذا بمعزل عن كل العوامل الخارجية وذلك هو أساس العمل البنوي، لقد انطلق العمل المؤسّس للفكر الشّكلاني للإجابة على التّساؤلات الخاصّة بما هو الأدب ؟ وأين تكمن أدبيته؟ ولقد عمل " الشّكلانيون وهم يحاولون تقديم أجوبة على هذه الأسئلة الأساسية على الانفصال عن الأجوبة التّقليدية والحلول المستهلكة انسجاما مع عدم ثقتهم المتجذّرة في علم النفس، فقد رفضوا أية نظرية تلتمس الفارق بين الأدب وغيره عند الشاعر لا في الشّعر اعتمادا على ملكة ذهنية ما تعود إلى الخلق الشّعري، لقد نفى المنظّرون الشّكلانيون دفعة واحدة وباستعجال كل الثّرثرة حول الحدس والخيال والموهبة وغيرها، إنَّ مكمن الخاصية الأدبية ينبغي البحث عنها في الأثر الأدبي نفسه وليس في الأحوال النفسية للمؤلف أو القارئ"[2]، فلغة النصّ الأدبيّ هي أساس القراءة والتّحليل وهذا بمعزل عن كلّ الظّروف الخارجية المؤثّرة في عملية إنتاج النّص .

لقد انبثق عن هذه المدرسة عالم كبير ذاع صيته في الدّراسات اللّسانية الحديثة ويكاد ينافس دي سوسور في إسهامه في بناء مقوّمات المنهج البنوي وهو رومان ياكوبسن، والذي أصبح بعد ذلك أحد الأعضاء البارزين في حلقة براغ اللّسانية.

1 جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، الرياض 1994، ص41

2 فيكتور إيرليخ، الشكلانية الروسية، تر: محمد الوالي، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000، ص 15

إذ اعتمدت حلقة براغ على آراء دي سوسور، وتمكّنت من أن تؤسّس لنفسها نظريّة عرفت بالنّظرية الوظيفيّة، ومن مطلقاتها أنّه " إذا كان دور اللغة هو توفير أسباب التواصل فإن دراسة اللغة ينبغي أن يراعي ذلك، فكل ما يضطلع بدور في التواصل ينتمي إلى اللغة وكل ما ليس له مثل هذا الدور فهو خارج عنها، وبعبارة أخرى فإن العناصر اللغوية هي التي تحمل شحنة إعلامية أما التي لا يمكن أن نعتبرها ذات شحنة إعلامية فلا يعتمد بها اللغوي فالأولى وحدها هي التي لها وظيفة"[1]، من هذه النظرة للغة واعتمادا على نظرية التواصل، حدد رومان ياكوبسن وظائف اللغة والتي حصرها في ست وظائف.

قبل التطرق إلى وظائف اللغة لدى ياكوبسن نذكر مرتكزات عملية الاتصال التي بنى عليها وظائفه وهي ستة عناصر :

1- المرسل 2- المتلقي 3- قناة الاتصال (السياق) 4- الرسالة 5- شفرة الاتصال 6-المرجع

ووظائف اللغة عنده هي :

- ✓ الوظيفة المعرفية
- ✓ الوظيفة التعبيرية
- ✓ الوظيفة الإفهامية
- ✓ الوظيفة الانتباهيّة
- ✓ الوظيفة الميتالسانية
- ✓ الوظيفة الشعرية

يعدّ هذا العمل بمثابة الأساس في تطوير الدراسات اللغوية، حيث "أن كل وظيفة من هذه الوظائف تتمازج وتتسلّل وفق هرمية تحفظ لكل رسالة هيكلها وعنصرها الذاتي المميز، وبخصوص الوظيفة الشّعرية فإن آليات وتمفصلات محددة تتحكم في ببنيتها اللفظية قصد تحقيق ماهيتها، وهذه الآليات تفصل لغة الشعر والفنون الأخرى التي تهيمن فيها هذه الوظيفة عن اللغة اليومية وما يماثلها كلغة علم"[2]، إنّ هذه الوظائف

1 عبد القادر المهيري، أهم المدارس اللسانية، الطبعة الرسمية، تونس، 1986، ص 40

2 عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل، دار الحوار، سورية، ط، 2003، ص 51

أصبحت فيما بعد من مرتكزات عملية تحليل النّصوص اللّغوية، كونها بنيت على مبادئ علمية واضحة ودقيقة وشاملة.

ومن نفس المنطلق الذي تراه المدرسة الوظيفية، وهو أن وظيفة اللغة الأساسية هي التواصل بنى أندري مارتيني مجموعة من المفاهيم والآراء التي أصبحت فيما بعد أساسا في التّحليل الوظيفي خاصّة مبدأ التّقطيع المزدوج للغة، والذي يكون بتقطيع اللّغة إلى أصغر الوحدات الدّالة وهي المونيمات، والتي يعتمد عليها في التّحلل، ويمكن كذلك تقسيمها إلى وحدات صغرى غير دالة وهي الفونيمات (رغم أن اللغة العربية يمكن لأصواتها أن تؤدي وظيفة داخل الكلمة).

ويري مارتيني أن "مبدأ التقطيع المزدوج يعد سمة بارزة من شأنها أن تميز وحدات اللسان البشري الصوتية عن أصوات الحيوان وعن سائر الأنظمة الإبداعية الأخرى، والتي تعتمد على وحدات ذات دلالات محددة ونهائية"[1]، والتي من خلالها يمكن تمييز كل وحدة حسب وظيفتها داخل اللغة.

وبصدور كتاب البنى التركيبية لنعوم تشومسكي في سنة 1957 بأمريكا حدثت ثورة في الدراسات البنوية الحديثة، حيث أدخل عدّة مفاهيم وتصورات وطرائق تحليل لم تعرفها الدراسات اللسانية السابقة، ومن هذه المفاهيم البنية السطحية والبنية العميقة، والكفاءة اللغوية والأداء، والتوليد والتحويل.

إن فكرة الكفاية والأداء استمدها تشومسكي من أفكار دي سوسور والتفريق بين اللغة والكلام واللسان، "ففي إطار النظرية الألسنة التوليدية والتحويلية نسمي المقدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية التكلم اللغة بالكفاءة اللغوية، ونميز بين الكفاية اللغوية وبين ما نسميه بالأداء الكلامي، فالكفاءة اللغوية هي المعرفة الضمنية باللغة في حين أن الأداء الكلامي هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين"[2]، أما في الجانب التحليلي الإجرائي فقد أضاف تشومسكي الخبرة المكتسبة من طرف المحلل في عملية التحليل بالإضافة إلى الروابط المكونة لبنية النص، وكذا استكشاف البنى العميقة من خلال استقراء البنى السطحية المكونة له.

1 الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2001، ص 108

2 ميشال زكريا، الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1986، ص 7

من العلماء الذين حاولوا تطبيق مفاهيم البنوية السوسورية على دراساتهم الميدانية العالم الأنثروبولوجي ليفي ستراوس خاصة ثنائية اللغة كلام، ففي دراسته للأسطورة وبتطبيقه للمنهج الوصفي والإحصائي مع التحليل البنائي اتضح له أن "التحليل البنائي يستوي لديه الاعتماد على أية أسطورة كمنطلق له، كما يستوي لديه أن يجمع عشرة أساطير أو مائة، لأن مجموعة الأساطير في بلد ما تنتمي إلى مستوى القول الكلامي، أي أن مختلف الأساطير لا تمثل سوى أداء جزئي خاص عفوي لأسطورة مثالية كلية ذات هيكل عام يعتبر كلغة بالنسبة لمظاهر القول المتعددة المتمثلة في أساطير المجتمعات المختلفة "[1]، فمجموعة الأساطير في بلد ما تعد بنيتها كبنية اللغة لهذا البلد، واختلافها وتنوعها هو بمثابة آداءات كلامية خاصة بكل فرد، فهذه العلاقات البنيوية هي التي يعمل المنهج على كشفها وتحديدها للوصول إلى البنية الشاملة الكاملة والعامة.

وفي خضم شرحه لكيفية تطبيق المنهج البنوي اللّغوي بإسقاطه على الدّراسات الاجتماعية يقول: "من المعلوم أن العالم اللغوي في سبيل الوصول إلى قانون بنيوي يحلل الوحدات الصوتية إلى عناصر فوقية بحيث يمكن ترتيبها في مزدوجة أو عدة مزدوجات من المقابلات، وقد يجرب عالم الاجتماع فصل ألفاظ القرابة العائدة لنظام معين بإتباع منهج مماثل، إن للفظ (أب) في منظومة قرابتنا مثلا مفهوما إيجابيا بما يتعلق بالجنس والعمر النسبي والجيل، وله بالمقابل مدلول باطل ولا يمكن أن يعبر عن علاقة زواج، وهكذا سيتساءل المرء بالنسبة لكل منظومة عن ماهية العلاقات الواضحة"[2]، فبهذه المقارنة يحاول عالم الاجتماع الكشف عن قوانين البنية العامة لسير المجتمعات بحكم أنها بنية تتخللها مجموعة من التشابكات والعناصر المتداخلة فيما بينها، وبهذا انتقل الفكر البنيوي اللساني إلى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم التي ازدادت عمقا في منهجها البنيوي بدراستها البنيوية اللغوية.

اعتمد كثير من العلماء على المنهج البنيوي في تحليلهم للنصوص الشعرية والسردية وحاولوا تطوير الأساليب التطبيقية في تحليلاتهم ومن هؤلاء رونال بارت، هذا الأديب والناقد اللساني الذي قدم نموذجا متكاملا في تحليل السرد، بعد اطلاعه على ما قدمته البنيوية اللغوية من محاولة وصف المستويات اللغوية،

1 صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998، ص 147 .

2 كلود ليفي ستراوس، الأنثروبولوجيا البنيوية، تر: مصطفى صالح، وزارة الثقافة، دمشق، 1977، ص 55

كالمستوى الصوتي والصرفي والتركيبي، فاقترح التمييز بين " ثلاثة مستويات للوصف ضمن العمل السردي، مستوى الوظائف (بالمعنى الذي تحمله هذه الكلمة عند غريماس عندما يتحدث عن الشخصيات كشخصيات فاعلة)، ومستوى السرد (الذي هو موضوع الخطاب عند تودوروف)، نريد أن نذكر أن هذه المستويات الثلاثة ترتبط فيما بينها وفق نموذج الاندماج التدريجي، لا معنى للوظيفة في ذاتها إلا إذا أخذت موقعها ضمن العمل العام لفاعل معين وهذا العمل نفسه يأخذ معناه الأخير من حقيقة أنه مسرود ومعهود به إلى خطاب له قانون الخاص به"[1]، فهذه هي مجموعة المحاور الأساسية التي يعتمد عليها في تحليل النصوص السردية، فينطلق من مستوى الوظائف بعد تقسيم القصة إلى أصغر الوحدات السردية، ثم يتم ترتيب وظائف الشخصيات ترتيبا على هيئة طبقات "ومستويات تماما كما تلجأ الألسنة إلى ترتيب الكلمات في محور التراكيب والاستبدال وذلك يكشف عن خصب هذا التحليل في الوقوف على مقدار التّدخل القائم بين هذه الوظائف نفسها، فبنية القصة من خلال الوظائف من منظور بارت بنية متداخلة، وليست بنية متماثلة"[2]، فهي بنيات متعالقة مع بعضها البعض.

وبعد تحديد وظائف الشخصيات، ننتقل إلى أفعال هذه الشخصيات داخل بنية النص ذاته وليس من منطلق البعد الاجتماعي أو النفسي أو الإنساني، وإنما من خلال فعلها داخل بنية القصة وتفاعلها مع بقية الشخصيات، لينتقل بعدها إلى المستوى الثالث وهو مستوى السرد، والذي قسمه إلى قسمين: القسم الأول الخاص بالتواصل السردي وعلاقة الباث بالمتلقي وطبيعة تصور القاص للقارئ، أما المستوى الثاني وهو وضع المحكي أو مجموعة الرموز المستعملة أثناء السرد، لأن المؤلف" ليس هو الذي يبدع أجمل القصص ولكن الذي يبدع ذلك هو من يتقن بصورة أفضل الرمز الذي يتقاسم استخدامه مع المستمعين"[3]، والذي هو أساس البناء السردي.

2- المفاهيم الأساسية للسانيات البنوية:

لقد انبنت اللسانيات البنوية على عدة مفاهيم وركائز أساسية منها:

1 رونال بارت، جيرار جينيت، من البنيوية إلى الشعرية، تر: غسان السيد دار نينوى، ط1، 2001، ص 21

2 وائل سيد عبد الحكيم، تلقي البنيوية في النقد العربي، دار القلم والإيمان، مصر، 2009، ص 110 .

3 رونال بارت، جيرار جينيت، من البنيوية إلى الشعرية، ص 480

2-1- لسان /الكلام.

لا يمكننا الحديث عن ثنائية لسان الكلام التي جاء بها دي سوسور قبل الحديث عن مفهوم اللغة.

أ- مفهوم اللغة: اللغة هي وسيلة للتواصل بين مجموعات بشرية تجمعها رقعة جغرافية واحدة، وفي مفهومها العام هي "مجموعة الشروط التي تجعل بناء اللسان ممكنا وحظوظ هذه الشروط كبيرة لتكون صالحة مهما كان اللسان، فاللغة وظيفة إنسانية، وظيفة مرتبطة بالجنس، وإذا أمكن اكتساب لسان من الألسن فذلك راجع على الأقل جزئيا إلى الصبغة الفطرية للغة "[1]، فاللّغة هي مجموعة القوانين والقواعد التي يستند إليها المتكلم أثناء إنتاجه لسلسلة كلامية وهي سهلة الاكتساب خاصة في مراحل عمرية مبكرة، أما كون أنها وسيلة اتصال فيعرفها عبد الجليل مرتاض "بأنها كل وسيلة من وسائل الاتصال المستعملة من قبل طائفة بشرية أو حيوانية لإرسال مرسلاتdes Messages، واللغة المركبة من وحدة الدنيا تسمى علامات Signesأو إشارات Signaux"[2]، هذا في التّعريف العامّ ثمّ نجد عالمنا يناقش قضايا أخرى خاصة بتعريف اللغة، والتي ترى أن عملية التواصل بين الحيوانات لا يمكنها اعتبارها لغة وإنما هي إيماءات أو تبليغات غريزية خاصة وليست لغة، وإنما اللغة خاصة بالإنسان ولتوضيح الفرق بين اللغة وبين اللسان والكلام يمكننا القول أن اللغة هي "جملة رموز متواترة بين أفراد المجموعة البشرية التي تتحول بفعل الرابط اللغوي إلى مجموعة فكرية حضارية وهذه الرموز سواء أكانت ملهمة إلهاما أم منبثقة انبثاقا إنما تمثل ضربا من التسليم الضمني بين مستعمليها، ثم إنها تربط فيما بينها بقوانين وبفضل هذه القوانين تنصهر الرموز الجزئية في شبكة من القواعد المجسمة لبناء اللغة الكلي"[3]، حيث يعد الخروج عن هذه القوانين بمثابة التعدي عليها وهو لحن في الكلام والقول .

ب- مفهوم الكلام:

اختلف تعريف الكلام بين اللغويين والفلاسفة وذلك راجع إلى طبيعة الدراسة والتخصص، والكلام عند النحاة هو اللفظ المركب المفيد بالوضع وأقسامه ثلاثة اسم وفعل وحرف جاء لمعنى.

1 روبر مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، تر: عبد القادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ط1،2007، ص 67

2 عبد الجليل مرتاض، علم اللسان الحديث في القران، دار هومة، الجزائر، 2010، ص21

3 عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 25

وهذا التعريف ينظر للكلام على أنه منجز حقيقي واقعي دون النظر إلى أسبابه ومسبباته والظروف التي أحاطت بإنتاجه، وإذا كانت اللغة "تمثل مخزونا جماعيا مشتركا بين أفراد الجماعة اللسانية، فإن الكلام هو تحقيق وإنجاز فعلي لهذا المخزون في مقامات كلامية تحكمها شروط خاصة "[1]، فالكلام هو الإنجاز الفردي الفعلي للغة، لكن يختلف مستوى الأداء اللغوي من فرد لآخر لذلك فإن ما يصيب اللغة من تغير في الحقيقة يصيب الكلام بحكم أن اللغة ثابتة محفوظة بقوانينها والذي يتغير هو الكلام، "فاللغة والكلام إذا يعتمد أحدهما على الآخر مع أن اللغة هي أداة للكلام ومحصلته، ولكن اعتماد أحدهما على الآخر لا يمنع من كونهما شيئين متميزين تماما"[2]، والدراسات اللسانيات الحديثة عملت على معالجة كل موضوع بمفرده، لأن اللغة مجموعة قوانين والكلام هو المنجز الفعلي لهذه القوانين، فالوصف يقع على هذا الأخير على كيفية حدوثه ومخارجه وصفاته وطرق استقباله وغيرها من العوامل المؤثرة فيه، لذلك نجد دي سوسور يشبه اللغة بالسنفونية والأداء هو الكلام، فالأخطاء التي ترتكب أثناء العزف لا تؤثر على السنفونية وإنما هي أخطاء في الأداء فقط.

فمن هذا التفريق العلمي الدقيق نرى أن دراسة "اللسان تكون من جابين الجانب الأساسي وهو الذي هدفه اللغة وهو اجتماعي محض مستقل عن الفرد، وهذا جانب سيكولوجي في جميع صفاته، والجانب الفرعي (الثانوي) وهدفه الجزء الفردي من اللسان أي الكلام بما في ذلك العملية الصوتية، والجانب الفرعي هذا سايكو فيزياوي"[3]، إن تحليل الكلام لسانيا يفيدنا اليوم في معرفة الأساليب اللغوية الشخصية وطريقة تواصل جماعات معينة خاصة في الجانب اللهجي .

ج- مفهوم اللسان:

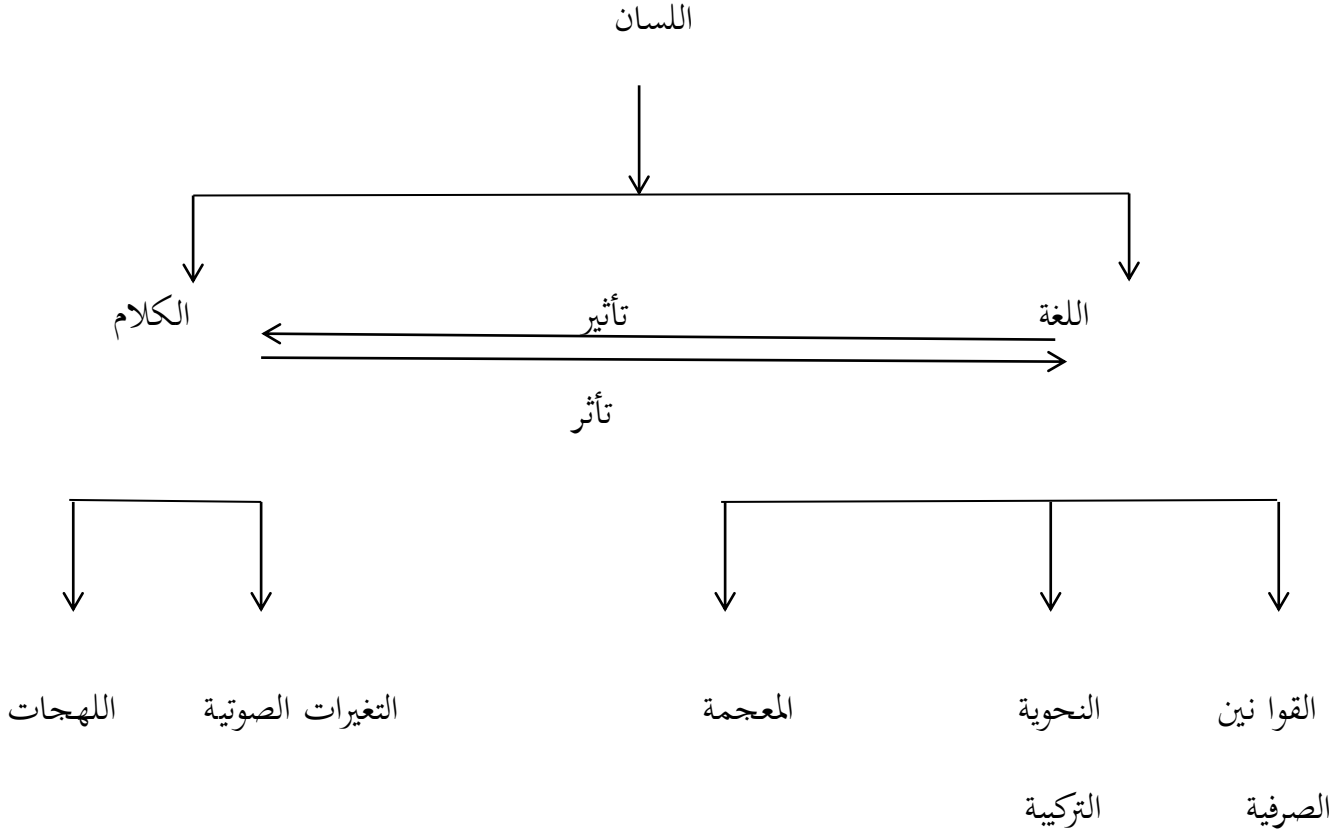
بعد تحديدنا لمفهوم اللغة ومفهوم الكلام ووقفنا على الحدود الفاصلة بينهما، نأتي إلى شيء مهم في الدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة وهو اللسان وعلاقته باللغة والكلام، ذلك أن "اللغة جزء محدد من اللسان مع أنه جزء جوهري، فلاشك أن اللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد

[1] عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل، ص35

[2] – فاردينان دي سوسير، علم اللغة العام، ص38

3 – فاردينان دي سوسير، علم اللغة العام، ص37

الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة، وعلى العموم اللسان متعدد الجوانب غير متجانس يشمل على عدة جوانب في آن واحد كالجانب الفيزياوي (الطبيعي) والجانب الفزيولوجي (الوظيفي) والجانب السيكولوجي (النفسي) واللسان ملك للفرد والمجتمع، ولا يمكن أن ننسبه إلى أي صنف من أصناف الحقائق البشرية لأننا لا نستطيع أن نكشف عن وحدته"[1]، فاللسان يجمع بين اللغة كظاهرة اجتماعية خاصة بمجموعة بشرية ذات قوانين وقواعد ملزمة، وبين الكلام الذي هو خاص بالفرد والدراسة اللسانية تخص اللسان بصفة عامة على أن دراسة اللغة هي أساس العملية والكلام هو دراسة ثانوية، ويمكننا تمثيل ذلك في المخطط التالي:



2-2- العلامة اللسانية: تعد العلامة اللسانية من أهم عناصر العملية التواصلية، ويعد "الاقتران بين الدال والمدلول في الأنظمة العرفية – واللغة أحدها – ليس اقترانا سببيا إذ لا توجد قرينة عليه بين العلامة وما وضعت دليلا عليه، وإنما تنشأ السببية من عامل خرجي هو فعل الاصطلاح أي التواضع على

1 – فاردينان دي سوسير، علم اللغة العام، ص27

ما اتخذت العلامة إمارة له"[1]، كما أن "الدلالة العرفية تُنشئ نظاما علاميا ولكنه بذاته ليس نظاما سببيا، وفي هذا يختلف عن نظام الدلالة الطبيعية ونظام الدلالة المنطقية ولكن علة الاقتران تتولد بصفة طارئة بعد إحداث المواضعة عندئذ يكتسب فعل الدلالة سلطته لا من ذاته و إنما مما التصق به من اصطلاح فتكون سلطته من سلطة الأعراف"[2]، وهو يقر بأن العلامة اعتباطية ولكن تكون ملزمة، أما الدلالة الطبيعية فهي تعود إلى طبيعة الأشياء مثل الاحمرار دليل الخجل والغيوم دليل المطر، "إن الدليل اللغوي لا يجمع بين شيء واسم بل بين متصور ذهني وصورة أكوستيكية وليست الصورة الأكوستيكية هي الصوت المادي، أي ذلك الأمر الفيزيائي المحض بل هي الأثر النفسي لهذا الصوت، أي الصورة التي تصورها لنا حواسنا، وهي صورة حسية وإن صادف أن نعتناها وقلنا أنها مادية فبالمعنى الذي ذكرناه فقط وللمقابلة بينها بين الطرف الآخر من عملية التـرابط أي المتصور الذهني، وهو غالبا ما يكون أبعد في التجريد"[3]، الصورة الأكوستيكية (الصوتية) هي الدال، والمتصور الذهني هو المدلول.

– اعتباطية العلامة (الدليل اللغوي)

تعد العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية ذلك "أن الرابط الذي يجمع بين الدال والمدلول رابط اعتباطي أو بعبارة أخرى، وبما أننـا نعني بكلمة دليل المجموع الناتج عن الجمع بين الدال والمدلول يمكننا أن نقول بصورة أبسـط أن الدليل اللغوي اعتباطي، وهكذا فإن المتصور الذهني (أخت) لا تربطه أية علاقة داخلية بتتابع الأصوات التالية : الهمزة والضمة والخاء والتاء والتنوين "[4]، فهذه الكلمة أو اللفظة أو العلامة تتكون من صورة صوتية تعكس تصورا في النفس والذهن، مثل سيارة فهي مدرك سمعي لتتابع مجموعة من الأصوات (س – ي – ا – ر – ة) وتشكل لنا مفهوما دلاليا هي وسيلة نقل – ذات عجلات – تشتغل بالبنزين – لها سائق.

رغم قول دي سوسور باعتباطية العلامة اللسانية، إلا أنه يستثني بعض المفردات وهذا ما نجده في لغتنا العربية، وقد أشار إلى ذلك ابن جني في الخصائص في باب تصاقب الألفاظ لتصاقب

1 اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي، ص 52

2 – المرجع نفسه، ص52

3 فرديناند دي سوسور، دروس الألسنة العامة، ص110

4 المرجع نفسه، ص 112

المعاني، وغيرها من الأبواب، وهذا ليس موضعه وإلا لأثبتنا أن في لغتنا العربية الاعتباطية نسبية. ويثبت ماريو باي أن اللغة اعتباطية ووضعية واصطلاحية من خلال موضوع "الاشتقاق الجمعي أو الشعبي popular(orfolk) etymology ويعني الخطة التي عن طريقها يخلق عقل الجماعة علاقة مزيفة _ وإن كانت مستحسنة "[1]، وقد قدّم مجموعة من المفردات التي اشتقت من اللغة الفرنسية وحولت إلى الاستعمال في الإنجليزية، واللّغة العربية لحقها مثل هذا النوع من الاشتقاق، والذي بمرور الوقت يصبح ملزما كما يقول بنفست.

2-3- الآنية والزمنية:

لقد تفرد دي سوسور في تحديد هاتين الثنائيتين حيث "يعتبر آنيا كل ما يتعلق بالمظهر القار من عملنا هذا ويعتبر زمانيا كل ما له مساس بالتطورات وسنطلق كذلك اسم synchronie أي آنية و diachroni أي زمانية على الترتيب –على أية حالة من حالات اللغة وأية مرحلة من مراحل التطور"[2]، فاللسانيات الآنية تدرس اللغة في مرحلة زمنية متوقفة أو شبه متوقفة دون النظر إلى تطور اللغة، أما اللسانيات الزمنية أو التاريخية رغم أن دي سوسور يرفض هذه التسمية ويفضل تسميتها" اللسانيات التطورية أو أحسن من ذلك الدياكورنية "[3]، فهي متعلقة بالزمان وتتبع حركة اللغة عبر الزمن وملاحظة كل التغيرات التي طرأت على اللغة و مفرداتها هذه الثنائية آني / زمني هي التي نقلت الدراسات اللغوية من المعيارية إلى الوصفية، ويري عبد الجليل مرتاض أن " اللسانيات التاريخية ليست متناقضة في جوهرها مع اللسانيات الوصفية في قليل ولا في كثير، لكن تناقضها الحاصل بينهما فعلا في طـرق المعالجة وفي تطور الأفكار التي كانت تنعكس وقتا بعد وقت على تبدل الرؤى باستمرار إزاء اللغة من هذه المدرسة أو تلك"[4]، فدي سوسور يرى أن الدراسة التاريخية للغة مصطلح كبير ومتفتح لذلك أختار الدراسة الآنية

1 ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، ص 159

2 فرديناند دي سوسور، دروس الألسنة العامة، ص129

3 جورج مونان، سوسور أو أصول البنيوية، تر: جواد بنيس، الرحاب الحديث، بيروت، ط1، 2016، ص57

4 عبد الجليل مرتاض، التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2014،ص 135

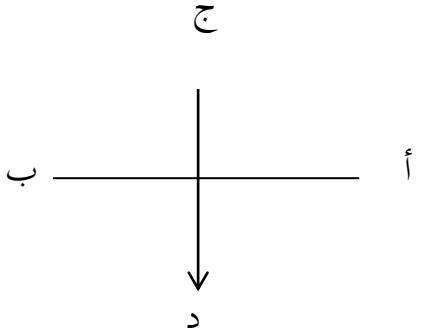
والزمنية بدل مصطلح التاريخية .

وقد فرق ماريو باي بين علم اللغة الوصفي وعلم اللغة التاريخي فقال "إن علم اللـغة الوصفي يمكن أن يوصف بأنه علم ساكن static ففيه توصف اللغة بوجه عام على الصورة التي توجد عليها في نقطة زمنية معينة ليس ضروريا أن تكون في الزمن الحاضر، أما علم اللغة التاريخي فهو علم يتميز بفاعلية مستمرة dynamie فهو يدرس اللغة من خـــلال تغيراتها المختلفة وتغير اللغة عبر الزمان والمكان خاصة فطرية في داخل اللغة، وفي كل اللغات كما أن التغير يحدث في كل الاتجـاهات (النماذج الصوتية، والتراكيب الصرفية والنحوية والمفردات)"[1]، فقد أثار ماريو باي نقطة مهمة تعد مرتكزا من مرتكزات الدراسات اللسانية الحديثة، وهي دراسة اللغة في نقطة زمنية معينة، ليس شرطا أن تكون الآن، وإنما في فترة محددة فمثلا دراسة قصيدة شعرية في الزمن الأموي، أو العباسي أو الحديث فيستلزم تـصوير الحالة اللغوية لتلك الفترة من خلال ما وصلنا في المدونات اللغوية، والموسوعات المنتجة في تلك الفترة أو تتحدث عن الاستعمال اللغوي فيها وخاصة المعاجم المتخصصة.

أما التغيرات التي تطرأ على اللغة في جميع مستوياتها الصوتيـة، والصرفيـة والنحويـة والمعجميـة والدلالية، فهي من اختصاص علم اللغة التاريخي.

2-4- محور التعاقب و محور الاستبدال:

لقد مثل دي سوسور لهذين المحورين بهذا الرسم مع جعل السهم في محور التعاقب متـجها من (ج — د)



1 ماريو باي، أسس علم اللغة، ص137

- محور المتواجدات (أ–ب) المتعلق بالعلاقات بين الأمور المتواجدة التي لا دخل للزمن فيهـا البتة
- و محور المتعاقبات (ج–د) الذي لا تستطيع أن تعتبر عليه إلا أمرا واحدا في نفس الوقت لكننا نجد في جميع الأمور المتعلقة بالمحور الأول مع ما يطرأ عليها من تغيرات" [1] .

يرى دي سوسير استحالة دراسة اللغة من زاويتين مختلفتين في آن واحد ويقول: "إن وفرة الدلائل التي اعتمدناها حجة لتفسير استمرارية اللغة لتمنعنا منعا باتا من القيام بدراسة العلاقات عبر الزمان ودراستها داخل النظام في نفس الوقت"[2]، وهو يستعمل كلمة نظام التي أصبحت تعني فيما بعد بنية

أما الاستبدال فهو" تحريك يستهدف تعويض وحدة ما بوحدة أخرى داخل سياق معين، تهدف هذه العملية في الأصل ضمن تصور اللسانيات البنيوية إلى تحديد وحدات اللسان ... وقد أخذ هذا المصطلح فيما بعد دلالة أوسع فأضحى مكافئا بصورة تقريبية لمصطلح الإبدال، إن التحريك الموصوف أعلاه، لا يستعمل في تحديدا لاستنباط خصوصياتها انطلاقا من الملاحظة التي نخلص إليها عبر مقارنة الملفوظات، بعد إبدال وحدة بوحدة أخرى"[3]داخل السياق نفسه، فيستحضر المتكلم مفردات أخر ذات صلة بالموضوع يمكنه استبدالها مكان مفردات مستعملة، أو يذكر المفردات ذات العلاقة بالموضوع، هذا في المبنى الإفرادي (المفردة) أما على المستوى الصوتي أو الوحدات الصوتية فيمكنه كذلك استبدال صوت مكان صوت آخر لتقريب المعنى أكثر كما في اللغة العربية هرقت الماء، أرق الماء.

أو: نبت – نبش – نبز– نبع

1 فرديناند دي سوسور، دروس الألسنة العامة، تر: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، 1985، ص 110

2 المرجع نفسه، ص 128

3مارينو الغاري، المصطلحات المفتاح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهيم الشيباني، 2007، ص27

2-5 البنية السطحية والبنية العميقة:

من أهم الأسس التي ارتكزت عليها النظرية التوليدية التحويلية عند نوام نشومسكي هي مصطلحي البنية السطحية والبنية العميقة، فالبنية السطحية للجملة تمثل الجملة "كما هي مستعملة في عملية التواصل أي في شكلها الفيزيائي بوصفها مجموعة من الأصوات أو الرموز"[1]، أي أنها تمثل الجانب الأدائي للغة، أما البنية العميقة فهي شكل "تجريدي (abstract) داخلي يعكس العمليات الفكرية، ويمثل التفسير الدلالي الذي تشتق منه البنية السطحية من خلال سلسـلة الإجراءات التحويلية "[2]، ولهذا يمكن لمجموعة من البنى السطحية أن تشكل بنية عميقة واحدة.

ومن العلماء من رأى أن اللغات لديها سيمات ونزعات مشتركة تؤدي أغراض دلالية واحدة وتكون ميزتها صوتية وصرفية ومعجمية وخاصة الفوق مقطعية (التنغيم والنغمة والمقطع).

ويرى عبد الجليل مرتاض أنه مما يقوي هذه الشمولية اللسانية العالمية "أن القواعد التوليدية تسلم بهذه الفرضية (النحو الشمولي أو النحو العام) التي يرى التوليديون من خلال مرآة تشومسكي أن الوظيفة للغة تقوم على وجود بنيات شمولية فطرية نشـيطة وذات مردودات إجرائية بواسطة المحيط اللساني في إطار كل لسان خاص، ويذهب هؤلاء إلى أن قسما كبيرا من البنية العميقة، ومن الممكن حتى كلها شمولي بين الألسنة على أن البنية العميقة تنطـوي على المعلومة الضرورية للتأويل الدلالي لجملة ما"[3] .

وتبقى هذه الدراسات غير نهائية وغير مفصول فيها وهذا من اختصاص علم الأعصـاب اللّغوي، وحتى أنّه أكتشف مؤخّرا أن الجزء المسؤول عن إنتاج اللغة العربية في الدمـاغ يختلف عن الجزء الذي ينتج اللغات الأخرى، وهذا يسقط نظرية أن البنية العميقة للغات كلها شمولية ومتقاربة، ويفتح مجال أن كل اللغات الأخرى لها نفس البنية العميقة مادامت تنتـج من مكان في الدماغ واحد واللغة العربية لها خاصية مميزة في بنيتها وهي تختلف عن بقية اللغات .

1أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 212

2 نفسه، ص 212

3عبد الجليل مرتاض، الروافد اللسانية لتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، ط1، 2016، ص 39

وفي رده على من دعا إلى التخلي عن التصور الذي قدمه تشومسكي في تحليله للبنى التركيبية قال تشومسكي "إذا كانت أفضل حجة للاستغناء عن التميز التحليلي التركيبي هي أن كـل شخص يشتغل فعلا بعلم الدلالة الوصفي أو سبق له أن اشتغل به لابد أن يكون مخطأ بشكـل خطير نظرا لأن الاشتغال تشوبه فرضيات حول صلات المعنى التي من شأنها أن تستقري Induce بشكل خاص) أمثلة التمييز التحليلي – التركيبي، يقلون من الصعب إكراه المرء علـى العثور على دراسات لغة لا تعين assign التراكيب وتصف المعنى،killso, so، الخ بطريقة يوجد فيها تمييز كيفي تحدده اللغة ذاتها "[1]، هذه اللغة التي يفسر بعضها البعض دون اللجوء إلى خارجها، أو اللجوء إلى تتبع الظواهـر الاجتماعية وتتبع استعمال كل فرد للغة، ونعود بهذا للنقطة الصفر حول الكفاءة اللغوية والأداء اللغوي والبنية السطحية والبنية العميقة، هذا التضارب نعيشه اليوم بين النظرية البنيوية والنظريات التي جاءت بعدها.

2-6- الكفاءة والأداء اللغوي:

إن الأداء هو القدرة على تطبيق القواعد والمبادئ والتقنيات الخاصة بحقل معين من الحقول العلمية بفاعلية كبيرة وبأقل جهد، أما الكفاية اللغوية وهي "المعرفة الضمنية بالغة "[2]، من كل الجوانب خاصة مفرداتها وتراكيبها وقواعدها النحوية والصوتية والصرفية والبلاغية، أما الأداء فهو "الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين"[3] وعليه يمكن القول أن:

- الكفاءة اللغوية هي المعرفة المخزونة لدى الأفراد التي اكتسبوها من خلال التعليم والتّجربـة .
- أما الأداء فهو الإنجاز الفعلي للغة في لحظة زمنية معينة.

أما في الجانب النقدي اللساني فلا يمكننا قياس واختبار الكفاءة الحقيقية للكاتب أو الخطيب وإنما نحكم على الأداء اللغوي دون الخوض في جوانب التكويني التي تحيلنا إلى علم الاجتماع اللغوي .

1 نوام تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، ترجمة عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2009.

2 ميشال زكرياء، الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط2، ص 07

3 ميشال زكرياء، الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص7

المبحث الثاني: تلقي البنوية عند عبد الجليل مرتاض

لا يمكننا الحديث عن تلقي علماء العرب ومنهم عبد الجليل مرتاض للمناهج الغربية عامة والبنيوية خاصة دون الحديث عن أهم مفاهيمها وخاصة مفهوم البنية.

البنية اللسانيةعند عبد الجليل مرتاض:

جاء في القاموس الوجيز في المصطلح اللساني للعالم الجزائري الجليل عبد الجليل مرتاض، وهو يتتبع مفهوم البنية "أن العرب جعلوا (بُنيه) بضم الباء في المعاني والمجد أي في المجردات و(بِنية) بالكسر في المحسوسات، ولكن البعض منا يقول بُنية (بضم الباء أو كسرها دون مبالاة)، ونتفق أن البِنية (بكسر بائها) ما يبنى من هياكل، والبناءات اللغوية أمس بعالم التجريد منه بـعالم الحس، لكن بمجرد صيرورتها مرجعية فإنها تندرج في عالم المحسوسات (جبل، بحر، موت...) وعندنا أن نسبة (بنوي) نسبة صناعية أي مصطلحية على أن نحافظ على بنية الكلـمات المنسوبة كما هي كلما دخلت عالم الفن والصناعة والاختراع"[1]، وهذا تمهيد منه للوصول إلى مفهوم البنيوية كعلم.

ولكي يقرب مفهوم البنية اللسانية للقارئ، قدم الطاولة كمثال تقريبي لتوضيح كيفية تفكيك وحدات البناء فيقول: "ليكن رسم طاولة وتحليلها بنيويا فإنه يقودنا إلى تحليل بنية هذه الطاولة، وكأننا أمام جملة لسانية أو نص بكامـله بغيت البحث على الوحدات الحقيقية المادية التي تتركب منها، ولا يتأتى هذا إلا بتفكيكها قطـعة قطعه كما نفكك تركيبا لغويا من مستوى أعلى إلى مستوى أدنى لكن بكيفية تجعلنا قادرين علـى إعادة تركيبها بصفة بنية كلية"[2]، فالبنية هي الكتلة العامة القابلة للتجزئة إلى وحدات صغيرة، وإعادة تركيبها من جديـد دون الإخلال بالبناء الأول.

وبالمفهوم العام فإن البنية هي "نظام من العلاقات الثابتة الكامنة خلف بعض التغيرات ولـعل هذا ما حدا ببعض الباحثين إلى القول بأن كل علم من العلوم لابد من أن يكون بنيويا "[3]

1 عبد الجليل مرتاض، القاموس الوجيز في المصطلح اللساني، ص377

2 عبد الجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص 9

3 زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، 1990، ص 37

بعد التطرق إلى البنية والبناء نقدم مفهوم للبنية اللسانية حسب تصور عبد الجليل مرتاض لها، والذي من خلاله نستخلص طريقة تحليله للنصوص النثرية والشعرية وكيفية القراءة، ويرى عبد الجليل مرتاض أن البنية اللسانية هي"البنية التجريدية لا تحتفظ بوقائع لسانية إلا من خـلال شبكة العلاقات التعارض المميزة بين العناصر التي تسوغ للغة أداء وظيفتها الأساس إنـها وظيفة التبليغ"[1]، وهي أساس عملية التواصل اللغوي وأي خلل في هذه البنية اللسانية يحدث خللا محتملا أو أكيدا في عملية التواصل، إلا إذا كانت هناك انزياحات ثقافية أو اجتماعية تحيل إلى معاني أخـرى للبنية فتدرس على هامش الدراسة البنوية، وقد قدم عالمنا أربعة مفاهيم للبنية بعد أن قَلَّب كل التعاريف التي جاء بها البنويون اللسانيون وهي :

- **المفهوم الأول :**

مفهوم "نسقي داخلي لوحدات نظام اللغة"[2]، والتي تحكمها قوانين خاصة باللغة.

- **المفهوم الثاني:**

خاص "بالنسق الداخلي لوحدات مستوى من التحليل، مثال هذا أن كل مستوى من مسـتويات التحليل للبنية الفونولوجية أو البنية السانتكسية أو البنية الدلالية في لغة مدرك كنظام أو نظام فرعي يمتلك بنية الخاصة، وإذا ما استعمل المفهوم بهذه الصفة فيمكن اعتبار بنية مجموع اللسان كبنية أبنية"[3]، كون أن اللغة هي عبارة عن مجموعة من المستويات (الصـوتي – الصرفي – النحوي– الدلالي – المعجمي – التداولي)، والتي تتفاعل فيما بينها لتحقيق عملية التواصل.

1 عبد الجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص 7

2 المصدر نفسه، ص8

3 المصدر نفسه، ص9

- **المفهوم الثالث:**

يخص القسم "النحوي للسان تعارضا بالقسم المعجمي وخاصة بالنسبة للمدرسة التـوزيعية الأمريكية إذ المورفيمات النحوية لملفوظ يقال لها عندئذ "مؤشرات بنيوية" والمجموع الوحيد لأصناف مغلقة للسان معتبر كبنية "[1]، وهي مجموع القواعد النحوية التي تضبط لغة خاصة.

- **المفهوم الرابع:**

يتعلق "بالنسق التركيبي ولاسيما النسق المؤلف لقالب جملة ولا تستخدم البنية هنا إلا مـن أجل علاقات تنسيق تركيبي "[2]، الذي تحكمه قوانين هذه اللغة، ولكل نسق قوانينه التي تنظمه وتميزه عن باقي الأنســاق.

وليبسط لنا عبد الجليل مرتاض مفهوم البنية وكيفية استخلاصها، يقدم لنا مثالا "عاد سمير باسما نستخرج منها ثلاث وحدات دلالية لأن الاستبدال في هذا المستوى لا يكون ممكنا إلا في صوب هذه الأوجه الثلاثة"[3]، وهذا هو والاستبدال الذي اعتمدت عليه البنوية.

البنية في القرآن الكريم عند عبد الجليل مرتاض: نجد عبد الجليل مرتاض يسترسل في مفهوم البنية، ويقر بأن كل شيء نصفه بالبنية فلابد أنّ "ثـمت عناصر تشكله تشكيلا مختلفا ومستعملة بموجب نواميس التجمع المتباينة وليس بأي خـلق أو تنظيم فالإنسان مثلا بنية مكونة من وحدات أو عناصر وظيفية متكاملة ولا يمكن لعنـصر أن يغني عن عنصر شكِّـل به"[4]،وكل عضوي يؤدي الوظيفة التي خلق من أجلها فالعينان للبصر والأذنان للسمع والرجلان للمشي والأنف للشم، وللقلب وظائف حسية كالخشية ومادية كضخ الدم وغيرها، فهـذا هو البناء المتكامل، أما ما أورده من آيات تثبت أن القرآن قد عبّر عن البنية فهي آيات تعبـر عن التكامل، لكن كبناء يتجزأ ثم يتركب كقوله تعالى: ﴿ **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ**

1 عبد الجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص9

2 – عبد الجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص9

3 المصدر نفسه، ص9

4 المصدر نفسه، ص13

أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ الكهف37 ، فالتسوية هي تمام الخلقة بعد أن ذكر سبحانه أصل الخلق ﴿ **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ الحجر29**

ترتكز النظريات البنوية على التّمييز بين "الشكل والجوهر: فاللسان يدرك بوصفه يمثل تراتبية من البنى الشكلية، التي تربط جوهر الأصوات وجوهر الأفكار، تعمل النظرية البنيوية عـلى وصف هذه البنى الشكلية ضمن مختلف مستويات التحليل اللساني (البنية المورفولوجيا، البنية التركيبية؛ البنية الدلالية)"[1]، فأساس التحليل البنيوي للنصوص يعتمد على البنية بكل أنواعها.

ونجد عبد الجليل مرتاض وهو يتصفح الموروث اللغوية العربي يقر بأن "هؤلاء الدارسون العرب العباقرة من قرض الله لهم أن يتحرروا مما اشتهروا به، و يشرئبوا بعقولهم إلى بسـط دراساتهم اللغوية بسطا شاملا تأخذ في حسبانها أن الجزء لا يقوم إلا على الكل وأن الكل لا تقوم له قائمة إلا بعناصر ومكوناته: من صوتية ونحوية وصرفية وأسلوبية وبلاغية ومعجمية ودلالية ... ورأوا أنه من العبث وجود مدونة تقوم لها قائمة سليمة دون هذه الشمولية اللسانية التي لا تستغني عنها البنية من بنياتها، ومتى فقدت عنصرا منها إنهار على نفسه ولربما شكلـت خطرا أي خطر على متلقيها"[2]، هذا الخطر يكمن في صعوبة التواصل أو سوء التفاهم والفهم لأن هذه المستويات تتفاعل فـيما بينها لإنتاج الدلالة المتوخاة من عملية التواصل، فأي خلل في البنية ينتج عنه خلل في المقاصد والغايات من عملية إنتاج النص والخطاب ثم يستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾** المنافقون **1** ردا على المـــنافقين الذين قالوا : نشهد إنك ... ، فالقرآن بنية كاملة متكاملة.

روافد المفاهيم اللسانية عند عبد الجليل مرتاض:

نظرا لأهمية الدال والمدلول والعلامة اللسانية ألف عبد الجليل مرتاض كتابا بعنوان "اللغة بين الوضع والاعتباط "،حيث تتبع مفهوم اللغة في النظريات القديمة منذ الإغريق وكيفية رؤيتهم للدال والمدلول،

1 مارينو الغاري، المصطلحات المفتاح في اللسانيات، ص100

2 عبد الجليل مرتاض، الإعجاز اللغوي في اللسان العربي ، دار هومة للنشر والتوزيع ،ط1، 2018، ص45

ثم عند علماء العرب إلى أن وصل للنظريات الغربية الحديثة كل ذلك بالشرح والتحليل والتعقيب مع إصدار أحكام هنا وهناك.

يرى عبد الجليل مرتاض أن الدارسين انقسموا إلى فريقين" فالفريق الأول يركز على روافد هذه الظاهرة المتمثلة في مادتها اللسانية لوصفها وتحليلها والمآل إلى استخلاص قواعد لسانية عامة بناء على وصفه وتحليله، في حين أن الفريق الثاني لا يعد الروافد اللسانية وسيلة من وسائل السبل والتفكير ولا يعتبرها غاية في ذاتها أي ليس أكثر من وسيلة ربما تساعدنا في بلوغ مرامنا على الوقوف ولو سطحيا "كيف يمارس العقل البشري أو الذكاء الطبيعي " ويفكر من خلال هذه القضايا اللسانية التي تحويها الظاهرة التواصلية الصوتية العجيبة التي تنمو فينا بنمونا ولا تزول بزوالنا"[1]، فالروافد اللسانية هي وسيلة وغاية للتفكير والتواصل وموضوع بحث ومجال خصب للمناقشة والتحليل لاستنباط قواعد ونظريات لسانية جديدة.

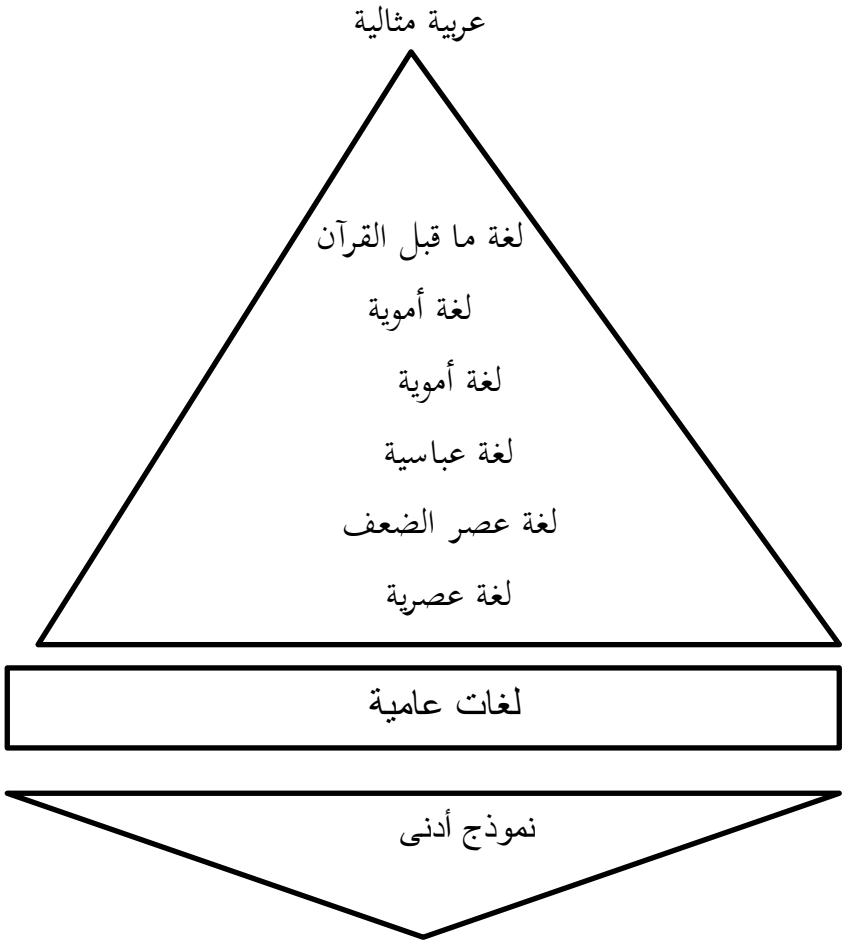
عرض عبد الجليل مرتاض رؤية أفلاطون لحقيقة العلاقة بين الدال والمدلول، والتي يرى أفلاطون أنها عالم من الحقائق التي يقابلها وجود واقعي مادي، ومن هنا فاللغة توقيفية لا تواضعية والعلاقة بين الدال والمدلول طبيعية، فالصورة الصوتية متعلقة بالصورة الخارجية ودالة عليها، أما أرسطو فقد خالف أفلاطون وكأن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة تواضعية عرفية تنتج من التفاعل الثنائي بين المادة والصورة وعلل تكوين الشيء أو انحلاله أربعة:"[2] .

- ✓ علة مادية : هي ما يتكون منه الشيء (أصوات اللغة مثلا)
- ✓ علة صورية : هي الصفات التي يتصف بها الشيء (الصورة الصوتية للغة من سماع صفات)
- ✓ علة محركة : وهي التي تحول الشيء من حالة إلى أخرى (الحركات الإعرابية السبع في العربية مثلا حيث تحول الاسم من فاعل إلى مفعول أو التابع إلى متبوع أو الكلمة تبعا إلى موقعها في غير اللغات المعربة)
- ✓ علة غائية : هي ما تتجه الحركة إلى تحقيقه (بناء الجمل وتكوين النصوص مثلا سواء تعلق الأمر بتواصل شفهي أو كتابي أو لساني أو إشاري

1 عبد الجليل مرتاض، اللغة بين الوضع والاعتباط، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص06

2- المصدر نفسه، ص11

هذا في ما يتصوره أرسطو أما نظرية المثل التي دافع عنها أفلاطون والتي مفادها أن اللغة ثابتة وما دونها من آداءات تقاس عليها، وقد مثل عبد الجليل مرتاض ذلك بنموذج للغة العربية يفسر آراء أفلاطون عن اللغة :[1]



هذا النموذج يظهر أن اللغة العربية القديمة لغة مثالية نموذجية تقاس عليها كل الآداءات اللغوية عبر كل العصور، فعصر ما قبل القرآن كان يحاكي اللغة الأم وخير دليل على ذلك ما وصلنا من دواوين شعرية ومعلقات خالدة ثم انتقل مباشرة إلى اللغة الأموية من دون ذكر عصر نزول القرآن وهو أرقى لغويا من العصر الأموي الذي اختلط فيه اللسان العربي بالأمم الأخرى، ثم العصر العباسي الذي كانت لغته راقية تحاكي اللغة المثالية، أما لغة عصر الضعف بعد سقوط الدولة العباسية وظهور دولة المماليك في مصر

1 عبد الجليل مرتاض، اللغة بين الوضع والاعتباط، ص10

وهيمنة الدولة العثمانية التي لم تكن لغتها عربية لذلك نلاحظ ضعفا لغويا ودخول مفردات جديدة على اللغة العربية، وقد ألف عبد الجليل مرتاض كتابا في هذا الموضوع تحت عنوان 'التهجين في العهد العثماني' و أورد كثيرا من مفردات اللغة التركية التي دخت إلى العربية، والتي سنتطرق إليها في مبحث اللهجات الأدبية .

أما اللغات واللهجات العامة هي تواصلية لا تمت بأي صله للقواعد اللغوية لذلك جعل لها قاعدة وأخرجها من المثلث المتصاعد ثم مثلث النموذج الأدنى والذي تقاس لغته عن اللغة العامية كمرجع للتواصل لا قواعد لغوية.

إن تطرق عبد الجليل مرتاض إلى هذه الأفكار والنظريات القديمة غرضه "لفت انتباه المتلقي لمدى تأثر غير واحد من أبرز اللسانيين الغربيين المحدثين بالفكر الأرسطي في اختباك نظرياتهم اللسانية"[1]، فمجمل النظريات الحديثة روافدها وأسسها المعرفية انبنت على الدراسات والنظريات القديمة.

أورد عبد الجليل مرتاض آراء مجموعة من العلماء العرب الذين اختلفت وجهات نظرهم حول اللغة أهي توقيفية أو تواضعية اصطلاحية، ومن هؤلاء ابن فارس الذي فسر قوله تعالى ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾**البقرة 31**، على أن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها دون استثناء، وعليه فإن اللغة توقيفية من الله تعالى.

أما صاحب الخصائص ابن جنى فهو يرى أن اللغة توقيفية واصطلاحية، وقدّم لذلك الأدلة الكافية وخير دليل على ذلك ما أورده في كتابه من أبواب تدل على أن اللغة وضعية منها باب تعاقب الألفاظ لتصاب المعاني .

ومن العلماء الذين شدو نظر عبد الجليل مرتاض هو عبّاد بن سليمان البصري المعتزلي الذي يرى أن الألفاظ الدالة على المعاني بذواتها، ولا يوجد لفظ غير دال على معناه أو ترجيحا له وإلا فسدت اللغة والمعاني، وقد دافع عبد الجليل عن هذا الرأي بقوله "والواقع أن عباد كان أبعدهم نظرا لأن الدلالة الذاتية لا علاقة لها بالاختلاف، بمعنى الاختلاف بين اللغات يكمن في أصواتها المعبر عنها تعبيرا متباينا بين كل لغة ولغة، إذ لا يدعي أن الأسماء تتبدل ذواتها كأن تصير الشجرة بحرا والشمس قمرا والبياض سوادا ...

1 عبد الجليل مرتاض، اللغة بين الوضع والاعتباط، ص12

بمجرد انتقالها من لغة إلى أخرى"[1]، وهذا رأي جديد ونظرة حكيمة توضح علاقة الدال بالمدلول، وهي "تكمل نظرة الوقف والاصطلاح ولا تتعارض معها إلا في الشكل، لأن النظريتين التقليديتين كلتيهما تغفلان جانبا مهما في طبيعة العناصر المهمة التي لا تتم هوية كل عنصر منهما دون ذات مستقلة سواء تعلق الأمر بالاسم أو الحرف أو الفعل بل حتى بالبنية التركيبة[2]، التي تحيل إلى معنى دون آخر حسب طبيعة المدلول وعمق عملية التواصل فجل العلماء الذين تطرق لهم من أمثال فخر الدين الرازي وأبو حامد الغزالي والجوني لم تخرج آراؤهم عن ثلاثة مفاهيم للعلاقة بين الدال والمدلول، إن ما اهتدى إليه عبد الجليل مرتاض هو أن اللغة توقيفية "لا تملك إلا أن ترجح توقيفها الأزلي المفتوح أمام أي تواضع مستمر يعمل على صيانة ذلك التوقيف ويتحرك عصريا لضمان بقائه دون أن يفلت أي تواضع فرعي من وتر توقيف أصلي"[3]، وهذا ما وصلت إليه كل النظريات الحديثة ولم تخرج عنة واحدة من ثلاثة آراء مجتمعة أو متفرقة .

من العلماء الغربيين الذين تأثّر عبد الجليل مرتاض بأفكارهم وايتيني – العالم اللساني الأمريكي– ومن الأفكار الجديدة التي ظهرت في الساحة الغربية الحديثة نظرية هامبودلت، والتي ترى أن اللغة ضرب من الملكة الفطرية أو هي قوة داخلية خاصة بالفكر الإنساني يتعذر صبر أغوارها ذاهبا إلى أن اللغة والإنسان خلقا معا[4]، باعتبار أن اللغة ضرورة لازمة للتواصل بين بني البشر.

اعتباطية العلامة اللسانية:

يعترف دي سوسور أن العالم الأمريكي وايتني قد تطرق إلى اعتباطية العلامة اللسانية لكنه لم يتعمق في هذا المفهوم ولم يجعله شغله الشاغل، والعلامة عند وايتني تتسم بالاعتباطية والاتفاقية والاجتماعية، ودي سوسور في نظر عبد الجليل مرتاض قد "أفاد من هذه الأفكار ولم يتأثر بها كثيرا بل شق لنفسه في هذا اليم المتلاطم معبرا لسانيا جديدا يختلف عن معظم المعابر التي شقت من قبله، ولكنه يعترف بآثار الأفكار

1– عبد الجليل مرتاض، اللغة بين الوضع والاعتباط، ص27

2– عبد الجليل مرتاض، اللغة بين الوضع والاعتباط، ص: 27

3المصدر نفسه، ص 25

4 المصدر نفسه، ص38

الغربية عليه كاعترافه بأن اعتباطية العلامات تنـاولها وايتني"[1]، لكن ملامح التجديد في فكر دي سوسير كانت واضحة وجلية في قضية الاعتباط.

إن نظرة دي سوسور لاعتباطية العلامة أنها نسبية لم تكن ثابتة وكانت متذبذبة وفي حديثه عن الاعتباطية النسبية والمطلقة يقول "إن المبدأ الأساسي لاعتباطية الإشارة لا يمنعنا من تشخيص العنصر الاعتباطي الأساسي في كل لغة أي الاعتباطي المطلق والعنصر الاعتباطي النسبي إن بعض الإشارات اعتباطي مطلق ونلاحظ أن بعضها الآخر يتميز بدرجات من الاعتباطية"[2]،أو النسبية وهذا شيء فيه نوع من الارتباك وعدم العلمية في نظرعالمنا يقول إن هذه "الطروحات السوسورية تبدو معسولة لسانيا ولكنها مضطربة علميا لأن الممارسات اللغوية البسيطة والعفوية تسيغ هذه الأفكار إزاء الاعتباط الجذري أو النسبي إسباغه كلية أو على الأقل لا تهضمها بالطرائق نفسها كما أن القول بأن اللغة أكثر سموقا في اعتباطها المطلق أو النسبي من لغة أخرى قول يعود بنا إلى شطحات اللسانيات التاريخية التي انتهت بانتهاء القرن 19"[3]، بهذا التعقيب يريد أن يؤكد بأن اللغة إما اعتباطية مطلقا أو اصطلاحية بعامة، ولا توجد مرتبة بين البينين ولو عدنا إلى التجاذبات الفلسفية والآراء الدينية خاصة عند المسلمين في تفسيرهم لقوله تعالى ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾**البقرة 31**، ففي الجانب العلمي اللساني الدقيق إما أن نبرهن على اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول وإما أن نسلم بالتواضع وهذا الأريح لهذا وذاك.

مستويات الاعتباط اللغوي عند عبد الجليل مرتاض:

يقر رونالد بارت أن الجملة كما هو متعارف عليه "يمكنها أن توصف لسانيا على عدة مستويات صوتيا وصرفيا ونحويا وسياقيا، وهذه المستويات توجد في علاقة تراتب لأن أي واحد منها لا يمكنه أن ينتج المعنى، وذلك لأن كل مستوى منها له وحداته وتعليقاته الخاصة به مما يستنتج وصفا مستقلا لكل واحدة منها فكل واحدة تنتمي إلى مستوى معين لا تأخذ معنى إلا إذا كان بإمكانها الاندماج في مستوى أعلى، فالوحدة الصوتية بالرغم من قابليتها في ذاتها لهذا الوصف فإنها لا تعني شيئا ولا تصبح طرفا مشاركا في

1 عبد الجليل مرتاض، اللغة بين الوضع والاعتباط، ص51

2 فاردينان دي سوسور، علم اللغة العام، تر: يونيل يوسف عزيز، دار الأفاق العربية، بغداد، 1985، ص 150

3 عبدالجليل مرتاض، اللغة بين الوضع والاعتباط، ص63

المعنى إلا عند اندماجها في الكلمة والكلمة نفسها عليها أن تندمج في الجملة"[1]، وهذا أساس في التحليل عند التوزيعين.

إن الترابط الداخلي بين وحدات الجملة هو الذي يشكل المعنى الحقيقي في النهاية، فالجملة تتكون من أصوات لها صفات ولكن ليس دالة في ذاتها وإنما تكتسب دلالتها من خلال تجاورها مع أخواتها داخل الكلمة، كما أنه ليس للكلمات معان دون الدخول في نسق لغوي وهو الجملة.

في الفصل الثالث المعنون بالاعتباط اللغوي في ضوء أربعة مستويات من كتابه "اللغة بين الوضع والاعتباط"، تحدث عبد الجليل مرتاض عن اعتباطية العلامة اللسانية أو اصطلاحها أو تواضعها لا يتم ألا عبر هذه المستويات الأربعة هي :

- ✓ علاقة الصوت –معنى
- ✓ علاقة الدال – المدلول
- ✓ تنظيم سانتكسي
- ✓ العناصر اللسانية

فكل مستوى من هذه المستويات يمكن من خلاله تبرير موقف من المواقف الخاصة بطبيعة العلامة اللسانية وعلاقتها بما تحيل إليه أو تفسير أسباب الوضع والاصطلاح، أم أنها اعتباطية مطلقا.

ففي مستوى علاقة الصوت بالمعنى الذي أسال الحبر الكثير منذ القديم وخاصة في الدراسات اللغوية القديمة عند العرب، والتي جعلوا لها مصنفات وأبواب خاصة، (كابن جنيّ وسيبويه وابن سينا وغيرهم)، ولم يخلصوا إلى نتيجة نهائية حول طبيعة العلاقة القائمة بين الصوت والمعنى، ولكن عالمنا اختصر علينا طرق البحث وقدم لنا زبدة القول في هذا المبحث، وذلك أن الأصوات " ليس لها قيمة ذاتية ولسانية ولذلك كان الناس يتخاطبون بالكلمات لا بالأصوات وكانت الأسماء التي نتلفظها في لغتها الطبيعية أو نكتسبها

1 رونال بارت، طرائق تحليل السرد، ص12

من لغة أو لغات أخرى لا تتحقق إلا بترددات متباينة الأصوات تفصح عنا"[1]، وهذا ليس مطلقا لأننا نجده في مواضع أخرى يثبت علاقة الأصوات بالمعاني خاصة في محاكاة أصوات الحيوانات في ألفاظها وغيرها .

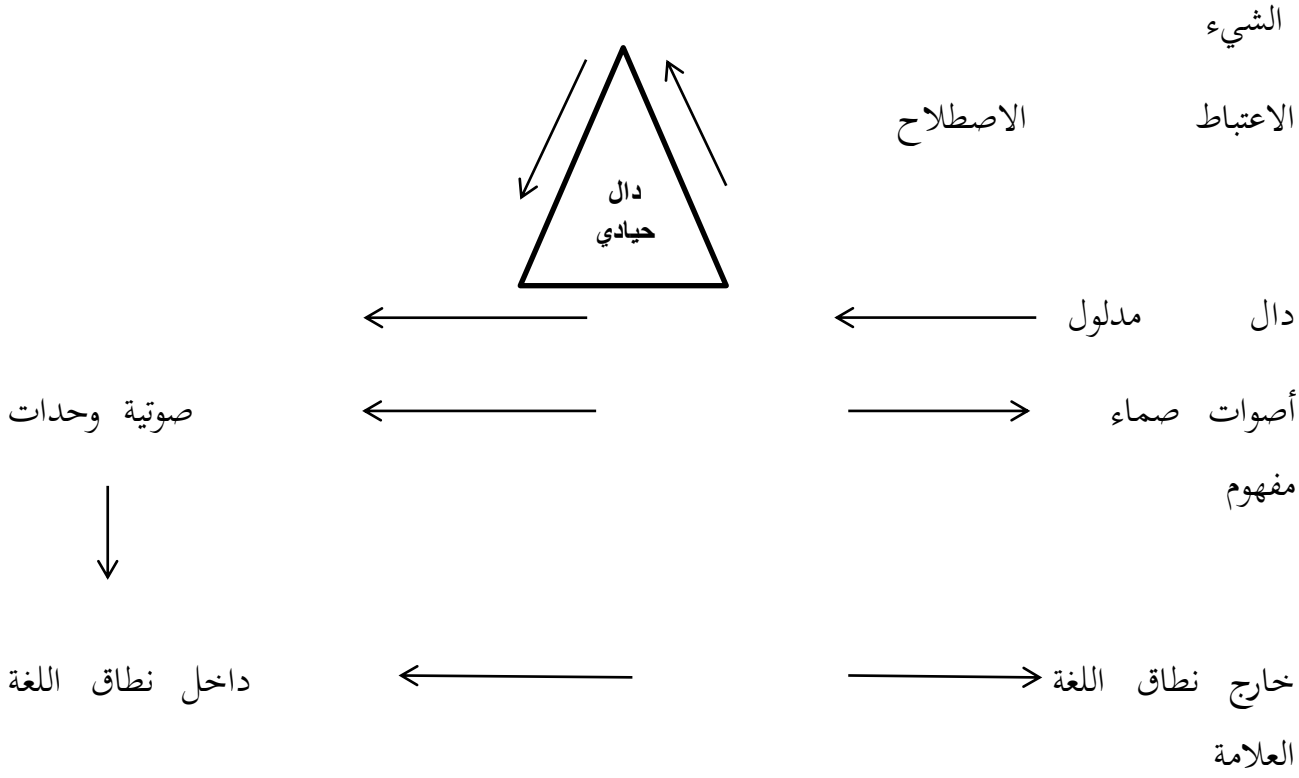
أما في المستوى الثاني الخاص بالدال والمدلول وبعدما بيّن علاقة الدال بالمدلول ووجهات نظر كل فريق، أشار عبد الجليل مرتاض إلى قضية العلامة اللسانية وأنها ذات وجهين الدال والمدلول، وليس الدال هو الكلمة كما يعتقد البعض والمدلول هو ما يشير إليه، وإنما هي العلاقة " بوجهيها بوصفها عنصرا للنظام المستقل في اللغة وهي التي تمكننا عندما نستخدمها في جملة من صنع إحالة على العالم المافوق لساني Extra Linguistique حقيقة أو خيالا مجردا أو ملموسا قريبا أو بعيدا معلوما أم مجهولا "[2]، فالعلامة ليس لها معنى خارج الاستعمال ولا تحيل إلى الأشياء إلا داخل السياق اللغوي، وإن كان كذلك فهي لا تمثل قيمة في نفسها وأصواتها لا دلالة لها عند الترتيب أو التفرد، وإنما هي مجرد تواضع واصطلاح لا يؤدي وظيفته الدلالة إلا عند الاستعمال .

أثناء تتبعنا لأعمال عبد الجليل مرتاض وجدناه في موضع آخر يعود لقضية الاعتباط النسبي والاصطلاح ويمثل لذلك بالمشترك اللفظي الذي شاع في الدراسات اللغوية القديمة، ويقدم مثال كلمة العدل التي تعني القصد في الأمور...وسيقوم مقام الشيء من غير جنسه كالفدية، فهذا الاختلاف في الاستعمال دليل على أن الدال "مهيأ للشحن بمحمولات دلالية متعاقبة تحددها القرائن والسياقات لا الكلمات التي لا عهد لها مع أي مرجع أصلي أو فرعي، فلو كان عليها عهد قبلي لتعذر لدال واحد أن يعبر أكثر من مدلول"[3]، ونجده قد استشهد بالقراءات المختلفة واللهجات العربية الكثيرة، وتحدث عن وجود دال صوتي حيادي يعمل على خلق توازن بين الاعتباط الجذري والاعتباط النسبي، وكأنه يتصور وجود دلالة لجذر الكلمة لا تعطي رمزية للعلامة إلا إذا مرَّ من الحيادية التي تعكس تصورا نفسيا للاستعمال كون أن تتابع الأصوات نفسها لا يعني الدلالة نفسها، وخير دليل على ذلك كما قلنا الترادف ومن هذا نعود إلى الاستعمال والسياق.

1 عبد الجليل مرتاض، اللغة بين الوضع والاعتباط، ص71

2 – المصدر نفسه، ص78

3 عبد الجليل مرتاض، اللغة بين الوضع والاعتباط، ص80



شرح المخطط :إن الدال هو عبارة عن كتلة صوتية مشحونة بشحنة سلبية كامنة لا تعبر عن مدلولها الحقيقي إلا عند الاستعمال، واستعمالها لا يكون إلا بالإصلاح المتفق عليه وصوتية الوحدات هي الصورة السمعية للدال سواء دل على مدلول معين أو لم يدل فهي صورة سمعية ذات توتر معين،إذا حققت مفهوما معينا عند الاستعمال وأصبحت ذات مدلول وشكلت رفقة هذا المدلول العلامة، أما الدال الحيادي فهو قيمة العلامة الحقيقة التي تعارف عليها الناس وضعا أو اعتباطا أو اصطلاحا.

في نفس السياق نجد عبد الجليل مرتاض يعقب على بنفيست في تصوّره للعلامة اللسانية، فهو الذي يرى أن العلاقة بين الدال والمدلول ليست اعتباطية وإنما هي لازمة أو ملزمة، لأن هذا الدال مهما كان تاريخ وضعه فقد أصبح مفروضا علينا في ذهننا ويجب التسليم به، وكأنه ترك اعتباطية اللغة من عدمها جانبا، وذهب إلى الحقيقة والواقع، أنه توجد علامة ذات دال ومدلول وهو الأهم، أما كيفية وجودها فهو أمر آخر، فمرتاض هنا يعقب بقول " إن أبرز فراغ تركه اعتراض بنفيست على عدم إقراره باعتباطية العلامة اللسانية، أنه لم يوضح السابق من لاحق بالنسبة للاعتباط والالتزام، وبتعبير آخر ما الذي ينبثق عن

الآخر، الصلة الإلزامية +الصلة الاعتباطية، أم العكس، أم هما يتواجدان معا"[1]، هذه الإشكالية لم يجب عليها بنفيست ولن يجيب عليها.

أما المستوى الثالث فهو تنظيم سانتكسي، وهو الذي يعالج فيه بنية الكلمة حيث الاستعمال مشتقة ومنصرفة، والملاحظ أن عالمنا قد ترك المصطلح كما جاء في اللغة الأجنبية ولم يستعمل مقابله في اللغة العربية حيث نجده يقول "إن هذا المصطلح ترجم من اللسانيين العرب المحدثين بعدة مصطلحات (نحو نظم، ركن، تركيب) وارتأيت أن أترك المصطلح كما هو وهذا أفضلا في اللسانيات العربية الحديثة من السباحة في غموضات نحن في غنى عنها"[2]، ونجده يلح على استعمال الكثير من المصطلحات بلغاتها الأصلية والتي تثبت في ترجمتها تذبذب حين الاستعمال.

إن اعتباطية العلامة من وجهة نظر عبد الجليل مرتاض في هذا المستوى تكمن في أن البنية الصرفية للكلمة منعزلة يشوبها الاعتباط فكيف بها وهي تحافظ على صيغتها حين الاستعمال وكذلك وهي تتلون بتلونات زائفة على صيغتها الأصلية.

كما أشار إلى قضية القلة المستعملة من المفردات وتفشي استعمالها رغم أنها تستعمل من طرف قبائل قليلة العدد إلا أن المفردة تعم بين الناس، وهذا لا شك أنه أساس الاعتباط وهذا مبرر بوجود القاعدة فكيف الذي خرج عن القاعدة وتفشى في الاستعمال ومن ذلك أنه لم "يشع عن العرب صوغ (أخير) من (آخر) ولا (أشر) من (شر) اتّباعا لبني عامر، على الرغم من أن هؤلاء هم المحقون والمحترمون لقاعدة الاستعمال ولم تشفع لهم قراءة من قرأ {من الكذاب الأشر} لأن الكثرة اللسانية وهي أخطاء، ونهجت نهجا آخر فخضع القليل للكثير والذليل للعزيز ولا مجال للصدفة"[3]، وهذا كثير في اللغة العربية.

المستوى الرابع هو مستوى الوحدات اللسانية الصغرى والكبرى من فونيمات ومرفيمات والمونيمات وحتى الجمل عندها وحدات لسانية.

1 عبد الجليل مرتاض، اللغة بين الوضع والاعتباط، ص87

2 عبد الجليل مرتاض، القاموس الوجيز في المصطلح اللساني، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1،2017،ص 397

3 عبدالجليل مرتاض، اللغة بين الوضع والاعتباط، ص96

مفهوم اللسان عند عبد الجليل مرتاض:

يرى عبد الجليل مرتاض في كتابه علم اللسان الحديث في القرآن أن اللسان أعم من اللغة وهذا بعد تتبع مفهوم اللسان لغة واصطلاحا، كون أن اللسان يطلق على جارحة من الجوارح أو على رسالة لغوية أو قصيدة شعرية أو يطلق على لغة بصفة خاصة، ونجده يعرف اللسان في كتابه اللسانيات الأسلوبية" أنه نظام قواعدي مشترك في وقت معين أي اللسان كل نظام من العلامات الصوتية منبن انبناء مزدوج التمفصل خاص بمجموعة لسانية مهينة"[1]، تجمعها رقعة جغرافية واحدة، أو تفرقوا هنا وهناك.

ثم حدد مفهوم اللسان في الخطاب القرآني على أنه يعبر " باللسان عن تواصلات القوم بدل اللغة "[2]، كقوله تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**﴾ **المائدة78**، وقوله تعالى:﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾ **إبراهية4**، وغيرها من الآيات الدالة على أن القرآن عبر عن التواصل بين أصحاب اللغة الواحدة بمصطلح اللسان لا باللغة.

ثم نجده يبين بالدليل أن القرآن الكريم يعبر عن اللغة بدل اللسان في مواضع كثيرة دليل على اختلاف المصطلحين في الدلالة ومن الآيات التي استشهد بها قوله تعالى:﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾ **الإسراء44**

هذا التواصل اللغوي بين الحيوانات والكائنات يكون عموما بلغات تخص كل فصيل منها وكل ما في الأمر أن لغتها تفقد ما أسماه أندري مارتيني التمفصل المزدوج الذي هو "ظاهرة صوتية ودلالية بشرية"[3]، حيث لا يمكن تقسيم هذه اللغات غير البشرية إلى وحدات صوتية صغرى غير دالة وإلى مورفيمات صغرى دالة لكن يبقى أنها لها لغة تتواصل بها .

إن التعبير القرآني الدقيق باستعمال لفظة اللسان للدلالة على اشتماله اللغة وأكثر، لم يكن هباءً أو صدفة وحاشاه، وإنما هو دليل قاطع أن العربية أو اللسان العربي "يشمل مختلف المنطوقات العربية

1عبدالجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر ،ط1 ،2013، ص 145

2 عبد الجليل مرتاض، علم اللسان الحديث في القرآن، دار هومة، الجزائر، ط1، 2013. ص 17

3 عبد الجليل مرتاض، علم اللسان الحديث في القرآن، ص25

من لهجات وتكلمات وهي كثيرة"[1] ومتعددة، فالكلمات الأعجمية التي عربت واتخذت أوزانا عربية كلها أسماء مثل زنجبيل وأباريق واستبرق، وفردوس ومشكاة وغيرها من الكلمات واللهجات العربية المتعددة التي حواها القرآن بقراءاته المتواترة .

أما من الجانب اللساني فإنه يتعين "اللسان بوصفه رموز الاتصال ويدرك من هنا استخدامه في تطابق بين 'صورة سمعية وتصورات' أي الكلام هو استخدام هذه الرموز للاتصال من قبل المتكلمين في الاستعمال واللسان فوق ذلك قصور ذاتية وحيازته تستخدم الاستعدادات الوحيدة 'القابلة للتأثير للعقل قبل الذاكرة، وبتلازم كل نشاط مربوط باللغة ينتمي إلى الكلام"[2]،ومن هنا تتمايز لنا الحدود الفارقة بين اللسان واللغة والكلام في علم اللسان الحديث.

[1] عبد الجليل مرتاض، علم اللسان الحديث في القرآن، ص32

[2] المصدر نفسه، ص 49

المبحث الثالث: التطبيقات البنوية عند عبد الجليل مرتاض

لقد تلقى النقاد العرب المنهج البنيوي كغيره من المناهج النقدية الأدبية السياقية (المنهج النفسي التاريخي الاجتماعي) والمنهج الرومانسي .... ولكن الفرق في تلقي هذه المناهج وتلقي البنيوية يكمن في أن تلقي النقاد العرب للبنيوية قد " تم دفعة واحدة بعد اكتمالها وتجاوزها في الغرب، فلم يتم تمييز اتجاهاتها أو الفروق بينها إلا في لمحات قليلة"[1] هنا وهناك.

وقد بدأت البنوية بالظهور في الدراسات العربية من خلال الترجمة التي انبرى لها ثلة من الأساتذة والنقاد أمثال سعد مصلوح، أحمد مختار عمر...وغيرهم، ثم بدأت وظهرت عملية التأليف في البنوية في الجانب النظري، وبعدها انتقلت إلى التطبيق البنوي على النصوص الأدبية (الشعر، القصة، الرواية) من أمثال ذلك دراسة: يمني العيد، عبد الله الغذامي، كمال أبو ديب، محمد بنيس، عبد السلام المسدي، صلاح فضل، إبراهيم زكرياء، منير الحمداني، السعيد علوش، ومن النقاد الجزائريين عبد الجليل مرتاض، عبد المالك مرتاض، حبيب مونسي وغيرهم، ويعتبر عبد الجليل من بين النقاد الذين تلقوا النقد البنوي تنظيرا وتطبيقا، وحاولوا ممارسته كذلك تنظيرا وتطبيقا .

البنوية التطبيقية عند عبد الجليل مرتاض:

المتصفح لكتب العالم الجليل عبد الجليل مرتاض يلاحظ أن الرجل قد مزج بين التنظير والتطبيق، وبين الترجمة للدراسات التطبيقية اللسانية الغربية ومحاولة إسقاطها على النصوص العربية مع المحافظة على خصائص هذه اللغة المتميزة الفريدة من نوعها، والتي هي لغة القرآن حيث ألفت فيها المؤلفات الكثيرة والكبيرة.

لقد تلقى عبد الجليل مرتاض البنيوية كفكر ومنهج علمي لتحليل ودراسة النصوص اللغوية الشفويةالمكتوبة ف نجد أن له مجموعة مميزة من الكتب التي شرح فيها المنهج البنيوية وبسطه فكريا، وطبق فيها مفاهيمه على العديد من النصوص الأدبية من روايات وقصائد شعرية ورسائل أدبية وقصص، ومن أبرز هذه الكتب: (البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، كتاب التحليل البنيوي للمعنى والسياق، كتاب

1 سامي عبابنة، اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط2، 2010، ص 195

البنية الزمنية في القصص الروائي، كتاب البنية السردية في الإبداع الروائي، كتاب التحليل البنيوي للمعنى والسياق، كتاب المورفيمات الكلاسيكية والنحوية، كتاب التحليل اللساني البنوي للخطاب،

كتاب اللسانيات الأسلوبية

نجد عبد الجليل مرتاض انبرى لهذا العمل الكبير وهو التعريف بأهم النظريات الغربية،وحاول تبسيطها وتقريبها إلى الدارسين العرب بأقصر الطرائق الممكنة والأقل تعسفا، فهو لم يخرج عن التعريف العام البنوي للغة وعن النظرة الخلقية للتحليل البنوي الذي ترى بأن عملية الكتابة أو إنتاج النصوص ليست اعتباطية في النسق وإنما وضعت كل وحدة من وحدات النص لتؤدي وظيفة مما جاورها من الوحدات وتشكل بناء ونظاما عاما معها. لهذا نجد عبد الجليل مرتاض يضع مجموعة من المبادئ التي يرتكز عليها الناقد في تحليله للنصوص انطلاقا من هذه النظرة للغة .

وكذلك من نظرته للبنوية اللسانية والتي هي "التجريد الذي لا يعين مسبقا وقائع لسانية إلا من خلال شبكة العلاقات للتعارض المتمايز بين العناصر التي تسمح للغة بأداء وظيفتها الأساس والتي هي وظيفة تبليغية ولكي يكون ثمت فعلا تجريد فإن البنية اللسانية ينبغي ألا تكون خلقا من الفكر بل منبعثة أو مستخلصةً من اللغة"[1]، وهذا هو أساس التحليل البنوي المبني على أولوية الداخل (العلاقات الداخلية) على الخارج (كل العوامل المؤثرة في العمل الأدبي من الخارج)، لكن هذا الطرح جعل البنوية في مأزق مما اضطر بعض من علمائها محاولة تطويرها وتغذيتها بأفكار جديدة من أمثال تشومسكي الذي اقترح تبرير الوصف التحليلي ليتجلى المعنى وذلك بالاستعانة بالتخصيص والحدس واستعمال التجارب السابقة والمعلومات في عملية التحليل، فهذه إضافات لم تعهدها البنوية من قبل.

ومن الإضافات التي حاول عبد الجليل مرتاض دمجها أثناء التحليل البنوي للسياق هي أن " السياق المقامي شكل من أشكال الغياب والاستحضار ومع ذلك فلا يمكن فصله عن علامته لأن مفهوم العلامة بالنسبة للسياق المقامي يجب ألا يفهم ذاك الفهم الضيق، الذي أشار إليه دي سوسور وثمنه لاحقا رومان جاكسون ومن والاه من للسانيين الغربيين، بل ينبغي أن يمطط مفهومها ليشمل العلاقة السياقية في كلياتها

1 عبد الجليل مرتاض اللسانيات الأسلوبية، دار هومة، الجزائر، 2013، ص11

وشموليتها بجميع ملابساتها ومفارقاتها"[1]، وهذا عامل ساعد في التحليل اللساني تفطنت إليه كثير من المدارس اللسانية الحديثة، وهذا المفهوم طوره كذلك هاليدي ورقية حسين.

وإن السياق لمهم جدا في تحليل اللغة العربية لما تعرفه من ترادف وتشابه في الصيغ وكذا في نطق بعض الألفاظ، والتي لا يمكن تميزها إلا مِن خلال السياق والكتابة، وهذا ما يطرحه عبد الجليل مرتاض،ثم نجده يورد مجموعة من الأبيات :

تَوَهّمْتُ آيَاتٍ لـها فَعَرَفـتُها لِسِتّةِ أعْوامٍ وَذَا العامُ الـسابِعُ

رَمادٌ كَكُحْلَ العينِ لأياً أُبينُهُ ونؤيٌ كجِذمِ الحوضِ أثْلُم خاشـعُ

كأنَّ مجرّ الرامساتِ ذيولها عليه حصيرٌ نمقتهُ الصــوانعُ

- هذه الأبيات للنابغة الذبياني

ثم يقول هل التحليل البنوي اللساني لمثل هذه الأبيات دون استحضار السياق والمقام لا يغني عنك شيئا، فكيف لك أن تفهم معاني الكلمات –ستة- سبعة- العام- الرماد- الرامسات- الذيول وغير من الألفاظ، ثم يربط السياق بالجمل من حيث التناهي واللامتناهي فيقول" هل يفيدك ما هو لساني لتلقي هذه الملفوظات النابعة إفادة تغنيك عن إحالات تاريخية واجتماعية ونفسية وثقافية، ومن ثم فإن السياقات مثلها مثل الجمل من حيث كونها غير منتهية، وأنا المتلقي الطبيعي لها هي الجمل من حيث كونها غير منتهية وأن المتلقي الطبيعي لها هو الذي يدرك أبعادها الدلالية أو الفنية أو الجمالية وأغراضها المعبر بها والتي لا ينبغي أن تتجاوز بعدها الزمني والمكاني، وهذا هو الأصل في أي تبليغ سياقي"[2]، فتصبح هذه الألفاظ إذا جردت من سياقها ومقامها تحيل إلى عدد غير منته من المعاني لأنها تؤلف عدد غير منته من الجمل، ومنها لا يصبح للتحليل اللساني معنى ولا أثر في توليد الدلالة.

1 عبد الجليل مرتاض، التحليل البنيوي للمعنى والسياق، ص 32

[2] المصدر نفسه، ص34

النقد التطبيقي في كتاب "البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي":

نجد عبد الجليل مرتاض منذ البداية يؤكد أن الممارسة التطبيقية لن تخرج على المنهج البنوي الإجرائي مما يسهل على القارئ والناقد تصور حدود المنهج وتتبعه منذ البداية ودون عناء، وقبل الشروع في تحليله لهذه المدونة تطرق إلى التعريف الاصطلاحي للمدونة عند كل من أندري مارتيني وغريماس، ثم المدونة من منظور النحو التوليدي ليستخلص لنا مفهوم عام وشامل للمدونة.

أ- مفهوم المدونة عند عبد الجليل مرتاض:

المدونة عنده هي" كل مجموعة نهائية من الملفوظات المعتبرة كمشخصات لنمط اللغة الهدف لدراستها بانتقاء وثيقة شفهية أو كتابية أو صوتية لوصفها وتحليلها"[1]، ولمعرفة طبيعة وحالة اللغة التي يريد وصفها وكذا الاطلاع على الأساليب المتبعة في تحريرها وعلى ما تحتوي من مميزات شكلية وقواعد قانونية داخلية، فيعمل على إبرازها واستخراجها.

أما المدونة التي بين أيدينا فهي رسالة الضب للعالم الجليل البشير الإبراهيمي، فهي رسالة "مهيكلة هيكلة لا تضاهي إلا نفسها ولا يمكن بحال على مستوى بنيتها الداخلية، أن تكون منسوجة بغير نسيجها البنيوي، هذا النسيج الذي لا أحسب أن أديبا بليغا مثل الإبراهيمي يكون قد فكر فيه سلفا"[2]، وهذا مجزوم به لأنه رحمه الله قال في آخر هذه الرسالة " لكن عذري عندكم وعند من يطلع على هذه الرسالة فيجد فيها قصورا أو وصفا لبعض الأسماء في غير موضعها أنني أمليتها في ليلة وما أملاها إلا فكر كليل عن حافظة مختلة نسيت أكثر ما وعت، وضيعت كثيرا مما استوعبت، مع اضطراب الحال واشتغال البال، وعسى أن تكون هذه الرسالة تذكرة بالحال الذي كتبت فيه والبلدة التي صدرت عنها، والزمان الذي أنشئت فيه" [1]، وهي رسالة أرسلها الشيخ البشير الإبراهيمي إلى طالبه الأستاذ أحمد بن أبي زيد قصيبة،

1 عبد الجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص18

2 المصدر نفسه، ص 27

يشكره فيها على تقديمه هدية لابنه أحمد، وهي عبارة عن ضب وورد محنطين مما حفز الشيخ على تنشيط ذاكرته القوية واستحضار ما حفظه وسمعه على هذا الحيوان ذي الأوصاف والأحوال الخاصة المميزة.

ب– التحليل اللساني والسّجل اللغوي:

دفاعا عن نظرية السياق والمعنى وأثناء تحليله لرسالة الضب للبشير الإبراهيمي عمد عبد الجليل مرتاض إلى التعريف بمفهوم السّجل اللغوي، الذي اختلفت تعاريفه فهو الاستعمال المميز " للغة كي يؤدي وظيفة تواصلية معينة في نوع محدد من الأوضاع إلا أنه ليس من الضروري أن يكون النص مشبعا باستعمال متسق للمفردات والتراكيب النمطية "[2]، فاختيار المفردات اللغوية والتراكيب يرجع إلى السياق وتتحكم فيه عملية التواصل كون أن للمتكلم اختيارات كثيرة تجعله ينتقي الأحسن لإتمام التفاعل في أحسن صورة .

وقد استخرج عبد الجليل مرتاض من رسالة الضب ثلاثة أبعاد للسجل اللغوي:

البعد الأول :

ويخص جميع المفردات والتراكيب والوحدات اللسانية والأساليب البلاغة والدلالية التي استعملها البشير الإبراهيمي لتتناسب مع الرسالة " ولم يفرغ في كل ما في وعائه اللغوي بل اجتزأ بتوظيف وحدات لغوية متباينة من فقرة إلى فقرة ومن فصل إلى فصل ولئن تكررت فئة من الفئات النحوية أو الصرفية أو البيانية، وسوى ذلك فليس لبلاغ مكرر أو مبتذل بل لمقاصد متباينة"[3]، فكل هذه الوحدات جاءت لتؤدي وظيفة في النص .

البعد الثاني:

فهو متعلق بالأداء اللغوي كتابيا أو خطابة وكذلك "يضطلع بالاختلافات اللغوية الناجمة عن اختلاف المنطوق بالمخطوط لكن مدونتنا خطية ولا صلة لها بأحد الشقين في هذا البعد ونحن نعلم أن من

1- آثار الإمام الإبراهيمي، ص 52

2 روجر فاولر، النقد اللساني، ص 312

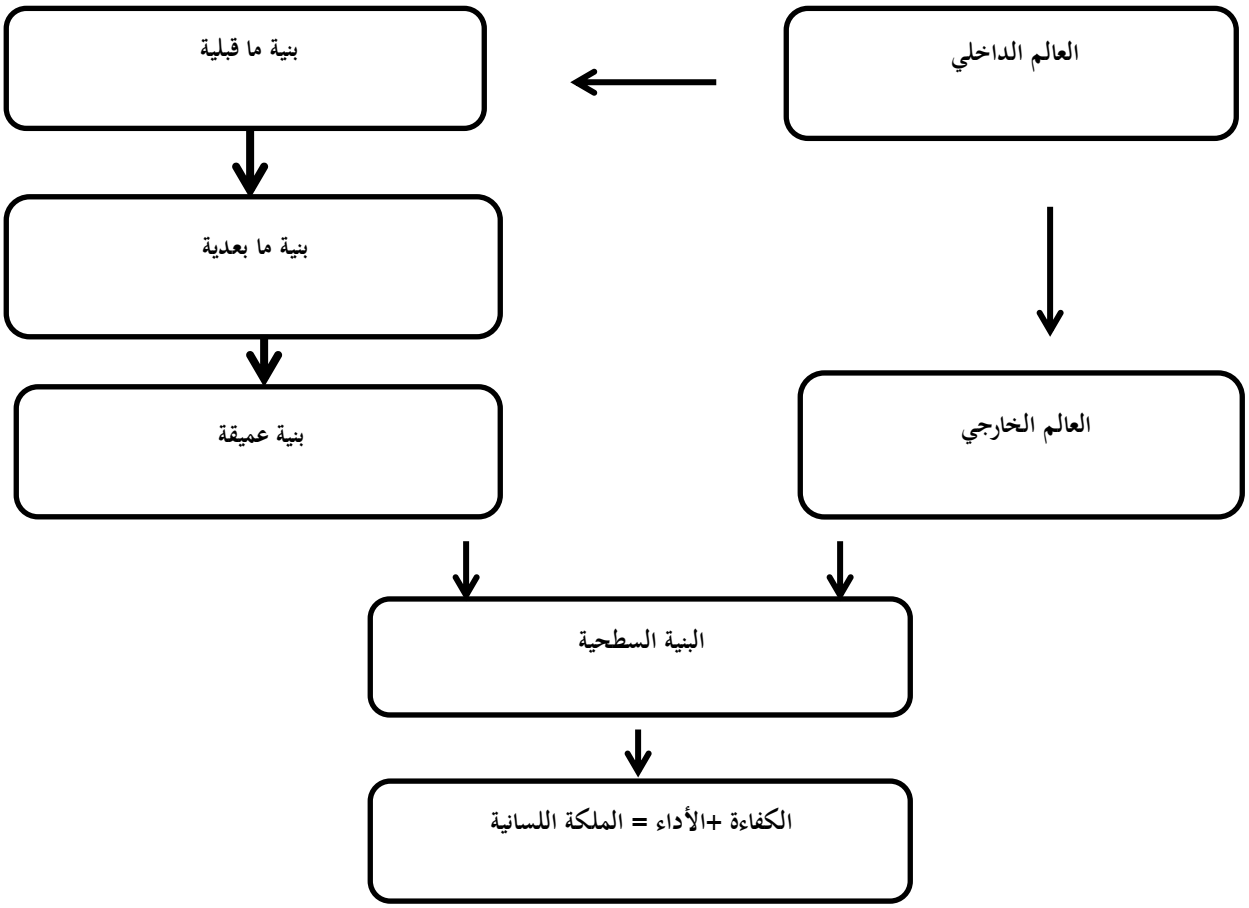
3 عبد الجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص29

يكتب لا يتكلم ومن يتكلم لا يكتب"[1]، فالمفردات واضحة كتابةً، وتفسيرها وتأويلها ليس بالأمر العسير على قارئ أو ناقد مطلع على اللغة العربية ومتبحر في معانيها.

البعد الثالث : وهو متعلق بالنتائج النهائية من عملية التواصل و"بالنتائج اللغوية التي تنجم عن علاقات المبدع بالمتلقي في حدث ما"[2]، بعيدا عن كل التأويلات والانحرافات الممكنة أثناء التلقي أو القراءة أو النقد.

وكبقية البنويين عمد عبد الجليل مرتاض إلى تقسيم المدونة إلى أربعة بنى أساسية وهي بنية ما قبلية، وبنية ما بعدية وبنيات سطحية وبنيات عميقة .

وقد مثلها في هذا المخطط التوضيحي



1 عبد الجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص30

2 المصدر نفسه، ص 30

من خلال المخطط نجد أن الرجل قد قسم هذه البنيات تقسيما فريدا من نوعه لم نلفه في الدراسات النقدية، فهذا النوع من التقسيم في المدونة نفسها حيث أن العالم الداخلي للنص تتشكل منه بنية ما قبلية، وهي خاصة بكل من يتواصل باللغة العربية في الجزائر في تلك الفترة الزمنية على الأقل لأن الإبراهيمي يشترك مع أبناء وطنه في "التواضع والاصطلاح مثلما يشترك معهم في الاعتباط والعادات والثقافة ولربما الاجتماع "[1]، وهذا أمر مهم في تحديد البنية الما قبلية، أما البنية الما بعدية فهي انتقائية إجرائية وفق مجال لساني عام"[2]،لكن في نسج إبداعي خاص ومميز لا يتأتى لأي أحد، فالإبراهيمي أبدع صورتا أدبية خالدة خلود لغتها .

ثم نجده في المخطط قدم البنية العميقة على البنية السطحية كوّن هذه الأخيرة تتولد عنها مجموعة من البنى العميقة لكن هذا التقديم لم يكن اعتباطيا من مرتاض لأنه يعلم أن نسج النصوص الأدبية ليست اعتباطية، وإنما يتولد من فكرة عميقة ترسل عن طريق بنية لغوية هي البنية السطحية، حيث أن هذه البنية السطحية يمكن أن تصل إلى مبتغى الكاتب من عملية الإرسال أولا، لهذا نلجأ إلى تحليل البنى السطحية واستخراج البنية العميقة.

ومن خلال المخطط نلحظ أن المؤثرات الخارجية المصاحبة لعملية إنتاج النصوص تسهم في إنتاج البنية السطحية، وذلك نظرا لطبيعة الكاتب ووضعه الاجتماعي وموقفه السياسي وغايته من الرسالة، وهذا كله يُنم عن مستوى الملكة اللسانية والقدرات اللغوية والأدائية التي تحدث عنها دي سوسور في التفريق بين اللغة والكلام، وكذا تشومسكي في الحديث عن الكفاءة والأداء وهذا هو لب التحلل البنيوي .

ينطلق عبد الجليل مرتاض في دراسة التزامنية والزمنية لهذه المدونة من كوّن أن الحديث عن الضب في الحكايات العرب وأساطيرهم ونظرتهم إليه واعتقادهم فيه هذه من قبيل الدراسة الزمنية التي تهتم بتتبع المفاهيم عبر حقب زمنية متتالية، أما الروابط "التزامنية فهي إحالات داخلية تمثل مجموعات حاضرة بقوة الفعل من خلال تواجدها في سياق تركيب أو جملة أو فقرة أو نص بكامله"[3]، وهذا الذي أوقع البنوية في

1 عبدالجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص32

2المصدر نفسه، ص31

3 عبدالجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص37

مأزق حيث أن هذا الوصف التزامني يحتاج إلى تحليل في جميع المستويات وكشف الروابط الداخلية في آن واحد دون الاستعانة بما هو خارج على النص وهذا يستحيل في مدونة مثل هذه التي بين يديه .

قبل الخوض في شرح البنيات الأساسية التي وقف عليها عالمنا في هذه المدونة، انطلق في تحليله من أنها بنية تكتفي بذاتها ولا تتطلب لفهمها عناصر خارجة عنها، لذلك لجأ في تحليله إلى تقسيمها إلى أجزاء وعناصر ووحدات، ويرى أن كل "عينة منها تكوّن نصا مستقلا عن نظيرتها الأخرى حتى ولو كان الفضاء الشامل لها سياقا خطيا، ولكن الاجتزاء بتحليل عينة واحدة منها لا يضر مدونتنا كثيرا لأننا كما وقفنا عليها أنها بنيات مقحمة في بنية واحدة"[1]، وفي مجملها خمس بنيات قارة تحيل كل بنية منها عن معنا كامل، وتتفاعل مع البقية في إنتاج المعنى العام للنص.

وكما أن الأصوات تتشاكل في كلمات، والكلمات تترتب في جملة لتوليد المعنى العام للجملة فهذه الجمل تمثل بنية عامة ذات مفهوم خاص، وهذه البنيات الخمس أو الثمانية تشكل معنى الرسالة العام والذي يَصيب "كله في اتجاه وصف سلوكيات الضب وما نسجت العرب حوله من الأساطير"[2].

لقد اتبع عبد الجليل مرتاض المنهجية العلمية والهندسية نفسها التي يعتمد عليها البنويون في تحليلهم الإجرائي، حيث ترجموا "نظم العلامات وأشكال العلاقات الدلالية في الأعمال الأدبية إلى رموز رياضية أحيانا وأشكال بصرية أحيانا أخرى، بغية توضيح هياكلها ورسم علاقاتها المتشابكة، والأمر يضفي على بعض هذه الدراسات صيغة علمية بقدر ما يجعلها صارمة للذوق الأدبي السائد ومجافية له"[3]، لذلك وجب التمييز بين الدراسات النقدية اللسانية والقراءات الأدبية الجمالية لكي لا يتشتت فكر القارئ بين قراءة القراءة، والدراسات العلمية اللسانية، وهذا ما تفطنت له مناهج ما بعد البنيوية حيث تخلت عن الرموز الرياضية والجداول التفسيرية والمخططات التوضيحية وراحت تقرأ النصوص لتولد الدلالة، وإنتاج نصوص أدبية من هذه القراءة.

1عبدالجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص 38

2 عبدالجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص39

3 صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1996، ص 99

ولتفسير وتوضيح العلاقة بين البنيات الثمانية المشكلة لرسالة الضب وتفاعلها في إنتاج الدلالة الكلية للنص، استعان بالجدول التالي:

المدونة					
1. العينات 2. العينات	بنياتها				
	تابعة	مستقلة	متقاطعة	كلية	جزئية
3. حضرة	−	+	+	+	+
4. الثانية	+	+و−	+	+	+
5. الثالثة	+	+و−	+	+	+
6. الرابعة	+	+و−	+	+	+
7. الخامسة	+	+و−	+	+	+
8. السادسة	−	+	+	+و−	+
9. السابعة	−	+	+و−	+و−	+
10. الثامنة	+و−	+و−	+و−	+و−	+

تحليـــــــل:

بخصوص البنية الأولى "حضرة الفيلسوف" نلحظ أن العالم الجليل عبد الجليل مرتاض عدها غير تابعة، فلأي شيء غير تابعة؟ للبنية الهيكلية الكلية أو لبنية المعنى، فهي غير تابعة للبنية الدلالية العامة

والتي تتجه إليها كل البنيات السبع أو الست، والتي تقوم في مجملها على التعريف بالضب وخصاله وصفاته واعتقاد العرب فيه، فالبنية الأولى هي افتتاحية لسبب كتابة هذه الرسالة إلى الأستاذ أحمد فلا تعرف الضب ولا تصفه ولا تركز عليه، فلذلك عدها غير تابعة ولكنها غير مستقلة عن الهيكل العام، والمفسر للرسالة كوّن أنها (الرسالة) ذات شكل وطابع متعارف عليه، وعزل هذه البنية يولد خلل في الشكل لا في المعنى .

بعكس البنيات الثانية والثالث والرابعة والخامسة فهي تابعة في تشكيل المعنى العام التي تتجه إليه الرسالة، لكن يمكن أن تستقل عن الشكل العام كرسالة.

لقد اختار عبد الجليل مرتاض بنية واحدة كعينة للتحليل البنوي التطبيقي لينسحب المنهج على جميع البنيات السبع، والبنية العيّنة هي البنية الثانية ففي قول البشير الإبراهيمي (ونعود إلى الحديث عن الضب) يقول أن التركيب هذا "ما كان ليمثل في ذهن المتكلم هكذا لو لم يسبق له أن تحدث عن الضب في العينة الأولى حضرة الفيلسوف"[1]، ثم استخرج من هذه العبارة أو البنية السطحية مجموعة من البنى العميقة:

- ✓ عودة الكاتب للحديث عن الضب.
- ✓ سبق للكاتب أن تحدث عن الضب.
- ✓ مازال في نفسه شيء من الحديث عن الضب.

وهذه طريقته في استخراج البنيات العميقة، كما عمل على تبسيط الجمل الموسعة إلى جمل صغيرة مفهومة، وأساس التحليل والإدراك وتلقي القارئ للرسالة مبني على أن تكون الصورة الذهنية في هذه الرسالة على النحو التالي: "تمثل – صنف دلالي – وسيلة تعبير – صنف سانتيكسي"[2]، وهو التسلسل الذي وضعه لاستخراج البنيات العميقة.

1 عبدالجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص42

2– عبدالجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص41

أما التلقي فيكون بطريقة عكسية مبنية على قراءة الرسالة ثم توهم وتوقع وافتراض وتركيب معين، والذي بدوره يحيل إلى دلالة معينة توصلنا إلى الفهم الصحيح للرسالة وقد شكلها في المخطط التالي: "مرسلة– فرضية سانتيكسية – فرضية دلالية – فهم"[1]، وهو التسلسل الذي وضعه لقراءة الرسالة.

إنّ بناء الفرضيات راجع إلى الوحدات اللسانية المختارة، والتي تترابط مع وحدات أخرى لإنتاج معنى النّص "فضلا عن الدلالات والقواعد التي استعملها في مرسلته وجاء المتلفظ بنمط سانتيكسي ودلالي مشترك، بفضل ما يعرف بالمواضعة أو رموز الاتصال المتجانسة، لكن المتلفظ في حاجة إلى تأويل وضبط إدراكه الحسي الذي لا يكون بالضرورة إدراكا متشابها بين كل المتلقين"[2]، ويعود هذا إلى الرصيد العلمي والثقافي للمتلقي.

يلحظ المتتبع لآليات التحليل عند عبد الجليل مرتاض أنه يستعين بكل أسلوب بنيوي أو رأي داخل هذه المدرسة يساعد على تحليل البنيات، فنجده يفضل التحليل التحويلي على التحليل البنيوي الما قبل تشوميسكي، ويرى أن "هذا النوع من التحليل إلى مستويين والذي يعد أكثر تجريدا من النحو البنيوي الذي يتموضع في البنية السطحية لا غير، يسمح دلاليا بتقديم توضيحات وخدمات لسانية بحيث يهيئ لنا السبيل بتقديس الغموضات السانتيسكية خاصة في اللغات غير المعربة، وإرجاع كل جملة معقدة بواسطة قواعد التحويل إلى تأليف من جمل بسيطة"[3]، هذا التحول في قواعد وأساليب التحليل، من البنيوي البسيط إلى التوليد والتحويل إلى التقطيع المزدوج، هدفه كشف التواشحات الداخلية للبنية والعلاقات القائمة بين وحداتها قصد فتق معانيها واستخراج أهدافها من العملية التواصلية.

التحليل اللكسيكي للنصوص:

رغم أن عبد الجليل مرتاض أُنتقد في استعماله لهذا المصطلح (اللكسيكي) إلا أنه يصر على هذا الاستعمال، مع أنه يُعرفه في قاموسه 'القاموس الوجيز في المصطلح اللساني' على أن هذا المصطلح

1عبدالجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص44

2 المصدر نفسه، ص45

3 المصدر نفسه، ص48.

يقصد به "مفردات لغة"[1]، ولكنه يرفض تداوله بين اللسانيين، وقد ألف كتابا مهما في التحليل اللغوي المرفيمي وسماه "المورفيمات اللكسيكية والنحوية"، والذي حدد فيه عدة مفاهيم خاصة بالمرفيم والفرق بين الكلمات اللكسيكية والكلمات النحوية والفروق الجوهرية في قواعد التحليل بين لغة ولغة أخرى، وقصد ترتيب المفاهيم للقارئ خصص الفصل الثالث من هذا الكتاب للتطبيق على قصيدتين من ديوان النابغة الذبياني، ويقول أن اختيار هذه القصائد كان من باب العفوية وهو يعلم العلم اليقين أن الاختيار إن لم يكن عفويا فهذا يعني أنه كان مقصودا، وإن القصدية في اختيار المدونة أو العينة تفيد أنه تم التجريب على هذه المدونة وجعلت للتطبيق، ولذلك يشترط في التحليل اللساني أن تكون المدونة عشوائية كي تظهر النتائج الحقيقية وهذا ما يعتمده عالمنا عبد الجليل مرتاض لأن هدفه الوصول إلى نتائج علمية تعمم على كل النصوص العربية.

ثم نجده يقر باستحداثه لنموذج فريد من نوعه يصلح للتطبيق على اللغة العربية نظرا لخصوصياتها، والتي لا تشبه أي لغة أخرى، وهذا دون" التمسك برؤية مارتيني الذي تشكل عنده المورفيمات اللكسيكية كل ما يؤلف لكسيكا ولا لارتباط برؤية أولمان وماتيو الذين يقتصران في هذا الموضوع علي الكلمات اللكسيكية وحده "[2]، ففي هذا النموذج التحليلي الذي يعتمد في الأساس على تحديد المفاهيم الأساسية التي اختلطت من مدرسة إلى أخرى، ومن عالم إلى عالم في نفس المدرسة، وقد ركز عبد الجليل مرتاض على تحديد مفهوم المورفيم الذي هو أصغر وحدة دالة، والذي يقابل " المورفيمات لدى أندري مارتيني"[3]، وقد يكون المورفيم كلمة أو جزء من كلمة، ولهذا سنجد مصطلحات متداخلة ومتضاربة مثل الكلمات النحوية والكلمات اللكسيكية، رغم أننا قلنا أنها جزء من كلمة، ولهذا نجد عبد الجليل مرتاض في تحليله يجعل مقدمة نظرية، كما لاحظناه في هذا الكتاب حيث جعل فصلين نظريين يحدد فيهما المفاهيم وهو يقر أنها صعبة التحديد .

والذي هو متفق عليه في التحليل بين اللسانين أن أي لغة يمكن تحليلها، وهذا من منطلق أن أي كلام منطوق أو مكتوب بلغة ما يمكن " تجزئته إلى وحدات نحوية مستقلة أي إلى جمل يمكن تجزئتها إلى

1 عبد الجليل مرتاض، القاموس الوجيز في المصطلح اللساني، ص 209

2 عبدالجليل مرتاض، المورفيمات اللكسيكية والنحوية، ص 5

3 المصدر نفسه، ص05

كلمات يمكن أن تجزأ بدورها إلى مرفيمات Morphemes وصوتيمات، وتعتمد هذه التجزئة على ما يفرضه التحليل اللساني من وجود تدرج هرمي من العلاقات التي ترشدنا إلى تحديد مكان ثابت للكلمة في نظام اللغة العربية، والتي يمكن تعريفها بأنها مجموعة من الأصوات المنتظمة في بنية صرفية تدل على مفهوم أو تصور إذا كانت اسما، وفعل أوحدث إذا كانت فعلا "[1]، ومفهوم الكلمة هنا لا يختلف عن المفاهيم الغربية التي على العموم تدل علي أن الكلمة هي مجموعة أصوات ذات دلالة ومعنى يحسسن السكوت عنها، ويمكن أن تُجزأ إلى مورفيمات وهي أصغر الوحدات الدالة وإلى فونيمات وهي "أصغر وحدة صوتية لها وظيفة في بناء الكلمة"[2]، وتتحدد معنى هذه الأخيرة بها، وهذا المصطلح غربي انتقل إلى اللغة العربية، وقد عرب إلى عديد من المصطلحات لكنها لم يكتب لها الذيوع والانتشار مثل "الصوت اللغوي، الصوتم، الصويتة المصوت، الوحدة الصوتية"[3]، وهذا الذي لم يستعمله عبد الجليل مرتاض في دراسته ونموذجه التحليلي، لكنه استطرد أن ما هو فونيم إن كانت له دلالة في نفسه يصبح بالضرورة مورفيما أي "المورفيم أصغر وحدة دالة الذي يشمل فونيمة واحدة يبقى مورفيما كما هو الحال بالنسبة لـ (بـ)"[4]، ويقصد به حرف الجر ويقصي بذلك الفونيمات المركبة للكلمة نفسها في هذه الدراسة، رغم أنه على يقين أنها ذات تأثير في توليد المعنى كما ذكرنا سابقا إلا أن الدراسة لا تستدعي ذلك .

وفي العربية دلالة الفونيمات متوسعة جدا لأنها لا تشمل الحروف الثمانية والعشرون فقط، بل تشمل كذلك الحركات (الضمة والكسرة والفتحة) إذا كانت حركات لازمة لحروف المباني، وكذلك إذا كانت حركات متغيرة وهي "العلامات الإعرابية من حركات قصيرة (فتحة وكسرة وضمة) وسكون أو حركات طويلة في علامات الإعراب الفرعية (الألف، الواو، والياء) للدلالة على الوظيفة النحوية للكلمة، وهو معنى إضافي فوق معنى التداول اللغوية"[5]، فلا يمكن تحديد معنى الوحدة اللغوية الصرفية دون الحركات الإعرابية التي هي في أصلها نوع من الفونيمات الصوتية .

1 كريم زكي حسام الدين، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، دار غريب، القاهرة،2000 ص 3

2 عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، سوريا، 1998 ص 224

3 المصدر نفسه، ص227

4 عبدالجليل مرتاض، المورفيمات اللكسيكية والنحوية، ص7

5 محمد محمد داود، الصوائت والمعنى في العربية، دار غريب، القاهرة، 2001، ص 21

كما يشمل الفونيم كل التلونات الصوتية التي تصيب المباني الإفرادية والتركيبية مثل الإمالة والتنغيم والنغمة والنبر وغيرها من الفونيمات الفوق مقطعية التي لها دلالة.

يعتمد عبد الجليل مرتاض في نموذجه على تحديد المركبات اللكلسيكية وهي أربعة :

- وحدات مرموزة (معبّر عنها برموز دالة)
- المورفيم
- الكلمة
- اللفظة.

فالوحدات المرموزة الدالة هي وحدات أدنى من "الجملة التي تكونها بحيث كل وحدة لسانية تدخل في تركيب وحدة أعلى على أن تؤدي وظيفة مكملة وأنَّ هذا التكامل يسمح بإنتاج عدد لا يحصى من العلامات بعدد محصور من الوحدات"[1]، ويورد مثلا توضيحيا مبسطا لتبين مستوى التكامل في هذه الجملة:

– أمر الرئيس بتحسين وضعية الباحثين.

أمر – ال – رئيس–ب – تحسين– وضعية – ال – بحث – ين

فيرى أنه "لا يمكن أن نضيف شيئا وإلا دخلنا عالم التقطيع المزدوج الثاني أي خرجنا من المورفيمات وعانقنا الفونيمات"[2]، فالنموذج واضح والتحليل مقيد وحدوده ظاهرة بينة.

أما فيما يخص طبيعة الكلمات اللكسيكية والكلمات النحوية، فقد وجدنا عبد الجليل مرتاض يقر بأن هذه المفاهيم متضاربة وغير متفق عليه، ولكن من باب الاصطلاح فقط سيتبع هذه المصطلحات لأن جل اللسانيين يتفقون على أن "الكلمات الكاملة لها مضمون أغنى وأكثر تحديدا من الأدوات، وهذه الأخيرة هي في الحقيقة الأمر مجرد عناصر أو رسائل نحوية ليس لها معنى مستقل خاص بها،

1 عبدالجليل مرتاض، المورفيمات اللكسيكية والنحوية، ص5

2 المصدر نفسه، ص7

إنها ليست شيئا أكثر من وسائل وظيفتها التعبير عن العلاقات الداخلية بين أجزاء الجملة ومنزلتها في علم النحو تستوى ومكانة التصريف، والوسائل النحوية الأخرى التي تستخدم لنفس الغرض"[1]

وإذا توقفنا عند هذا التعريف الذي قدمه 'ستيفن أولمان'، نجده يستعمل مصطلح الكلمات الكاملة، وكأنه توجد كلمات ناقصة، لهذا نجد عبد الجليل مرتاض يستعمل كذلك مصطلح الكلمات الفارغة، أو الكلمات النحوية للتفريق بين اللفظ والكلمة.

إن مرجعيات" الملفوظية ومجموعتها الأكثر تمثيلية أنا، أنت، هنا الآن عبارة عن كلمات تشير من داخل الملفوظ إلى تلك العناصر الأساسية المكونة للملفوظية، وهذه العناصر هي : المتحدث، المخاطب ومكان وزمان الملفوظية، لكن المرجعيات تدل على تلك العناصر وفقا لطريقتها أي (أنها تقوم بعكس حدوثها) وهذا يعني أنه في كل مرة يتحدث فيها أنا فإن هذه الكلمة لا يسعها إلى التدليل (الإشارة) على الفرد الذي قال أنا بهدف الحديث عن نفسه"[2]، فهذه الضمائر والتي هي كلمات تشير إلى أشياء، ففي مفهوم الملفوظية كل ما يشير إليها مثل أنا، هنا، وأي ضمير أو لاحقة فستضل في حكمها، فهي ملفوظ وعند بعض اللسانيين لا يجوز وصفها بالكلمات الفارغة لأنها ساكنة خارج الاستعمال ومؤثرة عند الاستعمال .

ومن هذا كله سنقف عند المصطلحات التي اختارها الرجل دون مشاحات في المصطلحات كون أن النموذج يفرض هذا .

الكلمات اللكسيكية والكلمات النحوية:

المورفيم بحكم أنه أصغر وحدة دالة، وهو في اللغة العربية عبارة عن جذور كلمات أو حروف ذات معنى أو سوابق أو لواحق ذات معاني نحوية وصرفية، وبهذا فإن الكلمات اللكسيكية "هي فئات الاسم والفعل والصفة والظروف "[3]، مجردة من كل الزوائد واللواحق أثناء التحليل والتقطيع، أما الكلمات النحوية "فهي

1 ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، ص 58

2 جان سلوفوني، الملفوظية، تر: قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص26

3 عبدالجليل مرتاض، المورفيمات اللكسيكية والنحوية، ص 31

الضمائر وأدوات التعريف وحروف الجر ... وغيرها"[1]، وكل ما يزيد عن الكلمة بدءا ولاحقا، ولولا أننا بصدد شرح مخطط لعالمنا لاستعملنا لفظة اللكسيكية (معجمية) وألفاظ نحوية ونتركها على عمومها .

ولكي يوضح لنا ويسهل لنا كل العقبات التي ستلقانا أثناء التحليل وفق هذا النموذج فقد عدد أصناف اللكسيك وحصرها في ثلاثة أصناف:

1 اللكسيكي العادي: وهو الذي "يحصل في الوقت ذاته مع الكلمة وهذا الصنف يناظر أو يطابق الكلمة العادية أو الكلمات المشتقة "[2].

2 اللكسيكي المركب: وهو المؤلف من "عدة كلمات والمتوافق مع الكلمة المركبة للقواعد التقليدية حصان بخاري، نائب مدير، جواز سفر"[3]، والتي تطرح إشكالية تحديد الدلالة ومن أين تستمد هذه الدلالة، هل هي من العرف أو التواضع أم نستمدها من مكونات هذا التركيب مثل حصان بخاري هل حصان + بخاري يمكن أن تدل على ما نقصده الحصان البخاري فطبعا لا، وهذا يجرنا إلى الحقول الدلالية وكيفية تحديد الوحدات المعجمية، ولكي نفهم جيدا" المقصود من التحديد لحقل دلالي نتصور أنفسنا مكان الدلالي من حيث تناول البحث وقد لاحظ الباحثون كيف يتصرف الدلالي، إنه يعتمد الفرضية التي بمقتضاها تكون البنية الدلالية مبنية من تجميع موحد للبنى، والقرار الأول المتخذ يكون له هدفه في المجال المدروس على سبيل المثال هل يتعلق ذلك بدراسة المجال المعجمي لألوان النبات أو يتعلق بدراسة القرابة المعرفية لوسائل النّقل ،.. إلىآخره"[4]، وبهذا نعود في التحليل إلى طبيعة المحلل وثقافته وموضوعيته وهكذا.

3- اللكسي المعقد: الذي هو "عبارة عن وصلة قولية جامدة أو متحجرة Fige، مطحنة قهوة، الطريق السّيار، شرق غر "[5]،وهذا النوع ينطبق عليه ما ذكرنا في اللكسيك المركب .

1 عبدالجليل مرتاض، المورفيمات اللكسيكية والنحوية، ص31

2 عبدالجليل مرتاض، المورفيمات اللكسيكية والنحوية، ص16

3 المصدر نفسه، ص16

4 كلود جرمان، ليمون لوبلان، علم الدلالة، تر: نور الهدى لوشن، دار الفاضل، دمشق، 1994 ص 57

5 عبدالجليل مرتاض، المورفيمات اللكسيكية والنحوية، ص 16

ونجده يحدد كذلك الأصناف المفتوحة والأصناف المغلقة، وهي نفسها الكلمات اللكسيكية والكلمات النحوية ولكن نوعية الصنف مفتوح أو مغلق تساعد على تميز الوحدات اللسانية وتحديدها، فيقصد بالصنف المفتوح "الأصناف les classes التي تنتمي إلى حدود لا منتهية مثل أصناف المورفيمات المعجمية (الأسماء، أفعال، ظروف، نعوت)، بينما يقصد بالصنف المغلق ما يتعلق بجرود منتهية أصناف مورفيمات نحوية، سوابق المحددات Predeterminents ضمائر شخصية، نعوت ملكية "[1]، وهكذا يمكننا تصنيف الألفاظ المكونة للنص، وتساعدنا هذه التصنيفات في معرفة الجذور المتكررة خاصة الأصناف اللكسيكية المفتوحة، والتي من خصائصها إنها "مفتوحة أمام حالتين: الاستعمال اللامتناهي، والتوليد اللغوي المستمر بشتى أشكاله المعروفة (من تحول معنوي ووضع لفظي ووضع مجازي واشتقاق اسمي ونحت وتعريب) فهاتان الحالتان تجهلان الصنف المفتوح دائما كأنه أقوى وأثرى من الصنف المسمى مغلقا أو منتهيا"[2].

أما الصنف المغلق فيفقد هذه الخاصية كون أنه إما ضمائر أو سوابق أو زوائد فلا تتأثر به الكلمات من تغيرات صرفية ، "ومهما يكن من اختلاف وجهات النظر بين المحدثين في تحديد الكلمات أو تعريفها، فإنهم يشيرون في كتبهم إلى اختبار دقيق يمكن أن نتبين منه معالم الكلمة أو حدودها، وذلك بأن يمكن أفرادها بالنطق وحذفها من الكلام أو إقحامها فيه، أو الاستعانة عنها بأخرى، بضمير المتكلم في الجملة السابقة لا يمكن إفراده وإن أمكن حذفه والاستعاضة عنه بغيره، أما شجرة في هذه الجملة فيمكن أفرادها ويمكن إقحامها في كلام آخر مثل 'نبت الشجرة في حديقتان'، ويمكن الاستعاضة عنها بكلمة مثل النخلة كأن يقال قطعت النخلة ليلة أمس"[3]، والجملة التي طبق عليها هي قطعت الشجرة بالفأس ليلة أمس، والشروط التي تجعل من اللفظة الكلمة، هي إمكانية إفرادها وتفريدها بأخرى أو حذفها ويتضح دائما الاختلاف في مفهوم الكلمة.

1 عبدالجليل مرتاض، المورفيمات اللكسيكية والنحوية، ص22

2 المصدر نفسه، ص43

3 إبراهيم أنس، دلالة الألفاظ، المكتبة الانجلو مصرية، مصر، ط2، 1963، ص 43

التطبيقات البنوية في الإبداعات الروائية عند عبد الجليل مرتاض:

من أهم الدراسات البنوية التطبيقية التي جاء بها عبد الجليل مرتاض تحليله لرواية "لن يكون الربيع إلا أجمل" لرشيد ميموني، وذلك في كتاب 'البنية السردية في الإبداع الروائي رشيد ميمون نموذجا' ، ومنذ البداية وكعادته يحدد عبد الجليل مرتاض المنهج الذي سيتبعه في التحليل، يقول: "سنحاول تحليل هذه الرواية تحليلا منهجيا خاضعا لتسلسل مقاطعه التي سلسلها الروائي حديثا وبنيويا من باب الجزء داخل الكل، ومن منطلق أن الكل يسود الأجزاء، وسنحاول أن نمهد كل تحليل بنيوي سردي بتحليل المقطع ملخصا تلخيصات متفاوتة"[1]، وهذا حسب طبيعة كل مقطع من مقاطع العمل الروائي.

وقد قسم هذه الرواية إلى تسعة عشر جزءا وخاتمة، وحلل كل جزء على حدى، وهذا بشرح وتبسيط المفردات والكلمات ثم تتبع مراحل السرد، بعد تحديد المقاطع الأساسية للخطاب السردي التي ذكرناها، مع إبراز العلائق القائمة بين هذه البنيات الأساسية، عمل على التفريق بين البنية اللسانية والقصصية، فالبنية القصصية عند عبد الجليل مرتاض "تختلف من حيث كونها بنية سردية معينة تتمثل بوجه خاص في الطريقة التي يكشف لنا عنها السارد من أجل اطلاعنا على ما يسرد علينا مخيرا أو مجبرا، أو موجها "[2]، لكن من حيث الشكل تحافظ على نفس الهيكل اللغوي الذي نُسجت على منواله الرواية، ومن هذا فإن العمل الإبداعي في الرواية " ليس معناه دائما البنية اللسانية للغة سواء كانت سطحية أو تحتية،بل يكمن في تلك الخطابات التي يشكلها ويتقنها الروائي تجسيدا في الأدوار التي يقلدها للشخوص الموظفة في روايته"[3]، وهذا هو علم السرد الذي انبثق أصلا من النقد البنوي، ثم تطور من مدرسة إلى أخرى، لذا نجد عبد الجليل مرتاض يتحدث عن البنيات السردية في هذه الرواية دون إهمال البنيات اللسانية .

ويرى عبد الجليل مرتاض أن" البنية السردية ليست هي البنية اللسانية ولا لغة السردي، هي لغة الكلام فالوحدات السردية تتخذ منحاها مستقلا عن المنحى الذي تتخذه الوحدات اللغوية، وإذا ما تطابقت الوحدتان فإن ذلك بمحض الصدفة ليس بطريقة منتظمة مرصود، بل الوحدات السردية ذاتها غير

1 عبدالجليل مرتاض، البنية السردية في الإبداع الروائي، ديوان المطبوعات الجامعية، 2016، ص 3

2 المصدر نفسه، ص 17.

3 المصدر نفسه، ص 17.

متماثلة فالشخوص والكائنات والأشياء الموظفة في أي عمل قصصي فني متباينة، ويكتشف المتلقي هذا التباين السردي عبر قنوات الوظائف والأفعال أو مستوى الرواية"[1]، إن البنية السردية "عملية لغوية ثانية غير العناصر اللغوية التي يتم التبليغ بدونها، ولكن التماثل الذي لا يقبل تطابقا ولا توازنا حاصل بينهما، فكل بنية سردية بنية لغوية، لكن ليس كل بنية لغوية بنية سردية، الأولي سطحية أما الثانية تحتية "[2]، أما في جانب التواصل فكلتا البنيتين تحتاج عناصر التواصل، الباث والمستقبل وقناة اتصال، ولهذا شكل عالمنا مخطط سرديا يماثل المخطط الذي يحدث أثناء عملية أتواصل اللغوي، إلا أن المستقبل للإرسال يمكن أن يكون حاضرا، أو يفترض في الحضور وهذا من خصائص السرد.

السارد ——— المرسلة المسرودة ——— المسرود له

اتصال سنن أو مواضع[3]

وقد حدد مستويات السرد كما يلي :

1-مستوى الوظائف بالمعنى الذي صرح به بروب .

2- مستوى الأفعال بالمعنى الذي يعطيه غريماس لهذه الكلمة .

3 -مستوى الرواية بمعنى الذي يعطيه تودوروف لهذه الكلمة .

ففي تحليله للمقطع الأول من الرواية وقصد كشف البنيات السردية لهذا المقطع الاستهلالي اقترح علينا "أن نتبصرها بعكسية زمنية أو لسانية، على أن نضرب صفحا عن كل بنية لسانية سطحية، وإلا وجدنا أنفسنا تائهين تيهانا بين قراءة نقدمها وأخرى نؤخرها "[4]، فلهذا يجب تحطيم كل العلاقات القائمة في النص كبنية سطحية للوصول إلى البنية العميقة ولا يتم هذا إلا بتجزئة الرواية كما يفعل عبد الجليل مرتاض.

1 عبدالجليل مرتاض، البنية السردية في الإبداع الروائي، ص46.

2 المصدر نفسه، ص48.

3 عبدالجليل مرتاض، البنية السردية في الإبداع الروائي، ص46.

4 المصدر نفسه، ص6

كما نجده في المقطع الثاني يكشف عن التراكيب التي تكررت في هذا المقطع ويحاول توضيح وظائف التكرار في هذه البنية السردية، وكذا ما يحدثه هذا التكرار من أثر في المعنى الكلي أثناء القراءة، إن هذا التكرار الذي يلاحظه عالمنا " يمكن الاعتراض عليه هنا بأن هذا التشابه قد لا يثير الانتباه إذ أن المقطعين تفصل بينهما عشرات الصفحات، بل مئات الصفحات غير أن هذا الاعتراض لا يهم سوى دراسة تقع على مستوى الإدراك، بينما نضع أنفسنا دوما على مستوى العمل الأدبي ومن الخطر أن يعتبر العمل وإدراكه لدى فرد ما شيئا واحدا، فالقراءة الجيدة ليست قراءة القارئ المتوسط وإنما هي القراءة التي تحقق أحسن النتائج"[1]، فتودوروف يرى أن تتبع التكرار والتشابه بكل أنواعه والإشارة إليه ومقابلته مع بعض يعد من القراءة الجيدة للعمل السردي لأنه لا يوجد تكرار بدون وظيفة.

وأثناء تحليله للمقطع الثالث وتحت عنوان 'نظام الخطاب' نجد عالمنا يؤكد على أن الخطاب عموديا لا أفقيا وهذه في أساسيات البنية السردية، والتي يسميها رونارل بارت بنظام السرد عكس عبد الجليل مرتاض، الذي سماها نظام الخطاب، والذي يعرفه بارت من منطلقين أساسين هما:

1- التمدد والاتساع. 2- المحاكاة والمعنى.

ذلك أن "شكل السرد تطبعه بشكل أساسي قدرتان، القدرة على نشر علاماته على امتداد القصة، و القدرة على إدراج توسعات غير منتظرة ضمن تلك الإمدادات، وتبدو هاتان القدرتان بمثابة عناصر تتيح للسرد حرية في التصرف، غير أن ميزة السرد وتفرده هما بالتحديد ما يسمح بإدخال هذه الانزياحات داخل لغتها "[2]، أما المعني فيتمدد من خلال إدماج الوحدات السردية مع بعضها وربطها من جديد لاستنطاق البنية العميقة للنص، أما محددات القراءة العمودية والأفقية التي أشار إليها عبد الجليل مرتاض فتكمن في أن " السرد يمثُل أمامنا كمتتالية من العناصر غير المباشرة والمباشرة والشديدة التركيب، إن صعوبة الانتظار (أو انكسار التركيب La dystassie) توجه نحو قراءة أفقية، بينما يطرح الإدماج على السرد قراءة عمودية هناك إذا ضرب من التعثر البنيوي شبيه بلعبة لا تتوقف من الممكنات سقطاته المتنوعة

1 ترفيتان تودوروف، مقولة السرد الأدبي، تر: الحسين صحبان وفؤاد صفا، منشورات اتحاد كتاب، العرب، الرباط، ط1، 1992 ص 44

2 رونال بارت، التحليل البنيوي للسرد، تر: حسين بحراوي وآخرون، منشورات اتحاد كتاب العرب، الرباط، ط1 ،1992

هي التي تمنح للسرد حيويته أو طاقته فكل وحدة تدرك في وضعها السطحي والعميق، على هذا النحو يسير السرد وبمساعدة هذين المسلكين تتشعب البنية وتتكاثر بسرعة "[1]، وأثناء القراءة والتحليل تنكشف هاته اللعب السردية وتتجلى وتطفو على السطح.

وتحت عنوان "المنظور السطح" والذي هو في نظر عبد الجليل مرتاض وجهة نظر الشخصيات أو الرؤية، والتي قسمها إلى رؤية غير محدودة ورؤية محدودة، والسارد الفاعل (أنا)، وهو، وأنتم والسارد الشاهد، فكل واحد له رؤيته ووجهة نظره في سرد الرواية والقصة.

ثم نلحظ عبد الجليل مرتاض يتحدث عن سارد من نوع آخر وهو السارد "الخيالي المشارك (المتلقي هنا) هو الذي يكون مرسلا باعتبار التساؤلات المطروحة على السارد المعزول، هنا يسير السرد عموديا، أم أن السارد المعزول هو الذي يخلق من ملتقطة العالم بالأحداث متلقيا حتميا، وبذلك يكون للقراءة شكل وشأن آخران"[2]، فهذه مختلف وجهات النظر التي استنبطها المحلل من هذه الرواية وليست كلها وإنما توجد وجهات نظر أخرى حسب طبيعة الرواية وقدرة القارئ وبهذه القراءات المتنوعة بدأت البنيوية تخرج من دراستها للجملة إلى النص إلى تتبع وجهات النظر، ويمكن أن تكون من خارج النص، كما بدأت تتحرر من القوالب والنماذج الجاهزة إلى حرية التحليل والتقطيع والتعليل.

1 رونال بارت، التحليل البنيوي للسرد، ص33

2 عبدالجليل مرتاض، البنية السردية في الإبداع الروائي، ص85

الفصل الثاني: المناهج النسقية الحداثية وما بعد الحداثة

- ✓ الأسلوبيـــة
- ✓ التنـــــاص
- ✓ السيميائيــة

المبحث الأول: الأسلوبية:

أصبح الأسلوب من الأدوات المعاصرة في تحليل النّصوص الأدبية واكتشاف جماليتها الفنية والإبداعية، وقد التصق بالإبداع الفردي للأشخاص، حيث أصبحنا نقول أسلوب العقّاد، وطه حسين وأسلوب الإبراهيمي وعبد المالك مرتاض وبوجدرة ووطار....

وإذا كان الأسلوب بهذا المفهوم فإن الأسلوبية لن تحيد عنه إلاّ من خلال الخاص والعام، أو الجزء والكل، وذلك أن الأسلوبية "جاءت من دال مركب جذره أسلوب style ولاحقته ique خصائص الأصل تقابل انطلاقا الأبعاد اللاحقة فالأسلوب ... ذو مدلول لساني ذاتي وبالتالي نسبي واللاحقة تختص فيما تختص بالبعد العلماني العقلي وبالتالي الموضوعي "[1]،وبهذا يمكننا القول أن الأسلوبية هي الدراسة العلمية للأسلوب "قصد إرساء علم الأسلوب"[2]، ولكي نبقى في صلب موضوعنا ونتتبع المنجز النقدي اللساني عند عبد الجليل مرتاض، ونظرا لتفرد عالمنا في إنجاز كتاب كامل شامل حول الأسلوبية وعلاقتها باللسانيات تحت عنوان (اللسانية الأسلوبية)، ارتأينا أن نتتبع ما جاء في هذا الكتاب القيم مع التحليل والتعليل وإضافة ما يمكن إضافته تنظيرًا من المصادر الأساسية، ونحاول تتبع كيفية تلقي عالمنا الأسلوبية تنظيرا وتطبيقا.

ففي كتابه اللسانيات الأسلوبية نجده يعيد الحديث عن البنية والبنوية وقواعد التحليل اللساني والبنوي، وهذا لوجود نوع من "(التداخل والتخارج بين الأسلوبية والبنيوية) على اعتبار أن الأسلوبية انبثقت من الفكر اللغوي والأدبي قبل الحركة البنوية متأثرة بذات الاتجاهات التي أسهمت في تشكيل البنيوية، إذ أن أول المؤسسين للأسلوبية هو تشارل بالي، وبالتالي فهناك نوع من الترابط بين الألسنية من ناحية واتجاهات دراسات الأساليب التعبيرية من ناحية ثانية"[3]، وكون تشارل بالي أصدر كتابه الأول سنة 1902 تحت عنوان (بحث في الأسلوبية الفرنسية) فإن الأسلوبية سابقةً على البنوية التي ظهرت بصدور كتاب 'مبادى في اللسانيات العامة' لدي سوسير، والمتتبع لأسلوبية بالي يجد أنه يركز على الأساليب اللغوية دون الأساليب

[1] عبدالسلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية الكتاب، ط3، تونس، 1982م، ص 34

[2] – المرجع نفسه، ص34

3 صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 105

الأدبية ويقول " تدرس الأسلوبية وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية أي أنها تدرس تعبير الوقائع للحساسية المعبّر عنها لغويا كما تدرس فعل الوقائع اللغوية على الحساسية"[1]، وهذا ما سمي فيما بعد بالأسلوبية التعبيرية.

ثم نجد عبد الجليل مرتاض يتحدث عن النظام اللساني، وهذا بتقديم مفاهيم حول اللسانيات ووصف الألسن البشرية ووظائف اللغة ومفاهيم النّص، ثم لسانيات النّص، إلى أن يأتي إلى اللسانيات الأسلوبية .

مفهوم الأسلوب عند عبد الجليل مرتاض :

حاول عبد الجليل مرتاض تتبّع مفهوم الأسلوب في الدراسات الغربية الحديثة، والذي يختلف من مدرسة لسانية إلى أخرى ومن مرحلة إلى مرحلة، وهذا بعد بروز نظرية الإعلام والاتّصال والتقدم الباهر الذي وصلت إليه الدراسة البنوية خاصة في وظائف اللغة، ومن التعريفات التي قدّمها أن الأسلوب هو "الصورة أو الشكل الخاص بسمات لسانية يدرك كمميز لنصٍ أو لمجموعة من النصوص"[2]، وتنشأ هذه الميزة من خلال العلاقات والترابطات بين أجزاء معينة من النّص، فتحقق أسلوبا مميزا خاصا لكاتب معين أو بطابع فني خاص، ولهذا يوجد من اللسانيين والبلاغيين من أضاف تعريفا آخر يزيد على هذا التعريف أنّه يجب على هذا النّص أن "يمتلك خاصيات أو كيفيته جمالية، وتبعا لهذا الطرح فإنّه ليس كل نص يعد ذَا أسلوب، بل من النصوص مالها أسلوب ومنها ما ليس لها"[3]، ومن هذا يمكن حصر الأسلوب في الطابع الإبداعي الجمالي، وتخرج بذلك النصوص الإدارية والقانونية والكلام العادي من هذا المفهوم.

ومنهم من ربط الأسلوب كما سبق وأن ذكرنا بالإنسان أي الشخص الكاتب أو المتحدث، وعرفوا بذلك الأسلوب على أنّه "طابع شخصي للإنسان أو الذات في الخطاب"[4]، وهذا من خلال الموضوع الذي أختص به وعالجه واللغة التي استعملها أثناء التلفظ هل هي لغة مألوفة أو لغة انزاحت عن القواعد الفنية واللغوية المتفق عليها، ولهذا ارتبط المفهوم الجديد للأسلوب باللسانيات ليتراوح معها في الانتقال من المعيارية

1 بيار جيرو، لأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، دار الحاسوب للطباع، ط2، حلب، 1994، ص54 .

2 عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، ص 92

3 المصدر نفسه، ص 92.

4 المصدر نفسه، ص 93

إلى الوصفية، كل حسب تخصصه "فاللساني يطمح إلى وصف اللغة وصفا دقيقا بالدرجة الأولى ثم عقلنة هذا الوصف والخروج بقواعد تفسر هذا النوع من النّشاط الإنساني واهتمامه باللغة الأدبية لا يتعدى اهتمامه باللغة بشكل عام، وهو بهذا لا تعنيه التعبيرات الأدبية ولهذا يسمى تشوميسكي الكلام العادي إبداع"[1]، وهذا من المنظور اللساني أما الدراسة الأسلوبية فغايتها مختلفة فهي تبدأ "من حيث ينتهي اللساني فهدفه تحديد لغة الخطاب العادي لإظهار اللغة الأدبية فهو ينكب على النص ليجلي مكوناته وصوره ويضعه في المكانة التي يستحقها من حيثً هو تعبير عن النفس الإنسانية "[2]، فالأسلوبي بهذا المفهوم يحاول إظهار السمات التي جعلت العمل الأدبي أدبا، ويحاول دراسة الانزياحات الفنية الأدبية البارزةً في النص والتي كانت قبل الأسلوبية تدرس من المنظور البلاغي.

ويرى عبد الجليل مرتاض أنه ببروز" نظرية الإعلام وتقدم البنيوية عمقا مفهوم الأسلوب بفعل التحليل لوظائف اللغة، وصار يوجد في حقل التحاليل اللسانية والنقدية الجديدة وظيفة أسلوبية أو أسلوبيتية التي تمثل الوظائف الأخرى من باب أن اللغة تعبر عن الأسلوب بتعبير ريفاتير، وأما التحقيقات أو الآثار ذات المفعول حيث تمظهر هذه الوظيفة فإنها به تشكل بنية خاصة إنها الأسلوب"[3]، وهكذا اهتمت الأسلوبية بالسياق الداخلي وركزت على البناء والانسجام وأقصت كل ما هو خارج عن بنية النص الداخلية.

بعد هذه التصورات والمفاهيم التي قدّمها عالمنا للأسلوب نجده يجمل لنا خمسة مفاهيم للأسلوب، والتي ستكون منطلقا في التحليل الأسلوبي فيما بعد، وقد ارتكزت على الكاتب باغتباره مبدعا والنص كإبداع .

1- الأسلوب هو خاص وفردي فالكاتب مهما كتب ويكتب فسينسب عمله إلى أسلوبه الخاص، فالأسلوب بالنسبة للكاتب "كفن النجارة أو الزخرفة بالنسبة لنجار أو نساج، وإذا كانت أدوات النجار الخشب أو اللوح فإن مادة الكاتب الاستحضار والنطق والمورفولوجيا (دراسة الكلمات حسب فئاتها

1 يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة عمان،ط2013، ص 48

2 المرجع نفسه، ص 48.

3 عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، ص94

النحوية) وسانتاكس (دراسة العلاقات بين الوحدات) والليكسيك"[1]، وبهذه الأدوات اللغوية والفنية ينسج عمله الإبداعي الذي يطبعه أسلوبه الخاص.

2-كل نص يمثل أسلوب من أساليب الكاتب الواحد فيمكن للكاتب أن يكون له مجموعة من الأساليب حسب طبيعة الموضوع الذي يعالجه.

3-الأسلوب كانزياح أو خروج عن القاعدة يراه عبد الجليل مرتاض لا يعني "إلا الانحراف عن المعيارية"[2]، لأن الانزياح يعني بمفهوم المخالفة وجود قاعدة يجب الالتزام بها، وهذا ما يسميه البعض بالانحراف الأسلوبي وهو" ظاهرة أسلوبية نقدية وجمالية يعني بها النقد الحديث وإن كانت موجودة في النقد العربي القديم من خلال الاستعارة والمجاز بمسميات كثيرة منها الاتساع أو التوسع والعدول، وقد ربطها نقادنا البلاغيون القدماء بالاستعارة والمجاز"[3]، والتي أصبحت ميزة وأسلوبا من أساليب الكتاب وتقليدها يعد من السرقات والانتحالات حتى وإن كانت من باب الصدفة، ويدخل في ذلك التناص.

4-الأسلوب هو تقنية من تقنيات التعبير بالمفهوم القديم للبلاغة.

5-الأسلوب بمفهوم الخطاب لأنه لا يوجد "خطاب مجرد من رداءة أسلوب وعلى قدر جودة هذا الأسلوب أو رداءته يتماثل الخطاب"[4]، وتحليله في الوظائف الأسلوبية ليس من المهام اللسانيات ولكنه يدخل في النقد اللساني الحديث الذي يجمع بين هذا وذاك.

هذا فيما يخص مفهوم الأسلوب، فما هي الأسلوبية وما الفرق بين الأسلوب والأسلوبية وهل هناك أسلوبية أم أسلوبيات؟

1 عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، ص96

2 المصدر نفسه، ص 98

3 بسام قطوس، استراتيجية القراءة، التأصيلي والإجراء النقدي، مؤسسة حمادي ودار الكندي، ط01، 1998، إربد، ص 135

4 عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، ص104

مفهوم الأسلوبية:

يعرف مصطلح الأسلوبية عدة تعريفات نظرا لولوجه في عدة ميادين مختلفة، وكذلك تعددت تعريفاته بحسب تعريفات الأسلوب ذلك أن "التأمل العلمي حول الأسلوب قد أنتج أيضًا قدرا كبيرا من المدونات الاصطلاحية التي لا تبسط المشكل، وهكذا يتحدث عن أسلوبية السجلات، وأسلوبية التلقي، وأسلوبية الانزياح وأسلوبية الروائز الاجتماعية، والأسلوبية الوظيفية والبنيوية والتوليدية والتحويلية والأسلوبية الإحصائية"[1]، وغيرها من الأسلوبيات، ولكن المتفق عليه أن الأسلوبية فرع من الفروع اللسانيات الحديثة، يهتم بتحليل الأساليب الأدبية واللغوية للأدباء والكتاب، ومن هنا يتجلى الفرق بين الأسلوب والأسلوبية وذلك أن علم الأسلوب "يقف عند تحليل النص بناء على مستويات التحليل وصولا إلى علم بأساليبه، بينما الأسلوبية هي التي لا تتجاوز النص المحلل المعلومة أساليبه إلى نقد تلك الأساليب بناء على منهج من مناهج النقد... ولا تكون الأسلوبية رديفا لعلم الأسلوب في حال من الأحوال كما ظن بعضهم أن الحاصل اختلاف آثار الترجمة بين المشارقة والمغاربة "[2]، وهذا ما يقر به عبد الجليل مرتاض حيث يرى أن الأسلوب يختلف عن الأسلوبية، ويرى أنه كما أن "الأسلوب أساليب فكذلك الأسلوبية أسلوبيات"[3]، فنحن أمام أسلوبيات جديدة سماها الأسلوبيات الفرعية.

أما من المنظور اللساني فيرى أن " الأسلوب مرتبط بالكفاءة اللغوية المثلى، في حين أن الأسلوبية وثيقة الصِّلة بالأداء أو الكلام الفردي الانفعالي المباشر"[4]، وهنا نلحظ ربط المفاهيم الأسلوبية بالمفاهيم البنيوية فجعلت الثنائية لغة /كلام مقابل الثنائية الأسلوب / الأسلوبية، كما نجده يربط الأسلوبية بوظائف اللغوية عند ياكوبسين، ومن هذا المنطلق يرى أن الأسلوبية " يجب أن تكون الدراسة العلمية الفنية الأدبية اللسانية بحيث أن المرسلة تحتاج زيادة عندما تؤدي وظيفة شعرية أو أدبية بصورة أوسع جمالية علاوة على وظيفتها التبليغية الاعتيادية "[5]، كوّن أنه من وظائف اللغة التبليغ، والتي من خلالها يمكننا الوقف على

1 هنري شبليت، البلاغة والأسلوبية، ترجمة حمد العمري، إفريقيا الشرق، 1999، ص 51.

2 يوسف مسلم أبو العودس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص 38

3 عبد الجليل مرتاض، القاموس الوجيز في المصطلح اللساني، ص 380 .

4 المصدر نفسه، ص381

5 المصدر نفسه، ص381

شخصية المرسل وطبيعة تفكيره وملامح أسلوبه، وقد أشار عبد الجليل مرتاض إلى أن وظائف اللغة أكثر من ستة التي أقرها ياكوبسون ذلك أنه توجد خصوصيات لكل لغة ولكلّ كاتب .

ونظرا لهذا التعدد في الدراسة الأسلوبية وقصد تقريب المفهوم وتبسيط طرائق التحليل الأسلوبي، قدم عبد الجليل مرتاض التعاريف المختلفة للأسلوبية في كتابه 'اللسانيات الأسلوبية' فهي عند شارل بالي مرتبطة بالانفعالات والأحاسيس، ويرى عالمنا أن المؤسس الأول للأسلوبية كان" أوضح سبيل في تحديدها حيث حصر مجالها في وقائع التعبير للغة المنظم من وجهة محتواه الانفعالي قاصدا بذلك أمرين:

1-التعبير عن الوقائع الحساسية بواسطة اللغة.

2- مدى فعل اللغة على الحساسية"[1]

ويلحظ أن هذا التأثر الثنائي نابع من ثنائيات دي سوسير، وبهذا يكون بالي قد حدد معالم التحليل الأسلوبي وفرق بين الأسلوبية والأسلوب، أما أسلوبية سبيتسزر فهي مرتبطة "بالتحليل لأعمال فنية بتحليل اللغة، وأما الحدث الأسلوبيتي فيقدم عرضا جيدا عن الفكر تماما مثلما يحلل المشاعر إنه الحدث الأسلوبياتي المفرط الذي يجعل حضور الأسلوبية مدركا للحواس في النص، ومن ثم فإن التحليل لنظام السلوكيات أو طرائق الأسلوبيتية المستخدمة يسمح بالصعود لدرجة رؤية عالم الكاتب"[2]، فالأسلوبية في مفهوم سبيتزر تنطلق من التحليل اللغوي للوصول إلى المثالية، ولهذا عدت الأسلوبية أحد فروع علم اللسانيات الحديث، ومن أجل ذلك" فقد مضى وقت طويل عد فيه التحليل الأسلوبي مرادفا للتحليل اللساني، وحتى ذهب بعض الباحثين إلى القول بموت الأسلوبية كونها مصطلح زائد عن الحاجة في زعمها "[3]، لكن تبقى الأسلوبية فرع من فروع اللسانيات الحديثة، وقد نشأت منها وترعرعت في أكنافها وتطورت بتطورها، وأصبحت مكملا لها حيث أن اللسانيات تعالج ما يقال ولكن الأسلوبية تدرس ما قيل وما يقال بالوصف والتحليل والتعليل.

1 عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، 104، ص117

2 المصدر نفسه، ص115

3 طالب خليف سلطاني، النقد الأدبي الحديث، دار الرضوان، عمان،ط1، 2014،ص 42.

وعند حديث عبدالجليل مرتاض عن أسلوبية ريفاتير والتي يرى أنها " يغلب عليها الطابع الشكلي البنيوي والرياضي"[1]، رغم أن هذا العالم لم يخرج عن المدرسة الأوروبية في تعريفه للأسلوبية، والتي هي عنده رد فعل القارئ تجاه النص، ومنه استمد مفهوم القارئ المثالي وقد رفض عبد الجليل مرتاض تسميته بذلك ويفضل تسميته " القارئ الوسطي"[2]، والقارئ المثالي عند ريفاتير يعني به" مجموعة من المخبرين الذين يؤسسون وجود واقع أسلوبي وليس معني هذا أن نسلم بسهولة لتبني هذا المصطلح لأن في نظرنا لا يوجد إطلاقا قارئ مثالي ولو وصف بأنه إجمالي أو مركزي لكان أفضل وسبق أن فضلنا عليه القارئ الوسطي"[3]، هذا القارئ الذي يعمل على استخراج كل ما يراه بارزا ومميزا ومثيرا في النص من أجل الوصف والتحليل ثم يصدر عليها أحكاما، هذه الأحكام التقويمية " مسببة من طرف مثير stimulusكائن في النص وهذا المثير هو مصدر الأسلوبية بالنسبة إلى القارئ "[4]، الذي يحاول تنشيط هذه المثيرات وتعزيزها على حد تعبير عبد الجليل مرتاض .

فبعد هذه المفاهيم المختلفة يصل عالمنا إلى خلاصة مفادها أن "الأسلوبية ظاهرة من الظواهر اللسانية الفرعية التي أسندت إليها مهمة صارمة في دراسة التمردات التواصلية على أن تحتزئ بوصفها وتشخيصها دون ردعها أو ترويضها وفق أساليب معيارية دأب الناس عليها"[5]، لتؤسس بذلك الأسلوبية منهجا خاصا بها في دراسة الأسلوب.

1 عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، ص120

2 المصدر نفسه، ص143

3 المصدر نفسه، 143

4 عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، ص120

5 المصدر نفسه، 126

الأسلوبيات الفرعية:

لقد ميّز عبد الجليل بين الأسلوبية الرئيسية والأسلوبيات الفرعية، ومن هذه الأسلوبيات الفرعية:

1-الأسلوبية الفونولوجية:

هي التي يسميها بالي بالصوتيةً التعبيرية والتي تشكل من منطلق أنه "كل فعل كلامي عبارة عن سمات تدلنا على من يتكلم وأخرى بأية نبرة أو لهجة "[1]، فالنبرة واللهجات المختلفة هي التي تشكل الأسلوبية الفونولوجية، وأن ترتيب وتتابع الأصوات في الكلمة يشكل دلالة الكلمة أو الدلالة الصوتية للمفردة المعجمية أو الدلالة الصوتية التركيب، ويقدم بيار جيرو مثالا توضيحيا عن ذلك فيقول "أنا أستطيع أن أقول مثلا 'أشكركم' وإذا أمعنا النظر في هذا القول فسنرى أنه من الناحية الصوتية فقط يتضمن ثلاثة وجوه :

أ- الأصوات ذاتها مستقلة عن أيةً نبرة خاصة، إن لها في كلمة أشكركم قيمة إيصالية بحتة وتبلغ المحادث امتناني.

ب- إن النبر العفوي وغير الشعوري يكشف عن الأصول الاجتماعية أو الريفية وعن الميول النفسية البيولوجية في الوقت نفسه.

ج- وهناك النبر الإرادي الذي يهدف إلى إحداث انطباع محدد لدى المحادث، ويكون ذلك حين عبر عن احترامي وعن عزتي أو حين أحدث أثرا مضحكا (بتقليد لهجة من اللهجات)، أو حين أحاول أن أتميّز بلهجة ما "[2]، وهذه الوجوه الأدائية الثلاثة تكون على جميع المستويات اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية التركيبية، لكن عبد الجليل مرتاض يفصل الجانب الأدائي التركيبي ويجعله خاص بالأسلوبية فوق المقطعية، والتي يسميها بالمستوى الفوميقي، ويرى أن المستويين "اللكسيكي والسانتسكي وحدهما قاصران دون المستوى الفونولوجي لتبليغ مرسلة كلامية "[3]، ويورد بذلك مجموعة

1 عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، ص 130

2 بيار جيرو، الأسلوبية، ترجمة منذر عياشي مركز الإنماء الحضاري ،ط، 1994، ص 52

3 عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، ص137

من الآيات القرآنية التي لا يتم معناها إلا من خلال الأداء الصوتي من ذلك قوله تعالى:﴿**يا أيّها الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ**﴾ المدثر 1-6

، فلا يمكنك فهم الآية الكريمة دون التمعن في صيغ (النداء وصيغة الأمر والتحذير والإغراء والنهي) "[1]، فالأسلوب القرآني راق يحدث في نفسية السامع أثرا وانطباعا من خلال الأداء الصوتي المميز.

تتجلى الدلالة الصوتية فوق المقطعية في النبر والتنغيم، والنبر هو" القوة والجهد النسبي الممنوح لنطق مقطع معين ليس أوضح من باقي المقاطع "[2]، فالنبر يتحقق من خلال الأداء الصوتي ولا يظهر في النص المكتوب، رغم محاولة بعض العلماء أن يجعل له رموز من خلال الكتابة توضح درجة النبر من خلالها، ولكن لم تؤخذ هذه المحاولات بعين الاعتبار، و" النبر يرتبط بمقاطع الكلمة سواء كانت مستقلة أو في تركيب ويتنوع إلى نوعين : الأول نبر الكلمة والثاني نبر الجملة"[3]، فنبر الكلمة يكون في أحد مقاطعها، ويسمى كذلك بأمير الصرفي، كما نجد كذلك الأسلوبية الصرفية .

أما نبر الجملة فيكون "بعنايتنا بنطق لفظ فيها أو حرف وإبراز دوره في الجملة بإعطائه مزيدا من قوة الصّوت في الأداء ليؤدي دورا وظيفيا في التركيب يؤثر في دلالته ويساهم في دلالة التركيب"[4]. أما التنغيم فيرتبط بالإيقاع الموسيقي أثناء الكلام فهو "يشرح العديد من المواقف والعواطف والأحاسيس كما أنه يبين لنا ما يكنه المرسل"[5]، ويظهر ذلك جليا في اللغة العربية عند التفريق بين الاستفهام والتعجب والتقرير وغيرها من الأساليب التي لا تتجلى إلا من خلال النبر والتنغيم .

2-الأسلوبية المقارنة:

يرى عبد الجليل مرتاض أن هذا النوع من الأسلوبية يهتم بمقارنة الأنظمة اللسانية قصد استخلاص واستنباط مصادرها الخاصة والمميزة لها، وترتكز على" التقابل بين السمات البنيوية عادة ما

1عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، ص134

2 إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص160

3 محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص44

4 محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص46

5 نور الدين رايص، اللسانيات المعاصرة، عالم الكتاب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014، ص257

تجلت من اللساني الذي يعمل بموجب لغة واحدة"[1]، ولهذا يرى أنها خاصةً بالغة الإنسانية ويستفاد منه أثناء الترجمة ولا تظهر هذه الأساليب لمن لا يتقن لغات عدة فلا يستطيع استحضار مصادر هذه الأساليب، فنجد أن اللغة العربية اكتسبت أساليب "عن طريق الترجمة والتعريب، والكتاب لا يفتؤون يستعينون بتراكيب بلغات شتى منها الإنجليزية والفرنسية وغيرها من اللغات الحية، فقد نقرأ في إحدى القصص قول الكاتب فابتسم ابتسامة هادئة، وهذا التركيب ترجمة لقوله بالإنجليزية calm smile، ونقرأ في الصحف تعبير مثال " الرأي العام " وهو تركيب محدث في اللغة العربية وأصله في الإنجليزية public opinion، وتعبير يسهر على المصلحة العامة وهو تعبير مأخوذ من الفرنسية il veuille sur le bien commun"[2]، وهذا التطور في أساليب التعبير نوع من التطور اللغوي الذي يصيب كل اللغات ومنها اللغة العربية، ولهذا يرى عبد الجليل مرتاض أن لكل لغة أدواتها الخاصة للتعبير عن مقاصدها وكذلك لها أساليب للتواصل تخصها وحدها .

3- الأسلوبية الموازنة:

يرى عبد الجليل مرتاض أن مصطلح الموازنة الخاص باللغة العربية، وأن "الأسلوبية الغربية لا تعرف في حدود علمي مصطلح الموازنة المتجذر في تراثنا الأدبي واللغوي والجمالي بل من التفاؤل المبالغ فيه أن نشرئب إلى دراسة مقارنة أكثر واقعية وفاعلية وذات نتائج رفيعة، إذا لم تنطلق من دراسة لسانية موازنة لأن الأولى تعد خارجية بينما هذه دراسة داخلية"[3]، لأنواع الأساليب المستعملة في اللغة نفسها ولا تأتي الموازنة إلاّ لعالم بأساليب اللّغة محيط بها ملم بأسرارها، ويرى عبد الجليل مرتاض أن "الموازنة ائتلاف والمقارنة اختلاف والموازنة أفقية وعموديةً في آن واحد ولكن عمودية في ذاتها، في حين أنّ المقارنة تعقب دائمًا أفقية وسمتها العمودية في غيرها، ومن ثم فإنّ الأسلوبية المقارنة لا تكون ولا ينبغي لها أن تكون إلا دياكرونية تاريخية خلافا للموازنة التي قد يتاح لها أن تكون آنية"[4]، وهذا تعريف علمي ومنهجي مميز يجعل الناقد في سعة أثناء التحليل فيقارن ما يقارن ويوازن بين الذي يوازن .

1 عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، ص132

2 إبراهيم خليل، مدخل إلى علم اللغة دار المسيرة، عمان، ط2، 2014،ص 249

3عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، ص 132

4 المصدر نفسه، ص133

الأسلوبية تطبيقا:

يعد كتاب اللسانيات الأسلوبية لعبد الجليل مرتاض الجهد البارز في تقديم الأسلوبية تنظيرا وتطبيقا، ولكن تطبيقاته لم تصل إلى مستوى النّصوص الكبيرة، وإنما كانت جزئية بحسب كل مبحث، أما العمل التطبيقي البارز والواضح المعالم فقد تمثل في الفصل الثاني والثالث من كتابه (البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي)، ونجد عبد الجليل مرتاض في مستهل هذا العمل يقدّم بعض المفاهيم حول البنية والبنية الأسلوبية والأسلوب، ويجيب عن التساؤل الذي طرحناه سابقا هل هناك أسلوبية أم أسلوبيات؟

ويرى أنه بتتبع المدارس اللسانية الحديثة يتضح أنه توجد أسلوبيات منها "أسلوبية وصفية تقوم على علاقة العلة بالمعلول وهي ذات طابع دلالي، وأسلوبية تكوينية تستند إلى الأسباب وإلى المؤلف والاقتراب من النقد الأدبي من جهة، وأسلوبية أشكال وتنطلق من التعبير، وأسلوبية كلمات بناءا على المحتوى من جهة أخرى"[1]، ويرى أن أسلوبية الأشكال وأسلوبية الكلمات لا تهتمان بدراسة الكتاب ولا العمل الأدبي بل بدراسة اللغة بذاتها.

وبعد هذه التعريفات والمفاهيم نجد عبد الجليل مرتاض يحدد بصراحة المنهجية التي سيعتمدها في دراسة أساليب رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، والتي يعدها عملا أدبيا مميزا حاصلا من مجموعة من الانزياحات، ولهذا يرى أنه يجب أن يختار من بين"كل الأسلوبيات الأسلوبية الوصفية التي لا تهتم بالحدث اللساني المأخوذ بذاته"[2]، بغض النظر عن ما يمكن أن تحدثه اللغة إلا أنها وسيلة أساسية للتعبير والتواصل، ولهذا اهتم أصحاب المنهج الأسلوبي الوصفي بدراسة القيم التعبيرية، والتي "عدوها مصدرا مهما يصف مستويات الأفكار والعاطفة "[3]، هذا الوصف الذي لم تألفه الدراسات التي سبقت الأسلوبية، والتي كانت تعتمد في أساسها على المعيارية، إلا أن الأسلوبية الوصفية التي نشأت من رحم اللسانيات الحديثة أحدثت نقلة نوعية تمثلت في تغيير منهجية البحث الأسلوبي من الوجهة التاريخية إلى الوجهة الوصفية القائمة على عد اللغة ملكية لسانية ذات أبعاد ثلاثة وهي البعد الاجتماعي، البعد الذهني، والبعد التاريخي، وصار

1عبد الجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص 59

2 المصدر نفسه، ص59

3 يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص 94

الهدف معقودا على دراسة اللغة في ذاتها، ولهذا نجد عبد الجليل مرتاض أثناء تطبيقه الأسلوبية الوصفية في خضم تحليله للهوية الأدبية لرسالة الضب، نجده يدافع عن هذا الطرح المتمثل في دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها فيقول" وإذا كنّا حكمنا على هوية المدونة 'رسالة الضب' بأنها نتاج لساني أدبي رفيع يدخل في باب المطارحات والمساجلات الأدبية، فإن نصنا إذن لغوي وتبليغي إنه موضوع لساني، وانطلاقا من هذا المبدأ الأول فإن نصنا مغلق ومعين بزمان وفضاء أو منته بنيويا، وليس له مرجع وهو خاضع للبنيات اللسانية ويندرج في البنيات في اللسان ويكون هو بذاته لغة من قبله "[1]، ومن هنا يرى أنه لا يجوز أن نعتمد على أي معلومة خارج النص للتحليل ونرفض كل شيء يحيل إلى مرجع .

ثم نجد عالمنا يتتبع الظواهر الأسلوبية في النص الإبراهيمي بدءا بالعنوان 'رسالة الضب للبشير الإبراهيمي'، والذي يمكن أن نعيد صياغته 'هذه رسالة الضب'، ويقول " سوآءا حذفنا المبتدأ (هذه) أم أخذناه بعين الاعتبار فإننا نفهم سطحيا بأن هذه الرسالة رسالة الضب، نفهم ثانيا هل الرسالة وجهت وكتبت من الضب لغيره على سبيل الاستعارة أم هناك شخص وجهها إليه أو ثمت منً يقوم بكتابة هذه الرسالة نيابة عنه...أَي الضب، ليس في هذا الجنس من الدواب كلها ضب واحد ينماز عن غيره من الضباب"[2]، وهكذا يواصل بنفس الطريقة في استخراج الظواهر الأسلوبية مع الوصف والتحليل والتعليل.

كما نجده يستخرج الانزياحات الحادثة في تركيب الوحدات اللسانية في مثل النموذج التحليلي الرابع فيقول "إذا كان هناك خرق لا يدرك بعين مجردة في هذا الخطاب الإبراهيمي فإنه يبدو:

أ – في تعبيره بكلمات يومية : العصر – الهدي – هي عبارة – النخالة – فيما أذكر

ب– في توظيفه لكلمات أخرى لا قبل للغة اليومية بها"[3]،مثل: الورل – التحنيط – المومياء ....

أما بخصوص استعماله لعبارة فيما أذكر فيرى عبد الجليل مرتاض أن هذا التركيب خاص بالخطاب الشفهي منه بالخطاب الكتابي، وهنا يكمن الانزياح الأسلوبي عند البشير الإبراهيمي، حيث يحول ما هو

1 عبد الجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص62

2 المصدر نفسه، ص65

3 عبد الجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص 68

"مبتذل فيها إلى بناء سهل ممتنع يكسبه هويته الخطابية فور صياغته وإرساله بصرف النظر عن رضا هذا المتلقي الغائب أو الزائف هنا وسخطه هناك "[1]، وَمِمَّا يقر به عالمنا أنه مهما حاولت أثناء تطبيقك للأسلوبية الوصفية الاستغناء عن الدراسة التاريخية إلا أن هذه الأخيرة تفرض نفسها "بل ربما لا وجود أحيانا أو غالبا لمرجعية وصفية دون استحضار المرجعية التاريخية باعتبار التراكيب اللغوية ليست مجرد رموز اتصال بوحدات لسانية منعزلة"[2]، بل هي مرتبطة بسياقات تاريخية.

كما نجده أثناء تحليله للمثال السادس يتحدث عن الكناية رغم أنها من الأساليب البلاغية الكلاسيكية القديمة، ثم يستدرك هذا الخروج عن المنهج فيقول "قد يعتب علينا عاتب معتبا خفيفا أو ثقيلا بدعوى أننا في مجال الأسلوبية الوصفية وفي الوقت نفسه نحيل على أدوات إجرائية تبدو كلاسيكيا أو تقليديا خصما منهجيا لدودا لها مع أننا ألمحنا أكثر من مرة إلى مغالطة فصل البنية الزمنية عن سيرورتها التعاقبية، لأن الأسلوبية الوصفية الحديثة ليست إلا وريثا شرعيا للأسلوبية الكلاسيكية ولكنها مالبثت أن عقت أمها بمجرد استواء عودها "[3]، ولهذا يصعب التخلص منها كون الأسلوبية هي الوريث الشرعي والمباشر للبلاغة فكيف يستطيع الوارث التخلص من ميراثه، وإنما يمكن أن يجدد ملامحه ويزين مظهره .

نلاحظ أنّ عبد الجليل مرتاض ينوع في مناهج التحليل الأسلوبي، فبعد استعماله للمنهج الوصفي نجده يستعمل طرق الإحصاء في تشخيص الظاهرة الأسلوبية وهو ما يطلق عليه بالمنهج الإحصائي .

ففي الفصل الثالث من كتابه (البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي) نجده يستعمل هذا المنهج الإحصائي يقول "ومن أبرز الوقائع اللغوية التي يسهل علينا لحظها ورصدها وإحصاؤها ونحن مطمئنون كل الاطمئنان"[4]، ونلحظ ذلك جليا في تتبعه لتوزيع وحدة الضب في المدونة، والتي تكررت واحد

1 عبد الجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص69

2 المصدر نفسه، ص 69

3 المصدر نفسه، ص73

4 عبد الجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص84

وثلاثون مرة في المدونة بمواقع مختلفة، وهذا هو لب المنهج الإحصائي الذي يهتم" بتتبع معدلات تكرار الظواهر الأسلوبية في النص ليقيم تحليلاته بالاعتماد على ذلك التكرار كثرة وقلة "[1].

كما نجده يستعمل المنهج الوظيفي في تحليل الظواهر الأسلوبية، والذي يطلق عليه كذلك ' المنهج البنيوي ' أو البنيوي الوظيفي، والذي اشتغل عليه كثيرا عبد الجليل مرتاض، ففي تتبعه لتواتر كلمة الضب في البنية اللغوية لمدونة الإبراهيمي نجده يوضح السبب والقصد من هذا التتبع فيقول "ونقصد بها مبدئيا هنا أدوار الوظائف التي قامت بها هذه الكلمة في المواطن التي وظفت فيها من كونها فاعلا أو مفعولا أو مضافا "[2]، ولتحليل وظيفة هذه الكلمة يرى من الضروري تحليل الجملة التي وردت فيها والسياق اللغوي الذي جاءت فيه، ومن هنا تتجلى وظيفتها داخل البنية وهذه هي مرتكزات ومنطلقات المنهج الوظيفي، المبنية أساسا على الشكل والوظيفة والسياق بكل أنواعه، والتي من خلالها يمكن رصد وتحليل النص تحليلا شاملا من حيث " هندسته ومفرداته وتراكيبه حيث يساعد الدراس الأسلوبي على ملاحظة الصيغ الغالبة في النص وبهذه الملاحظة يمكن تمييز الوظائف الأساسية للكلمة العمدة والوظائف الثانوية لها "[3].

ومن هنا نجد أن عالمنا قد وظّف أغلب المناهج الأسلوبية في دراسته للبنية الأسلوبية لرسالة الضب للبشير الإبراهيمي، وهذا في رأينا لا يتأتى إلاّ لناقد يتمتع بقدرة علمية مكنته من التعامل مع المناهج تنظيرا وتطبيقا، وكذا تحكه في ناصية اللغة العربية التي أعجزت كثيرا من الباحثين والدارسين.

لقد قدّم عبد الجليل مرتاض مفهوما للأسلوب أكثر اتساعا حيث ربطه باللغة، التي هي مجموعة القواعد والقوانين الخاصة بمجموعة بشرية تجمعها رقعة جغرافية واحدة، والكلام هو نتاج شخصي والذي تقابله الأسلوبية من خلال دراسة الانزياحات والخروج المقصود وغير المقصود عن القواعد اللغوية والبلاغية، وكذا اللسان الذي هو نظام بين العلامات المشتركة بين مجموعةً بشرية يمكن لها أن تتخذ أسلوبا تواصليا معينا، كما نجده تطرق إلى الأسلوبية الوصفية وأسلوبية الفرد والأسلوبية الوظيفية واهتم بأسلوبية النص والأسلوبية البنوية

1 يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق يوسف، ص89

2عبد الجليل مرتاض، البنية اللسانية رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص88

3 مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق يوسف، ص133

المبحث الثاني: التناص

بعد أفول نجم البنوية، وظهور ما يعرف "بما بعد البنيوية" ونظرية التلقي، ظهر مصطلح التناص في نهاية السبعينيات على خلفية أن "كل نص لابد أن يكون قد ولد من رحم مئات النصوص التي سبقته أي أن ولادته لا تأتي من العدم، من هنا يتضح أن ثمة نصوصا كثيرة مغيبة في النص الواحد فهو يمتد بجذوره إلى تراث طويل من القول"[1]، عكس ما ذهب إليه البنويون أن النص بنية مغلقة، فالنص نافذة يمكن من خلالها العبور إلى نصوص أخرى قد دمجت وانصهرت فيه بشكل أو نوع من أنواع التناص.

لقد تشكل مفهوم التناص "مع الشكلانيين الروس وبالضبط مع شلوفسكي الذي فتق الفكرة ثم أخذها عنه باختين الذي حوّلها إلى نظرية حقيقية تعتمد على التداخل القائم بين النصوص، ثم أخذتّه جوليا كريستيفا لتمضي به أشواطا واسعة في دراستها النقدية وخاصة الروائية"[2]، ليتشكل مصطلح التناص ويستقر على هذا الحال بعدما مرّ على هذه المراحل، كون أن المعرفة في حقيقة أمرها ما هي إلاّ تراكمات معرفية.

وتعتبر كريستيفا أوّل من استعمل هذا المصطلح بمفهومه الحديث الذي يشير إلى تداخل النصوص تحت عنوان الخطاب الغريب في فضاء اللغة الشّعرية، التداخل النصي والتصحيفية، ورأت أن المدلول الشّعري يحيل "إلى مدلولات خطابية مغايرة بشكل يمكن معه قراءة خطابات عديدة داخل القول الشّعري، هكذا يتم خلق فضاء نصي متعدد حول المدلول الشّعري تكون عناصره قابلة للتطبيق في النّص الشّعري الملموس هذا الفضاء النّصي سنسميه فضاء متداخلا نصيا، وإذا ما أخذ القول الشّعري داخل التداخل النّصي فإنّه سيكون مجموعة فرعية من مجموعة أكبر هي فضاء النّصوص المطبقة في محيطنا الثقافي الغربي"[3]، الواسع والشاسع، فبهذا المفهوم تكون كريستيفا قد خرجت من المفهوم الضيق للتناص الذي كان يعني وضع نصوص داخل نصوص وهو ما يعرف

1 أحمد شهاب، تحليل الخطاب النقدي لمغامر، ص 120

2 جمال مباركي، التناص وجمالياته، رابطة الإبداع والثقافة، الجزائر، 2003، ص38

3 جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار ثوبق للنشر، الدار البيضاء، ط2، 1993، ص 78

بالتضمين والاقتباس إلى أوسع من ذلك ليشمل كل ماله علاقة بنص سابق من تلميحات وإشارات وأفكار سابقة طرحت لتشكيل النص الجديد المتجدد، ويتم هذا عبر" امتصاص وفي نفس الآن عبر هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصيا"[1]، فتشكل هذه النصوص فيما بينها لوحة فنية إبداعية للنص الجديد .

لم تدّع كريستيفا أنها قد أبدعت هذا المفهوم من دون خلفيات فكرية وعلمية سابقة، وإنما أشارت إلى أن" تقاطع وتفسخ عدة خطابات داخلية في اللغة الشعرية قد تم تسجيله من طرف سوسير في التصفيحات Anagrammes وقد استطعنا من خلال مصطلح التصفح paragramme الذي استعمله سوسير بناء خاصية جوهرية لاشتغال اللغة الشعرية عيناها باسم التصحيفية paragrammatismeأي امتصاص نصوص (معاني) متعددة داخل الرسالة الشعرية "[2]، فهي تقر بأن سوسير كان سباقا لملاحظة هذا التداخل بين النصوص بكل أنواعه، والذي عرفته الثقافة العربية منذ القدم تحت مسميات مختلفة حتى عدّ من السرقات الشعرية.

الذي نخلص إليه أن التناص بمفهومه الواسع هو تشكل نص من نصوص أخرى، وهذا عن طريق التفاعل والتواشج والتقاطع والحوار بطرائق وتقنيات مختلفة وآليات متباينة تتمايز من كاتب إلى آخر ومن ناقد إلى ناقد، والتناص "مفهوم جديد في الدراسة الأدبية الحديثة، وهو نتاج التطور الحاصل في اللسانيات وفي العلوم الأدبية الجديدة، جاء هذا المفهوم لتحديد ظاهرة نصية ويبرزها في الوعي النقدي لكن ممارسة التناص أو 'التجلي التناص' سنجده قديما قدم النص كيفما كان جنسه أو صورة إبداعه"[3]، فالسبق كان للغرب في التنظير، لكن في الممارسة نجد أن مورثنا القديم عرف هذا المفهوم بمصطلحات عديدة.

1جوليا كريستيفا، علم النص، ص78

2 المرجع نفسه، ص78

3 سعيد يقطين، السرد العربي، منشورات الاختلاف، ط1، 2012، ص 56

التناص تنظيرا وتطبيقا عند عبد الجليل مرتاض:

يعد عبد الجليل مرتاض من العلماء والباحثين القلائل الذين أثروا التناص تنظيرا وتطبيقا، ويتجلى ذلك من خلال كتاباته المتميزة خاصة كتابه "التناص" الصادر عن ديوان المطبوعات الجامعية، وكذا كتابه *البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي*، والذي خصص فصله الخامس للتناص في هذه الرسالة التي درسها من جميع الجوانب، ونقدها بطريقة علمية متكاملة ليس لها نظير فيما قرأنا.

والذي يميز دراسة عبد الجليل مرتاض في كتابه*التناص* أنه قدم مفهوم التناص عند عدد كبير من النقاد الغربيين من أمثال تودوروف إلى كريستيفا وميشال ريفاتير وبارت وجينيت، هذا الأخير نجده خصص له فصلين من هذا الكتاب، أما الفصل الرابع فجعله لأنواع التناص كما قدم مفاهيم فرعية للتناص، وهذا ما سنحاول الوقوف عليه هاهنا من خلال هذه الدراسة.

يقدم لنا عبد الجليل مرتاض مفهومه للتناص من منطلق أنه عملية لسانية تواصلية بالدرجة الأولى، ناهيك على أنه عملية إبداعية خلاقة فيقول" لا ننكر أن النص بناء لغوي بلغت أفقيته منتهاها، ولا ننكر أنه خطاب مشكل من مجموعات من الملفوظات، ولكن النص اللاحق كلما تفاعل وتناص مع نصوص سابقة إلا واعترت أفقيته الهادئة عمودية فجائية لا لإيقاف سيرورته وديناميته والاعتداء عليه بل لتغذية مكوناته الداخلية بمكونات خارجية تتفاعل معه تآلفا لا تنافرا، من ثم يمكن وصف التناص بأنه تفاعل لساني حميمي بين أمس مضى ويوم أتى بين الآخر الغائب والآن الحاضر بين نص انتهى ونص بصدد الولادة "[1]، فبهذا المفهوم اللساني للتناص يجعلنا هذا العالم أمام نصوص لا ينظر إليها إلا على أنها ولدت من رحم نصوص أخرى بطريقة ما، وعلى اللساني أن يكتشف خيوط هذا النسج وحبال هذا الترابط.

كما نجده ينبه على أنه لا يجب النظر إلى التناص على أنه "ضرب من المحاكاة ولا المعارضة ولا المطارحة ولا المساجلة الجدلية الرتيبة ولا نمط مما يسما بالسرقات الأدبية ولا حتى ما يسمى توارد الخواطر، ليس التناص من هذا الضرب ولا ذاك، إنه عمل لساني تواصلي بعدي مشوب بمستويات

1 عبد الجليل مرتاض، التناص، ص5

لسانية تفاعلية تتقاطع وتتداخل بطرائق شعورية هنا بمناحي شعورية هناك"[1]،وهذا الأخير مرغوب فيه لأنه يضفي على العمل الأدبي جمالية زائدة، عكس الشعوري الذي يحدث في نفس المتلقي نوعا من التوجس من الكاتب ومحاولة تتبع عوراته وزلاته.

بالإضافة إلى هذين النوعين من التناص "الشعوري واللاشعوري"، يستحدث عبد الجليل تناصا ثالثا هو التناص البريء، ويقصد به" تناص المتكلم داخليا مع نفسه حتى إن كان أي تناص لا يتماثل من فراغ، فالمتكلم نتاج بيئة ثقافية وفكرية وأدبية وحضارية وإنسانية، وهي كلها عوامل خارجية لكنها منطبعة فيه انطباعا روحيا ووجدانيا داخليين"[2]،ويقدم لذلك مجموعة من الأمثلة التي يتجلى فيها هذا النوع من التناص ومنها قول قيس بن ساعدة"[3]

لمَّا رَأَيتُ مَـوارِداً لِلمَوتِ ليس لها مَـــصادِر

وَرَأَيتُ قَومي تَحوَها يَمضي الأَصاغِرُ والأَكَـابِـر

لا يَرجعُ الماضي ولا يَبقى مِنَ الباقِينَ غـــــابِر

أَيقَنتُ أنِّي لا مَـحَا لَةَ، حيثُ صارَ القومُ صـــائِر

مع طرفة بن العبد:

أَرى الموتَ أَعدادَ النّفوسِ ولا أَرَى بعيدًا غداً، مَا أقربَ اليومَ من غدِ

أَرَى العمرَ كنزاً ناقصاً كلَّ ليلةٍ ومَا تنقصُ الأيامُ والـدَّهرُ ينفذ

لعمركَ إن الموتَ ما أخطأَ الفتَى لكَالطِّوَلِ المرخي وثِنيَـاهُ باليدِ

ويرى أن هذه ليست من التناصات اللسانية البعدية والقبلية أو من التلميحات الفكرية التفاعلية، وإنما هذه العادات" الخطابية المرسخة في لغة تصبح مرسلات تواصلية مشتركة أقرب إلى

1 عبد الجليل مرتاض، التناص، ص5

2 عبد الجليل مرتاض، التناص، ص7

3 المصدر نفسه، ص8

الطبيعة والإتباع منها إلا التناص بمعنى التداخل أو التفاعل أو التأثير أو التأثر"[1]، وهكذا يحدد لنا طرق التمييز بين التناص الشعوري واللاشعوري والبريء، ويقر في نفس الوقت أن كل نص يحمل في طياته آثار خفية وظاهرة من نصوص وثقافات معينة تتجلى من خلال الكتابة، لأن هذه الأخيرة ما هي إلا تعبير عن شعور وإحساس ينتاب الكاتب في لحظة زمنية معينة.

ولهذا نجده يحاول أن يعطينا مفهوما جديدا للتناص الذي لا ينبغي النظر إليه "بالمفهوم التقليدي الذي لا يتعدى بعده ما يسمى بالتأثير والتأثر، بل من الأولى أن نفهم التناص على أنه عملية تحويل فضاء دلالي قديم إلى فضاءات دلالية جديدة لا منتهية، وأن نفهم التناص على أنه ضرب مشروع وطبيعي من الملفوظات لخلق إنتاجات دلالية"[2]، هذا من جهة، ومن أخرى نجده يقدّم لنا على أن التناص هو "توليد لجملة من التناصات اللامتناهية شأنه في ذلك شأن توليد عدد لا متناهي من الجمل بالنسبة للغة، وإذا كانت قواعد هذه الأخيرة قواعد سنتكسية، فإن قواعد التناص تقوم على أساس التحويل كما أشرنا أعلاه لنسق بكامله أو أكثر بحيث لا يتجزأ بتقاطع العناصر اللسانية ونظمها الذي لا يمكن أن يكون على نمط بنيوي واحد بل يهفو إلى تقاطع العلامات اللسانية في مظهرها الخارجي لا في بنيتها الداخلية لأن العلامات بمفهومها الواسع لا تنتظم ولا تتقيد إلا في بنية داخلية ولا سيما مجالات التناص"[3]، فعقده لهذه الموازنة والمشابهة بين توليد الجمل وتوليد النصوص راجع إلى وظيفة العلامة داخل البناء الكلي، فإن كانت الجملة هي عبارة عن مجموعة من العلامات فإن النص هو مجموعة من الأفكار بالإضافة إلى أنه مجموعة من الجمل، و كما أنه توجد جملة مركزية أساسية تتولد منها مجموعة من الجمل، فإنه يوجد نص تولد عن مجموعة نصوص، وبهذه النظرة لم يعد النص مجموعة من الجمل بحسب تصوره، وإنما هو مجموعة من الأفكار المخزنة عن الحالات الاجتماعية والأحداث التاريخية والأساطير والتراث، وبهذا تصبح قراءة هذا النص هي قراءة لنصوص أخرى عن طريق هذا المفهوم الجديد للتناص.

1 عبد الجليل مرتاض، التناص، ص9

[2] عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، ص 164

3 المصدر نفسه، ص 164

مفاهيم التناص الغربية:

ذكرنا فيما سبق أن عبد الجليل مرتاض في كتابه *التناص* قدم عدة مفاهيم غربية عن التناص، وقد خصص الجزء الأكبر من بحثه للتناص عند جيرار جينات كون أن هذا الأخير تحدد عنده المفهوم العام للتناص، وقد عمل عالمنا على استقطاب مفاهيم التناص عند جينت من النصوص الأصلية مع تبسيطها كما يقول" من مصادر ومضان أخرى قد تكون أوضح مما نوضحه، أو أنصف للرجل مما قد يرى تحاملا عليه أو نقصا من فضوله"[1]، وهذا تواضع من هذا العالم الجليل كون أنه يتقن اللغة الفرنسية.

وكذا نجده في كتابه (البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي)، ينصح الغربيين بالاطلاع على مفهوم التناص عند علماء التفسير والبيان والصناعة اللسانية والذين أشاروا "صراحة إلى مفاهيم تناصية فيما يتعاطاه الشعراء فيما بينهم من معاني وصور وألفاظ وشرحوه تشريحا لو اطلع عليه اللسانيين الغربيون المحدثون لأفادوا منه فوائد جمة تدفع انجازاتهم الهائلة في ذات الموضوع مراحل عملاقة إلى الأمام"[2]، فهو لا ينكر أن المنجز الغربي قد قطع أشواطا هائلة في الدراسات اللسانية والأدبية ومنها التناص، لكن خصوصية اللغة العربية تحول بينها وبين علماء الغرب، فهم لا يتذوقون اللغة العربية فكيف لهم أن يستنبطوا التلميحات والإشارات والإيماءات والغمزات واللمزات.

يبرز عبد الجليل مرتاض المفاهيم العامة للتناص بمصطلحاته الكثيرة التي جاء بها جينت دون التوسع الممل، وإنما بالمختصر المفيد قصد تبسيط هذه المفاهيم ومنها:

1 – التعالي النصي:

و هو أن يعرف" المتلقي أو القارئ كل ما يجعله نصا لاحقا في علاقة خفية أم جلية مع غيره من النصوص السابقة عليه وجودا "[3]، ونعمل على كشف كل العلاقات التي تربط هذا النص مع

1 عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، ص51

2 عبد الجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص 136

3 عبد الجليل مرتاض، التناص، ص9

النصوص الأخرى، وهذا هو مفهوم التناص عند جوليا كريستيفا لكن عند جينت هو نوع واحد من أنواع التناص.

2 التداخل النصي :

وهو جزء من التعالي النصي، سماه عبد الجليل مرتاض بالتعالي النصي من نوع آخر، ويعني به "التواجد اللغوي لنص في نص آخر سواء كان هذا التواجد اللغوي نسبيا أم كاملا أم ناقصا"[1]، ونلحظ أنه حدده بالتواجد اللغوي ليقصي كل تلميح أو إشارة أو فكرة، وهذا الذي يعرف بالاقتباس "وأسماه جينت الاستشهاد الذي يعتبر إيراده الجلي لنص مقدم ومحدد في آن واحد بين هلالين مزدوجين أوضح مثال على هذا الضرب من الوظائف"[2]، والذي يسميه بعض النقاد بالتناص المفتوح.

3 – التعالي النصي من نوع آخر:

وهو النوع الثالث من التعالي النصي والذي لم نجده إلا عند عبد الجليل مرتاض ولمحنا فيه نوعا من التداخل مع نوع آخر وهو "الما بين نصية"، لكن مرتاض يجعله في التعالي النصي، ويقصد به "أنواعا أخرى من العلاقات التي لم يصرح بها من قبل وأهمها عنده فيما يعتقد ما أسماه علاقة المحاكاة وعلاقة التغيير بحيث تعطينا المعارضة والمحاكاة الساخرة فكرة عنها، بل فكرتين متباينتين حتى وإن اتسمتا في الغالب الأعم بأنهما فكرتان متباينتان أو على الأقل تكونان غير متميزتين بدقة عن بعضهما"[3]، ونلحظ هنا أنه خرج من التواجد اللغوي الصرف في التعالي النصي إلى التحليل الفكري التلميحي التصريحي، وهذا يتناقض مع مفهوم التعالي النصي على الأقل بمفهوميه السابقين.

1 عبد الجليل مرتاض، التناص، ص52

2 المصدر نفسه، ص52

3 المصدر نفسه، ص54

4 ما فوق النصية:

ويقصد به كل" نص يفرض نفسه بوساطة علاقة الوصف النصي، علاقة تقرن التحليل بالنص المحلل، دون استدعاء إجباري لعوامل غريبة أو حميمة خارج ربط التحليل بالنص المحلل "[1]، ويسميه بعض الدارسين بالنصية الواصفة ولكن نجد مرتاض يجعله في "الما فوق نصية" ليفرق بينه وبين "الما بين نصية"

5– الما بين نصية:

تكمن أهمية هذا النوع من التناص في أن النص ينبني عليه، ويسمى كذلك" النص الموازي"[2]، وهو "أكثر بعدا عن المجموع الذي يشكله العمل الأدبي"[3]، فهو خارج عنه ويعد من هياكله والمتمثلة في" العنوان الفرعي، العنوان الداخلي، الديباجات التعليلات التنبيهات، التصدير الحواشي الجانبية، الحواشي السفلية، الهوامش المذيلة للعمل، العبارة التوجيهية الزخرفة، الأشرطة (تزيين يتخذ شكل حزام) الرسوم، نوع الغلاف وأنواع أخرى من إشارات الملاحق والمخطوطات الذاتية والغيرية، التي تزود النص بحواش مختلفة، وأحيانا بشرح رسمي وغير رسمي"[4]، فهذا التناص يختص بالنص نفسه ولا علاقة له بنصوص خارجية أخرى.

6- بين اللغة موضوع واللغة الواصفة:

ويسمى هذا النوع كذلك بالنصية الواصفة، وترجم كذلك بالميثا لسانية، والذي كان يسميه "القدماء بالتعليق، وهي علاقة تربط بين نص وآخر لا يمثل موضوعه دون أن يسميه"[5]، أو يذكره أو يشير إليه أو يستدعيه، هذا ما جعل مرتاض يقدم لنا مفهوم اللغة الواصفة كي يقرب لنا مفهوم هذا النوع من التناص فهي عنده "كل شيء يصف شيئه، فالخطاب إذا كان خطابا واصفا

---

1 عبد الجليل مرتاض، التناص، ص52

2 سامي عباينة، اتجاهات نقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، ص 275

3 جيرار جينت، من التناص إلى الأطراس، ترجمة حسني مختار، مجلة علامات، ج25،1997، المغرب، العدد 7، ص 182

4 المرجع نفسه، ص182.

5فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص148

Métadixours يصف عمل الخطاب ووظائفه، والكلام إذا كان كلاما واصفا Méta parole يصف عمل الكلام وإنجازه ... ومن هنا فإن اللغة الواصفة لغة تصف اللغة وتقرر قواعدها"[1]، فمن الناحية اللسانية هي لغة طبيعية وعادية.

7- جامع النص:

ويطلق عليه كذلك الشامل النصي وكذا النصية الجامعة" وهو أن يعمل على تحديد الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص، سواء كان هذا الجنس أنشودة أو قصة أو مسرحية أو رواية "[2]، ويكون هذا موسوما على ظهر الكتاب مع العنوان أو يكون كذلك في بداية الجنيريك إذا كان تصويرا، وهذا عمل تشويقي يستهدف تحضير نفسية المتلقي لكن عبد الجليل مرتاض يرى أن هذا " التحديد على هذا النحو في تقديرنا يظل سطحيا إذا لم يحدد كل جنس أجناسا في باطنه وإذا لم يدرك ما اندثر وامّحى أو تولد واستوى من هذا الجنس أو ذاك، ومدخلنا الوحيد لكل هذا وذاك النص ولا شيء غير النص، لأن هذا الأخير هو الذي يجب أن يتخذ مطية لتحديد الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه نصه، وليس العكس"[3]، وهنا يتجلى دور القارئ في تحديد الأجناس الأدبية ومدى تداخلها، وهذا بالرجوع إلى مكتسباته السابقة ومعلوماته المتراكمة عبر الزمن.

8- الما بعد النصية:

ويطلق عليه مرتاض كذلك بالتعالي النصي، وهو نوع من الأنواع الأخرى للتعالي إلا أن بعض المحدثين يطلق عليه مصطلح النصية المتفرعة، ويقصد بها" كل علاقة تجمع نصا (ب) الذي سأسميه نصا متفرعا بنص سابق (أ) سأسميه نصا أصلا Hypotexte يلحق منه بطريقة مغايرة لتلك التي نجدها في التفسير يلقح منه كما في الاستعارة"[4]، فينسج النص من نص آخر غائب الذي سماه جينت بالنص الأصل، وينتج نص فرعي ولهذا سمى هذا النوع النصية المتفرعة أي

1 عبد الجليل مرتاض، التناص، ص53

2عبدالجليل مرتاض، التناص، ص53

3 المصدر نفسه، ص82

4 جيرار جينت، من التناص إلى الأطراس، ص 186

متفرعة عن نص أصلي خفي وما على الناقد إلى البحث عن طرائق" هندسة النص"[1]، وتشكلاته التي ستأخذ أشكالا متعددة ومتنوعة، والتي يمكن تسميتها بروح النص الأصل.

بالإضافة إلى هذه المفاهيم الخاصة بالتناص والتي استنبطها عالمنا بتتبع النظريات الغربية والمقارنة بينها، لاحظ بعض المفاهيم الفرعية للتناص مثل الاستشهاد والاقتباس والتلميح والمعارضة والمحاكاة الممزوجة بالسخرية وغيرها، والتي نفضل أن ندرسها تحت عنوان التناص عند العرب القدماء لأن مرتاض في كتابه التناص يقول "كان بودنا لو ذيلنا هذا العمل البسيط للتناص لدى قدماء العرب ومحدثيهم ولكننا رأينا هذا العمل لا يناسب أوضاع ونظريات النص التي طرحناها إلا إذا تتبعنا هذا التناص عند العرب لمدة قرون، وهذا لا يأتي لنا في مثل هذه الطروحات فضلا عن أننا سوف نجد أنفسنا مضطرين إلى المقارنة والتحليل بين ما ورد من بوادر ومعالم تناصيه لا تنكر ولا ترد عند العرب قدماؤهم ومحدثيهم، الأمر الذي جعلنا نتردد ثم نقرر أن تبحث هذه البوادر والمعالم التناصية عند العرب في عمل مستقل"[2]،وهذا ما لمحناه في كتابه التطبيقي" البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي" في فصله الخامس الذي عالج فيه التناص عن القزويني من خلال كتابه *الإيضاح في علوم البلاغة*، وكذا عند سليمان الطوفي من خلال كتابه (الإكسير في علم التفسير)

مفهوم التناص عند العرب:

عرف العرب مفهوم التناص منذ القدم تحت مسميات مختلفة كالاقتباس والتضمين والتلميح والعقد والحل والمعارضة وغيرها من المصطلحات، وقد فرّقوا بين السرقات خاصة الشّعرية وبين الأخذ بالمعنى، وكانوا يشبهون عملية الأخذ بعمل "الصائغ الذي يذيب الحجر الكريم ويعيد صياغته بأحسن ما كان عليه، أو التصوير بالألوان والأصباغ إذ يصرف المصور ألوانه فتتصور الصور والألوان المغايرة، والألفاظ والمعاني في يد الشاعر يشكلها كما يريد"[3]، ونجد عبد القاهر

1 عبدالجليل مرتاض، التناص، ص63

2 عبد الجليل مرتاض، التناص، ص83

3 سامي يوسف أبو زيد، النقد العربي القديم، دار المسيرة، عمان، ط1، 2013، ص141

الجرجاني يعد الأخذ بالمعنى من السرقات يقول "وأعلم أن الحكم على الشاعر بأنه أخذ من غيره وسرق واقتدى بمن تقدم وسبق لا يخلو من يكون في المعنى صريحا أو في صيغة تتعلق بالعبارة، ويجب أن نتكلم أولا عن المعاني وهي تنقسم إلى قسمين عقلي وتخيلي"[1]، بهذا التحديد الشّامل والوافي نجد أن عبد القاهر الجرجاني قد سبق الدارسين الغربيين في تحديد المفهوم خاصة، وأنه ربطه بالسرقات التي كانت وصمة عار في جبين الشعراء في زمن كان فيه الشاعر شرف القبيلة والدولة وإذا وصف بالسارق فهذا أمر جلل خطير.

ثم تجد عبد القاهر الجرجاني يرجع أمر القراءة النقدية إلى نوعية القارئ، لأن هذه الملاحظات لا تتأتى إلا لمطّلع على معاني الألفاظ والعبارات يقول: "أعلم أن الشاعريين إذا اتفقا لم يخل ذلك من أن يكون في الغرض على الجملة والعموم، أوفي وجه الدلالة على ذلك الغرض فأما الاتفاق في عموم الغرض، فما لا يكون الاشتراك فيه داخلا في الأخذ والسرقة والاستمداد والاستعانة، لا ترى من به حسن يدعي ذلك، ويأبى الحكم بأنه لا يدخل في باب الأخذ، وإنما يقع الغلط من بعض من لا يحسن التحصيل، ولا ينعم التأمل، فيما يؤدي إلى ذلك حتى يدّعي عليه في المحاجة أنه بما قاله قد دخل في حكم من يجعل أحد الشاعريين عيالا على الآخر في تصوّر معنى الشجاعة، وأنها مما يمدح به وأن الجهل مما يذم به فأما أن يقوله صريحا، ويرتكبه قصدا فلا، وأما الاتفاق في وجه الدلالة على الغرض فيجب أن ينظر فإن كان مما تشترك الناس في معرفته، وكان مستقرا في العقول والعادات فإن حكم ذلك وإن كان خصوصا في المعنى، حكم العموم الذي تقدّم ذكره، سواء كان ذلك ممن حضرك في زمانك، أو كان ممن سبق في الأزمنة الماضية والقرون الخالية، لأن هذا مما لا يختص بمعرفته قوم دون قوم ولا يحتاج في العلم به إلى رواية واستنباط وتدبر وتأمل وإنما هو حكم الغرائز المركزة في النفوس"[2]، فلا يكون فيه التفاضل والتمايز وإنما تستوي فيه إبداعات المبدعين، فبهذه الدراسة العميقة نجد أن عبد القاهر الجرجاني قد أحاط بكل مفاهيم التناص الحديثة، والعبرة بالمفاهيم لا بالمصطلحات، كما كانت نظرته أدبية فنية ولسانية لذلك نجده قد أحاط بعلم النص الحديث إحاطة.

---

1 عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 6

2 عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار الخانجي، القاهرة، ط1، 1991، ص339

يُلمح عبد الجليل مرتاض إلى جهود هذا العالم الرباني الجليل في عجالة في كتابه (البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي)، لكنه يقف في تحديده لمفاهيم عامة للتناص على عالم آخر وهو الخطيب القزويني صاحب كتاب 'الإيضاح في علوم البلاغة'، ويرى عبد الجليل أنه إذا عُدت لهذا الكتاب "لوجدت التناص وما لامسه أو تخلله من مفاهيم متداخلة معه أو قريبة منه بنسبة ما"[1]، ومن هذه المفاهيم:

1 الاقتبـــاس:

هذا النوع من التناص عرفه العرب منذ القدم وهو أن يُدخل المبدع " في نصه تراكيب وجملا من نصوص غيره دون ما تصريح، ويترك الأمر لمتلقي النص من باب الثقة أنه يعرفها، أو من باب الرفع من قيمته بغرض أنه لا يحتاج إلى إحالة تحيله على مواطن التراكيب المقتبسة"[2]، خاصة إذا كان النص المقتبس من القرآن أو الحديث الشريف الذي عجز العرب على أن يأتوا بمثله" فهو معجزة الدهور يفيض بالصياغة الجديدة والمعنى المبتكر يصور تقلبات القلوب وخلجات النفوس، وهو النص المقدس الذي أحدث ثورة فنية على معظم التعابير التي ابتدعها العرب شعرا ونثرا، ليخلق تشكيلا فنيا خاصا متناسق المقاطع تطمئن إليها الأسماع"[3]، وتتشوق إليه الأنفس، لهذا كان الاقتباس منه تجملا بجماله، وتشبها بحسنه، وتبركا ببركته.

ونجد عبد الجليل مرتاض وضح مواضع الاقتباس فيما جاء به القزويني في مثل قول"الحرير مثلا ' فلم يكن إلا كلمح البصر ' مقتبس من قوله تعالى{وما أمر الساعة إلا كلمح البصر}، أو قول آخر{وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر} (القمر) وقوله سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا}"[4]، وهذا كثير في أقوال العرب وأشعارهم وأمثالهم في القديم والحديث.

1 عبدالجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص 133

2 عبدالجليل مرتاض، التناص، ص68

3 جمال مباركي، التناص وجمالياته، ص 167.

4 عبدالجليل مرتاض، التناص، ص134

2 التضمين: شغلت قضية التضمين النقاد العرب منذ القديم، والذي يعرفه عبد الجليل مرتاض بما "يدخله المتكلم في كلامه من كلام غيره"[1]، وهذا لعجزه عن خلق وابتكار معاني جديدة فيلجؤون إلى استعمال أشعار القدماء مع محاولة التفرد بمعنى استفادوه من هؤلاء.

وقد جعل لنا عالمنا قواعد التمييز بين الاقتباس والتضمين، ذلك أنه يجوز "للمبدع أو الكاتب في الاقتباس أن يغير تغييرا يسير فيما يقتبس حتى لو تعلق الأمر بأقدس نص: قد كان ما خفت أن يكون إنا إلى الله راجعون مع أن نص الآية ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾**البقرة156**، بل لا مانع من تغيير البناء المقتبس زيادة أو نقصانا أو تقديما أو تأخيرا، بينما التضمين يحافظ فيه المتكلم على سلامة بنية ما يضمنه كلامه ولا يحق لك أن تتصرف في تغيير اللفظ المقتبس كأن تزيد فيه أو تنقص منه فضلا عن السماح لك بتقديم أو تأخير شأنك في هذا مع الاقتباس، ولذا فإن الاقتباس أكثر دورانا بين الناس؛ بالنظر إلى سهولته، وشفافيته وشعور الكاتب بقدر كبير من الحرية فيه"[2]، فهذه القواعد يجب أن يعيها الناقد أثناء ممارسته للعملية النقدية للتفريق بين المفاهيم والمصطلحات التي أصبحت تؤرق كثيرا من الباحثين، والنقاد على سواء.

3 العقد والحل:

ويقصد بالعقد "نظم كلام منثور نظما مختلفا على طريق الاقتباس من القرآن والحديث والأقوال المأثورة السائرة بين العامة والخاصة من أمثال وحكم وعادات تواصلية يتخذها الناظم زادا خامي لتقوية موقفه وتبرير خطابه وإقناع متلقيه مع ما فيه من تكلف ظاهر وبيان في التعبير"[3]، أما الحل فعكس ذلك فهو "نثر المنظوم"[4]، وكلاهما من الصناعة التي عرفها العرب وجاءت نظرية التناص لتثمن هذا التعانق بين الشعر والنثر وتكسر كل الحدود بين الأجناس الأدبية، وتعيد الروح من جديد لنصوص قديمة في حلة جديدة يتفاعل معها القارئ بثوبها الجديد المتجدد.

1 عبدالجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص 134

2عبد الجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص142

3 المصدر نفسه، ص134

4 المصدر نفسه، ص135

4 التلميح:

تعرض مرتاض لموضوع التلميح عند الغرب والعرب، ويرى أنه يقابل مفاهيم أخرى مرادفة له " كالإلماع والكناية، والإشارة الضمنية أو المباشرة، وحتى اللحن إذا كان بمعنى الخطاب الذي يفهمه عنك أحد بعينه ويخفى على غيره "[1]، ويعرفه بأنه الإشارة "إلى نص من غير تصريح به"[2]، بطريقة ذكية كالزيادة والنقل والقلب وغيرها من الأساليب الذكية التي تحدث في النص الجديد ذوقا عذبا وترتيبا حسنا، يلمحه المتلقي ويستنبط العلاقة بين النص الأوّل والنص المنتج الجديد.

التطبيقات التناصية:

حقيقة تعد دراسة عبد الجليل مرتاض من أبرز الدراسات النقدية العربية في قراءتها للنصوص والالتفات إلى مفهوم التناص، ومعالجته نظريا، وتوظيفه قرائيا، وهذا الذي كانت تفتقده الدراسات العربية الحديثة، حيث نجده ينطلق في توظيفه للتناص من منطق قرائي يعتمد على الكشف عن النصوص الأم، وكذلك بربط التلميحات والإشارات والصور الذائبة بنصوصها الأصلية، وهذا لا يتأتى لكل قارئ وإنما يجب كما يقول أن تكون أديبا موسوعيا لتقف على ما يوجد في النصوص من تناصات، فدراسته لرسالة الضب للبشير الإبراهيمي واستخراجه لأنواع التناص التي لمحها تعد دراسة مكتملة رغم أنه يقر بصعوبة استنطاق إبداعات الإبراهيمي، لأن الرجل امتلك ناصية اللغة، وتحكم فيها تحكم، لهذا لم يستعمل الحل والعقد مثلا في كتاباته، يقول إن" ذكر بعض الظواهر البديعية، التي لم ترد في مدونتنا فإن ذكرها في حد ذاته قراءة دالة على انعدامها، إذ لم يقدم الكاتب على عقد، ولا أحد ممن يقرأ هذه المدونة لا يرتاب مرة أو مرات بأن الكاتب قد يكون نثر بلغته العالية نظما من هنا أو هناك نثرا سبكها سبكا لا يتقاصر عن سبك أصله، خاصة وأن نثر الإبراهيمي نثر شعري لا ينقصه إلا الوزن والقافية "[3]، لذلك يصعب استحضار هذه النصوص خاصة إذا علمت أن الرجل " يقر بحفظ كميات غزيرة نوعية من مختلف

1 عبدالجليل مرتاض، التناص، ص67

2عبدالجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص135

3المصدر نفسه، ص 140

الأجناس الأدبية مما قيل في الضب، وهذا الإقرار يقتاده دون شعور إلى حل، أي نثر بعض ما قيل من نظم في هذا الحيوان واكتشاف هذا الأسلوب البديعي من مهمة القارئ، وليس من مهمة الكاتب أن يكشف لك عن نفسه"[1]، هذا إذا تعمد استعمال هذه النصوص وإخفائها فكيف إذا أصبحت هذه اللغة من مكتسباته، وهو الذي حفظ أمهات الكتب وسنه لم يتجاوز الأربعة عشر سنة، وأصبح من كبار العلماء وسنه لم يتجاوز العشرين سنة.

ورغم هذا فلم يتعامل مرتاض مع هذه الرسالة بطريقة ساذجة باستخراج النصوص وإحالتها إلى النصوص الأصل، وإنما لمح الحوار القائم بين هاته النصوص ومجموع التحولات والتحوّرات والتقلّبات الحادثة عليها، وهذا بصورة آنية جمع فيها بين معرفة طبيعة النّص الأصل وما جرى عليه من تغيرات أخرجته في حُلّة جديدة.

وقصد تقريب العمل إلى المتلقي وتبسيط كيفية اشتغال عبد الجليل مرتاض على نص الإبراهيمي سنستعين بهذا الجدول التوضيحي لأهم التناصات التي جاءت في هذه الرسالة، والتي تحتاج إلى ذاكرة قوية وحافظة مميزة لاستخراجها، وهذا ما ألفيناه في عالمنا عبد الجليل مرتاض .

ثم نجد الرجل يستخرج مجموعة من التداخلات من حل وعقد رغم أنه يشك في مصدرها إلا أنه اشتم فيها روائح ونسمات كانت في نظم ونثر من قبله، إما في إيقاع أو ميزان شعري أو في تعابير ومعاني ظاهرة وخفية.

النص الإبراهيمي	النص الغائب / الحاضر	طبيعة التداخل
فعاقبتكم عقاب معقل بما معناه شببت عن طوق هذه الأحناش	المثل العربي "كبر عمرو عن الطوق أو شب عمرو عن الطوق" غير الكاتب بدل المسند إليه "عمرو" في المثل بمسند آخر، أسنده المتكلم إلى نفسه معبرا عنه بضمير متصل .	تلميح

[1] عبدالجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، ص 141

ثم فاء علي عازب عقلي	قوله تعالى {لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات و لا في الأرض} وقوله {ولا يعزب عن ربك من مثقال ذرة}	تلميح
قفا نبك	مطلع معلقة أمرؤ القيس	اقتباس
أعقد من ذنب الضّب	استشهد بما جاء في لسان العرب تستخبث الورل وتستقذره ولا تأكله وأما الضّب فإنهم يحرصون على صيده وأكله والضّبأحرش الذنب خشنة مفقره ولونه إلى الصحمة، ويرى أن هذا التضمين هنا ما يدعى نسبة خاصة لأنه جزء ذاكرة العرب و ملك لجماعة لا لفرد	تضمين
هذا جحر ضب خرب	الشاهد النحو "هذا جحر ضب خرب"	تضمين
ضب دامي الأظافير	يقول الشاعر "يرى الشر قد أفنى دوائر وجهه* كضب الكدى أفنى أنامله الحفر	يرى أنها تناصات متداخلة بين تضمين واقتباس وتلميح
فاعلم أن الصحراء لبستهم ولبسوها	مع قوله تعالى: ﴿**هُنَّ لِبَاس لَّكُم وَأَنتُم لِبَاس لَّهُنَّ**﴾ **البقرة187**	تلميح
وهو لحامه شكة وحامله .وهو شائك منه شاكي سلاح	متناص مع فتاوى لغوية وذكر ذلك ما جاء في الصحاح "رجل شاكي السلاح إذا كان ذا شوكة وحدة في سلاحه"	تلميح

	وما جاء في القاموس المحيط" رجل شاك السلاح وشائكه وشوكه وشاكيه حديدة وشاك بشاك شوكا ظهرت شوكته وحدته"	
منهم من عاشر الضواري حتى ألفها وألفته وجمع بينهماعا لم كعا لم المثال عند الصوفية فلطفت في السبع صورة السبعية	نجده يقول ربما يكون الحل من خلال نثر معنى البيت المشهور "عوى الذئب إذ عوبوصرت إنسان فكدت أطير "أو كقول الشنفري" و لي دونكم أهلون سيد عملي	الحل

فهذه لمحة عن طرائق اشتغال الرجل على النصوص النثرية والشعرية، تدل على واسع ثقافته وسعة اطلاعه على شعر العرب ونثرها، والذي أحدث أثرا في ذاكرة عبد الجليل مرتاض، جعلته يجدد العهد بنصوص قديمة يربطها بنصوص حديثة بطريقة فنية تكشف مخزون عظيم من التجارب والمشاعر والأحاسيس التي يوظفها أثناء قراءته للنصوص، ثم يحيلها إلى أصولها الحقيقية أو المجازية.

المبحث الثالث: السيميائية

يرى جل النقاد المحدثين أنه لا يمكننا فهم المناهج اللسانية الحديثة دون التمكن من معرفة مفهوم السيميولوجيا، التي رافقت ظهور البنوية أو المناهج اللسانية الحديثة، ويعد دي سوسير من المؤسسين الأوائل لعلم السيميولوجيا، حيث تنبأ بظهور علم للعلامات يكون علم اللغة جزء منه يعمل على دراسة العلامات والشارات والقوانين التي تتحكم فيها، وقد أسس لهذا العلم من منطلق ثنائية الدال والمدلول والعلامة اللغوية والتي سبق الحديث عنها .

إن القضية الأولى التي أرقت الدارسين للمنهج السيميولوجي هي قضية المصطلح، وتعدده من دارس لآخر ومن مدرسة لأخرى وحتى في نفس المدرسة، حيث قدّم دي سوسير مصطلح السيميولوجيا بحكم أنه من الناطقين باللغة الفرنسية، أما المتحدثين بالغة الإنجليزية فيقدمون مصطلح السيميوطيقا الذي جاء به شارل بيرس، أما النقاد والباحثون العرب فهم يتوزعون على ثلاث اتجاهات في استعمال المصطلح، الأوّل "يؤثر مصطلح السيميولوجيا وله مبرراته في ذلك لمحاولة القرب من مصادر الفكر النقدي الحديث لصناعة مصطلحاتها طبقا للتقاليد العربية القديمة لابتداع الإشارات اللغوية وتمثيلها وتوظيفها بما يسمح بالتواصل العلمي مع بيئاتها العلمية"[1]، وأما الاتجاه الثاني "يعتمد على المصادر الأنجلوسكسونية فيفضل كلمة السيميوطيقا وخاصة أنها تمضي على نفس النسق التي كانت تمضي عليه عمليات التعريب، كما انتقلت كلمات البيوطيقا وغيرها بهذا الشكل اللغوي"[2]، أما الاتجاه الثالث "فهو يبحث في التراث العربي ذاته على الكلمات المناظرة، والتي يمكن أن تؤدي بشكل تقريبي الدلالة اللغوية المطلوبة في العلم الحديث ويقع على السيمياء ويشتق منها السيميائية"[3]، كما يعد عامل اللغة الثانية من المؤثرات المباشرة في اختيار المصطلح لدى العرب.

فالمغاربة ولإتقانهم اللغة الفرنسية يميلون إلى استعمال مصطلح السيميولوجيا، وكذلك استقر عندهم مصطلح السيمياء "لمظنة اشتباهه بالمجالات العربية القديمة من ناحية، وتوثيقا للعلاقة

[1] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص116

[2] المرجع نفسه، ص 116

[3] المرجع نفسه، ص 116

المعرفية مع الفكر النقدي الحديث وتيسيرا على المتلقين من ناحية ثانية"[1]، أما المشارقة وبحكم إتقانهم للغة الإنجليزية فيميلون لاستعمال مصطلح السيميوطيقا، أما الدكتور عبد الجليل مرتاض فنجده يستعمل المصطلحين معا للدلالة على نفس المعنى.

نجده في كتابه (دراسة سيميائية ودلالية ففي الرواية والتراث)، يستعمل مصطلح سيمياء وسيميائية، وكذلك في مقاله (المقاربة السيميائية لتحليل الخطاب الإشهاري)، أما في تعريفه لهذا المصطلح في (قاموسه الوجيز في المصطلح اللساني)، فقد أشار إلى هذه بقوله "سيميولوجيا أم سيميوطيقا أم؟"[2]، وترك المجال مفتوحا لاحتمال وجود مصطلحات أخرى لهذا العلم، ويبرر ذلك بقوله "ومما وثقت منه وثوقا في هذا الموضوع بالضبط أو في مواضيع أخرى لسانية متصلة بهذا الموضوع ذاته أو بغيره أن تحديد المفهوم المصطلحاتي في أيّ مجال من مجالات البحث تحديدا صارما قد يكون له عواقب عكسية أخطر مما نتصوره أو مما كنا نطمح إليه تماما"[3]، لأن قضية المصطلح تبقى حتى الآن اجتهادات فردية من علماء أجلاء كل له نظرته ومبرراته ومنهم عبد الجليل مرتاض، ومهما كان الأمر يبقى المصطلح العلمي مجرد انطلاقة للولوج إلى أي علم ومنها علم السيميولوجيا، حيث يرى عالمنا أن" كل الباحثين في الميدان أو ممن أشاروا مع مطلع هذا القرن إلى هذا الحقل الدراسي مجمعون على أن أصل كلمة سيميوطيقا أو سيميولوجيا يعود إلى الكلمة اليونانية القديمة سيميون semeion والتي تعني علامة أو Logos والذي يعني الخطاب "[4]، أي علم علامات الخطاب، ومن العلماء من يرى ضرورة فصل المصطلحين عن بعضهما وجعل السيميوطيقا تختصبميدان اللسانيات، والسيميولوجيا علم للعلامات والإشارات وتكون اللسانيات فرع منه، وهذا ما يتوافق مع نظرة دي سوسير.

ولهذا نجد تعريفاتها متباينة، فإن كانت كعلم عام للعلامات فإنها" أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءا من الانفعالات البسيطة ومرورا بالطقوس الاجتماعية وانتهاء بالأنساق

[1] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص116

[2] عبد الجليل مرتاض، القاموس الوجيز في المصطلح اللساني، ص 351

[3] المصدر نفسه، ص 351

[4] المصدر نفسه، ص 352

الأيديولوجية الكبرى"[1]، فهي العلم الذي يدرس كل العلامات والإشارات في الإطار الثقافي والاجتماعي العام، أما إذا اختصت بدراسة العلامة اللغوية المبنية على ثنائية الدال والمدلول فإن دراستها للعلامة سينطلق من وظيفتها الاجتماعية أثناء الاستعمال، ومن هنا فإن " جوهر العلامة هو المعنى فالعلامة لا تعني شيئا بدون معنى تؤديه، وطريقة التأدية محكومة بالعلاقات وكيفية هذه العلاقات ترسل معنى ما أما الظاهراتية فقد رأت أن آليات التدليل تعتمد على تفاعل القارئ مع النص "[2]، رغم أن السيميائية هي وليدة البنوية التي أرسى دعائمها دي سوسير إلا أنها تحررت من بعض قيود البنوية خاصة في نظرتها إلى القارئ والمتلقي، ولهذا أصبحت" بعض النشاطات السيميائية التي ترى نفسها جزءا من الدراسات الثقافية تؤكد على أهمية القارئ وبهذا تتصل بنقد استجابة القارئ ونظرية الاستقبال"[3] والتلقي، وبهذا نلاحظ انفتاح السيميولوجيا على عديد من المناهج النقدية ومحاولة التحرر من أمها البنوية، رغم وجود بعض الدراسات التطبيقية الحديثة خاصة العربية منها لا تزال في قراءتها السيميائية للنصوص الأدبية تركز على مفهوم العلامة اللغوية من وجهة نظر بنوية.

لقد أحدثت دراسات شارل بيرس السيميائية نقلة نوعية في المفاهيم والإجراءات خاصة مفهوم العلامة، وعلاقتها بالإدراك المعرفي ذلك أن الحديث عن "سيميائيات بورس هو حديث عن تصوره لعملية الإدراك : إدراك الذات وإدراك الآخر، إدراك الأنا، وإدراك العالم الذي تتحرك داخله هذه الأنا، وهذا الأمر في غاية الوضوح في تصور بورس، فلا شيء يوجد خارج العلامات أو بدونها ولا شيء يمكن أن يدل اعتمادا على نفسه دون الاستناد إلى ما توفره العلامات كقوة للتمثيل، فالتجربة الإنسانية بكافة أبعادها ومظاهرها تشتغل في تصور بورس كمهد للعلامات، لولادتها ونموها وموتها "[4]،فكل شيء عنده علامة، فالإنسان علامة وما يحيط به وما يتعامل به، وما يبديه وما يتداوله، كل ذلك علامات ورموز دالة لأن "كل شيء يدرك بصفته علامة ويشتغل

1 سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط2، 2012، ص 25 .

2 جاسم حميد جودة، جمالية العلامة الروائية، الرضوان للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014 ص 32

3 أحمد شهاب، تحليل الخطاب النقدي المغامر، عالم الكتاب الحديث، إربد الأردن، ط1،2015، ص 133.

4 سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل، مؤسسة تحديث الفكر العربي، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص 72.

كعلامة، ويدل باعتباره علامة فالتجربة الإنسانية بدءا من صرخة الرضيع إلى تأمل الفيلسوف ليست سوى سلسلة من العلامات المترابطة والمتراكبة إنه مبدأ الامتداد الذي يجعل من التجربة الإنسانية بكل لغاتها أو مواد تعبيرها تجربة كلية، تنتهي معه العلامة إلى الانصهار في الفعل "[1]، والعلامة عنده تختلف عن العلامة التي تحدثنا عنها عند دي سوسور، والذي حددها في الدال الذي هو صورة سمعية والمدلول الذي هو تصور ذهني إلا أن بيرس يرى أن العلامة هي وحدة " ثلاثية المبنى غير قابلة للاختزال "[2].

فبهذه النظرة الفلسفية للعلامة يرى أنه لا يمكن إدراك الأشياء مباشرة، ولكن تدرك بوسيط يحيل إلى هذه الأشياء، أو على الأقل يقربنا إليها، وهذا كله في إطار حقل السيميوز أو السيرورة السيميائية، والتي يعرفها عبد الجليل مرتاض في 'قاموسه الوجيز في المصطلح اللساني' على أنها سيميوزيس، وهو "السيرورة التي يشتغل فيها شيء ما بوصفه علامة دالة، وينبه الدارسون إلى ضرورة التمييز بين مصطلحي العلامة والسيميوزيس، فهذا الأخير تبعا لبورس، شيء يقوم مقام العلامة أي كمدلول على أن تكون سيرورته (السيميوزيس) ضرورة من ثلاثة عوامل، فهناك التمثيل أي la représentation الذي يعتبر مفهوما أول في العلاقة الثلاثية، بينما ثاني هذه العلاقة يسمى بالموضوع l'objet أما الثالث فيتجلى فيما يسميه بورس المؤول"[3]، ومن هنا فالعلامة تحتاج إلى التمثيل والموضوع والمؤول، والتمثيل يحتاج إلى "الماثول كأداة للتمثيل"[4].

وقد يمثل لهذا بالمخطط التالي:

مؤول

ماثول – – – – – – – موضوع

1 سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل، ص73

2 المرجع نفسه، ص76

3عبدالجليل مرتاض، القاموس الوجيز في المصطلح اللساني، ص 352

4 سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل، ص77

"الخط المتقطع يشير إلى أن العلاقة بين الماثول والموضوع ليست مباشرة بل تمر عبر مؤول"[1]، ومن هذا المخطط يتبين لنا أن الماثول هو الأداة التي تستعمل للتمثيل لشيء آخر وهو "ليس واقعة لسانية بالضرورة – يحل محل شيء آخر – أداة للتميل – لا يوجد إلا من خلال تحيينه داخل موضوع ما – لا تستطيع الإحالة على موضوعه إلاّ من خلال وجود مؤول يمنح العلاقة صحتها"[2].

أما العنصر الثاني للعلامة وهو الموضوع، والذي يعمل الماثول بكل الطرق على تمثيله وتوضيحه وتقريبه إلى الواقع أو إلى الذهن، ولا يشترط أن يكون ماديا كي يمثل وإنما يمكن أن يكون تصورا ذهنيا مثل الأشياء المعنوية (كالحب _ الكره _ والحسد...).

أما العنصر الثالث للسيميوز فهو المؤول الذي هو "عنصر التوسط الإلزامي الذي يسمح للماثول بالإحالة على موضوعه وفق شروط معينة فلا يمكن الحديث عن العلامة إلا من خلال وجود المؤول باعتباره العنصر الذي يجعل الانتقال من الماثول إلى الموضوع أمرا ممكنا إنه هو الذي يحدد للعلامة صحتها، ويضعها للتداول كواقعة إبلاغيه"[3]، وفق قوانين وشروط خاصة تقلل من اعتباطية العلامة وتقربها إلى الحقيقة، والتصور الذي أتفق عليه الباث والمتلقي مسبقا، ولهذا يرى رولان بارت أن السيميولوجيا ليست "تأويلا فهي تصور أكثر مما تنقب إنها kia di parre وليست kia di la vare"[4]، وموضوعاتها مختلفة ومتنوعة بحسب المجالات التي تعمل فيها، وأفضل موضوعاتها هي التصور "التي ينتجها الخيال إنها الحكاية والصور والتعابير واللهجات والأهواء، والبنيات التي تتمتع في ذات الوقت بمظهر الاحتمال وعدم يقين الحقيقة من الممكن إذن أن أسمي السيميولوجيا مجرى العمليات الذي يمكن عن طريقه – بل ونرجو – الاستمتاع بالدليل كما لو كان لوحة فنية"[5].

1 سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل، ص 77.

2 المرجع نفسه، ص79

3 المرجع نفسه، ص88

4 رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: عبدالسلام بن عبد العالي، دار توبقال، المغرب، ط3، 1993

5 المرجع نفسه، ص 26

لهذا نجده في كتابه لذة النص يتحدث عن لذة الكتابة ولذة القراءة، والشروط التي تجعل القارئ يتمتع أثناء القراءة، بل يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يرى أن " سيادة المؤلف تنتهي بمجرد الانتهاء من الكتابة، وهذا ما عناه بارت بالكتابة في الدرجة الصفر والسر من وراء هذا الهجر البارتي لمبدع النص، هو الاعتقاد بتفجير الدلالة في لخطة انقطاع النص عن الصورة الحياتية لمؤلفه "[1]، وهذه النظرة ركيزة من ركائز نظرية التلقي، وبهذا تكون السيميولوجيا همزة الوصل بين مرحلة البنوية وما بعد البنوية.

لقد خالف بارت تصور دي سوسير لعلم العلامات في أن يكون علم اللسانيات جزء منه، بأن هذا العلم السيميولوجيا هو جزء من علم اللسانيات، وهذه النظرة يوافقها عبد الجليل مرتاض في موازنته بين العلامة اللسانية وغير اللسانية يقول "لا يعني أننا نزن ما هو لساني مما هو غير لساني بميزان واحد ولكننا نعتبر في الوقت نفسه أي إشارة غير لسانية إلا وتحمل في مضمونها مرسلة لسانية، من ثم فإن الإشارات غير اللسانية لا تعد مكملا للعلامة اللسانية وحسب بل هي جزء لا يتجزأ منها"[2]، فالصور والرموز والإشارات كل ذلك علامات تحمل معاني لسانية من خلال سيميائية المعاني التي تصورها في ذهن المتلقي.

منطلقات التحليل السيميائي للخطاب الإشهاري عند عبد جليل مرتاض:

لقد سبق وأن أشرنا إلا أن عبد الجليل مرتاض يرى أن أي إشارة غير لسانية إلا وتحمل في طياتها ومضمونها مرسلة لسانية، وأن كل نظام أو إشارة لا تستغني عن اللغة، ومن هذا المنطلق نجده يؤسس لقواعد التحليل السيميائي للخطاب الإشهاري بنوعية السمعي والبصري، فالإضافة إلى العوامل اللسانية للإشهار فهو يعتمد على دراسة المجتمع وثقافته والسوق الاقتصادية وحركيتها، لهذا نجد عند تحرير العمل الإشهاري تتكاثف وتتعاون مجموعة من التخصصات منها اللسانيات بمفهومها الواسع، والمختصين في الصورة وعلماء الاجتماع والاقتصاد وغيرها.

ويرى عبد الجليل مرتاض أن الخطاب الإشهاري " لا يشهر من قبل الصدفة هو ثقافة مفننة ومقننة، لكنها ثقافة تراعي المرسل إليه أكثر مما تراعي المرسل نفسه، ومن ثم فإن الخطاب

1 بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، دار الفجر، قسنطينة، ط1، 2016، ص 128

2 عبدالجليل مرتاض، فواصل لغوية، ص 13

الإشهاري موجه أساسا إلى المستهلك أكثر مما هو خاص بالمنتج، هو بالمعنى التقريبي فن وإبداع، أو كتابة لا يستخدم لغة صوتية، ومتلقيه أي المستهلك قارئ، لكنه إبداع واع وغير بريء، لأنه يكاد يرغمك إرغاما على تلقيه بصورة أو بأخرى نظرا لتضخيم إشهار المنتوج وتجويده وإضفاء صبغة هائلة من الروعة والجودة والجمال"[1]، تراعي خصوصية المستهلك والمستقبل، فلهذا أصبح للإشهار مؤسسات علمية واقتصادية ضخمة تعمل على دراسة طبيعية المجتمع الهدف، وخصوصيته وثقافته وديانته ورغباته وتطلعاته وميزانيته اليومية ومستوى معيشته، لهذا وجب علينا التعامل معه" بوعي معرفي مؤسس علميا بمعرفة ماهيتها وانبنائها، وطرائق اشتغالها وأبعادها التواصلية التداولية، وعلى الأخص الصورة الإشهارية حيث أضحينا معرضين لقصف إشهاري متواصل أحدث فينا تغييرات جوهرية ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا، وذلك بعمله على خلق حاجات قد تكون أحيانا زائفة، بواسطة أساليب تدليسيه مغالطة تسخر الصورة، اللون الكلمة والإيقاع في ظل معركة اقتصادية تنافس فيها العلامات التجارية لتحقيق تلك الغاية المحددة سلفا، والمتمثلة في العمل على تصريف منتجات الحضارة المعاصرة "[2]، لجعل المجتمعات السائرة في طريق النمو تحت تصرفها، تتحكم في لباسها وطعامها وشرابها فأضحت الشعوب المتخلفة أسيرة عند أصحاب المؤسسات الاقتصادية.

ومن هذا المنطلق نجد عبد الجليل مرتاض يطرح تساؤلا كيف يتلقى الزبون أو المشتري المفترض المنتوج بواسطة هذا الإشهار؟، ثم يجيب على ذلك إن أي" خطاب إشهاري إلا ويكون بنية الصورة التي ترمز بمنتهى الذكاء إلا ما تعبر عنه"[3]، فتحدث هذه الصورة أثرا بليغا في المتلقي تجعله يستجيب بدون شعور لهذه الرسالة، خاصة في هذا العصر الذي طغت فيه الصورة طغيانا كبيرا في حياتنا اليومية في الإشهار في المسرح والسينما وعبر وسائل التواصل الاجتماعي، "كما نلاحظ فإن الصورة تحتل مجالات عدة إذا لم يخل أي فن من مساهمتها، لأنها لغة العصر الحديث وتقنياتها متطورة لكنها تحتاج رغم ذلك إلى وقوف كل من الأصوات والكلام واللغة مكتوبة أو منطوقة... تبقى اللغة والصورة

1 عبد الجليل مرتاض، فواصل لغوية، ص3

2محمد خاين، الإشهار وترجمة مقاربة لسانية سيميائية، منشورات مختبر اللغة العربية والاتصال جامعة وهران، 2018 ص 53.

3 عبد الجليل مرتاض، فواصل لغوية، ص14

أهم ما في حياتنا كأدوات للتواصل والتفاهم"[1]، والتي وجب تحليلهما والنظر إليهما من منطلق عملية التواصل، والتي ترتكز على المرسل والمرسل إليه وقناة الاتصال، ولهذا نجد عبد الجليل مرتاض يقدم عدة تعاريف للتواصل وهي[2]:

1 التواصل la communicationتبادل كلامي بين المتكلم الذي ينتج ملفوظا أو قولا موجها نحو متـكلم آخر interlocuteurيرغب في السماع أو إجابة واضحة أو ضمنية explicite ou implicite ، وذلك تبعا لنموذج الملفوظ الذي أصدره المتكلم le sujet parlent

2 التواصل حدث نبأ ينقل من نقطة إلى أخرى ونقل هذا النبأ يكون بواسطة مرسلة استقبلت عددا من الأشكال المفكوكة qui été codé ويلاحظ بعض الدارسين أن التعريف الثاني يزيد مسألة التواصل غموضا لأنه يعمم بين ما يتصل باللغة وبغيرها من معلومات تستخدم في مجال الاتصالات الأخرى التي لا تمت بصلة إلا اللغة، وهذا ما يؤكده كل اللسانيين الذي يرون أن "وظيفة اللسان الأساسية هي التواصل ولا تختص هذه الوظيفة بالألسنة وإنما توجد أيضا في البنيات السيميائية التي تشكّلها الأنواع الأخرى غير اللسانية، غير أن هذا التواصل مشروط بالقصدية وإرادة المتكلم في التأثير على الغير"[3].

فالسيميائية تهتم بوصف وتحليل كل الأنظمة التواصلية اللسانية وغير اللسانية شريطة وجود قصد من عملية التواصل بهذا النظام أو ذاك، وهذا ما يراه عبد الجليل مرتاض يقول" ما هو مؤكد لدينا أن تبليغ أية رسالة سواء كانت لسانية أم غير لسانية إلا ولها هدف قصد تواصلي وبعد وظيفي، وأن كل بنية تحتية إلا وتقابلها بنية فوقية لكن هل البنى التحتية متعددة والبنى الفوقية بنية واحدة ؟ إذا قلنا بتعدد بنياتها التحتية، فهي تصبح أقرب إلى علاقة لسانية منها إلى علامة غير لسانية، ويصبح لها دال يشبه الصورة السمعية ومدلول يشاكل التصور وهذا أقرب إلى الاستحالة منه إلى الممكن لأن الصورة

1فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 122 .

2 عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 79

3 ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، ترجمة رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، 2002، ص 31.

الإشهارية لا تمثل إلا نفسها ومرة واحدة ولا تقبل انشطار بين دالها (الصورة) ومدلولها (المضمون)"[1]، وهي عنده مرتبطة بالفكر وقصد والسياق والاتساق والانسجام، شأنها شأن الرسالة اللسانية.

كما نجده يربط الخطاب الإشهاري بوظائف الاتصال أو اللغة، وكذلك بالنظرة التشومسكية للبنى السطحية والبنى العميقة، ويتمظهر فعل اللغة من خلال الطريقة "التي يقدم بها المنتج لسانيا إذ يجري تغييب جميع المقاصد النفعية والتجارية ويعاد تحميله بمجموعة من القيم مثل الصحة والطبيعة، الأمر الذي يعني أن المنتج جاء ليسد حاجة لدى مستعمله ويملأ نقصا كان يعانيه أي أن المشهر لا يبيع سلعة إنما يبيع القيمة المضافة "[2]، فينجر المتلقي نحو هذا المنتج دون مراعاة قيمته الحقيقية عن طريق البحث والاختبار، وإنما يقتنع بالمنتج بمجرد انبهاره بالتركيبة الإشهارية التي تحمل في أعماقها وسائل إقناعيه ساحرة.

إن سحر الخطاب الإشهاري جعل عبد الجليل مرتاض يميز بين أنواع المتلقين من حيث طبيعة مجتمعاتهم، فالمجتمعات المستهلكة غير المنتجة سرعان ما تنساق وراء هذه الخطابات – الصادقة الكاذبة – ولهذا يقترح إيجاد وسائل علمية تعليمية "ومناهج اجتماعية تربوية تجعل أجيالنا المستهلكة الصاعدة تتعامل مع هذه الخطابات الإشهارية أيا كان نوعها وخطرها دون أن تذوب فيها بدلا من منهج القمع والأمر والنهي، إذ من الغريب حقا أن تقول اليوم أو غدا لابنك أو حفيدك : اشتر هذا، ولا تشتر ذاك، وأقبل على هذا وتجنب ذاك"[3]، وإنما يجب أن يكتسب ثقافة استهلاكية تجعله يميز الجيد من الرديء والمنتج الوطني من الأجنبي، والطبيعي من الاصطناعي...

وقصد تحليل الخطاب الإشهاري سيميائيا يرى عبد الجليل مرتاض أنه لا يمكن الاستغناء عن توظيف رؤية لسانية "لبلورة مقاربة لمدلول الإشهار فالصورة إن لم تكن كلمة صوتية فهي ليست بأقل من إشارة بصدد مراسلتنا، وقول شيء معين لنا واستحالة نطقها وتقطيعها تقطيعين لا تعني إنها إشارة عدمية

1 عبد الجليل مرتاض، فواصل لغوية، ص14

2 محمد خاين، الإشهار الدولي والترجمة إلى العربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة القطرية، ط1، 2015، ص 51

3 عبد الجليل مرتاض، فواصل لغوية، ص4

الدلالة، بل كل ما في الأمر يجب أن ننظر إليها نظرة مكتفية بذاتها لا تحتاج في بلاغتها إلى دعامة خارجية "[1]، ما دامت تؤدي وظيفتها وهي استدعاء فهم المتلقي ومحاولة إحداث الأثر فيه، ولهذا نجد عالمنا يعتمد في تحليله للخطاب الإشهاري على مستويات العلامة عند هلمسليف، وهذا باعتبار الصورة نصا وإن لم يكن صوتيا فهو بشكل من الأشكال مادة ومستويات العلامة عند هذا الأخير هي[2]:

1. مادة المضمون، ويعنى به الواقع الخارجي قبل تمظهره إذ لا نتصوره صورة إشهارية لمنتوج معدوم.
2. شكل المضمون ويعادل إلى حد ما، ما سماه دي سوسير المدلول وفي هذه الحالة كل صورة إشهارية إلا وتناسب شكل مضمونها، إذ لا يمكن أن نضع صورة طائرة نفاثة موضع صورة معجون أسنان.
3. شكل التعبير وينطبق على أي دال، ودال الصورة مقاسها، وحجمها وطبيعتها ولونها.
4. مادة التعبير تعني لغويا الكتلة الصوتية المنطوقة قبل أن تسوغها اللغة ويمكن أن تدخل فيها وراء لغوي، والشيء نفسه ينسحب على الصورة، لأنه لا توجد إلا صورة بعينها لمنتوج بعينه، ومن ثم فإن الصورة تعد مادة معرفة ومغرية لأي منتوج أو موضوع على مستوى السوق والتبادلات المقننة أو الحرة .

وبهذا يمكننا تحليل العلامة الغير لسانية وفق أساليب تحليل العلامة اللسانية لأن كلاهما يستدعي فهم الآخر والتواصل معه بشكل من الأشكال.

بين علم الدلالة وعلم السيمياء:

تتميز الدراسات اللسانية الحديثة بالدقة والوضوح خاصة فيما تعلق بالمصطلحات، ومنها علم الدلالة والسيمياء، والواضح من خلال دراستهما أنهما لا يفصل بينهما إلا خيوط رقيقة لا تكاد تميز إلا لمختص، فالسيمياء هي العلم "الذي يدرس العلامات، علم شكلي صوري بحيث إنه يعتمد على تجزئة اللغة إلى أجزائها المكونة أما علم الدلالة، علم الجملة فمعنى مباشرة بمفهوم المعنى (أي بما هو فحوى Sonse أو مغزى، وهو في هذه المرحلة رديف لمفهوم المعنى meaning مادام التمييز بين المغزى والإحالة Sense and Mefereme لم يأت بعد، لأن علم الدلالة ينصرف انصرافا كليا إلى

1 عبد الجليل مرتاض، فواصل لغوية، ص18

2 المصدر نفسه، ص17

العمليات التكاملية للغة في تداخلها العضوي"[1]، ويرى بول ريكو أن التمييز بين هذين العلميين من حيث المفاهيم والأدوات والقوانين والحدود يشكل "مفتاح اللغة بأسرها "[2]، وخاصة أن السيميولوجيا هي العلم الذي يهتم بدراسة العلامات بكل أنواعها، ولا يمكن الوصول إلى مفهوم العلامة ومعناها إلا من خلال السياق الذي وردت فيه أو مجموع السياقات التي وردت وتحققت فيها، وهذا من اختصاص علم الدلالة الحديث، ولهذا نجد عبد الجليل مرتاض أثناء تحليله للمعنى داخل التراكيب اللغوية والنصوص يدعو إلى التفريق بين "العلاقات الدلالية التي تنشأ بين اللكسيمات (الألفاظ المجردة أو الفارغة) التي تكونها من جهة والتداعيات أو الترابطات المزعومة بين المراجع المحال إليها لهذه اللكسيمات من جهة أخرى"[3]، فرغم وجود هذه العلاقة بين المفردات المعجمية وما تحيل إليه إلا أنه ليس بالضرورة أنها دائما تحيل إلى نفس الشيء، ويقدم لذلك إشارة الصليب التي تأخذ عدة معاني حسب السياق الذي تستعمل فيه، وهنا نستنجد بالسيمياء لوصف العلامة أثناء الاستعمال، وعلم الدلالة يبحث عن المعنى في السياق، وهنا يستدعينا علم آخر يداخل مع هذين العلمين وهو علم التداولية.

1 بول ريكو، نظرية التأويل، تر: سعيد الغانمي المركز الثقافي العربي، ص 33

2 المرجع نفسه، ص33

3 عبدالجليل مرتاض، التحليل البنيوي للمعنى والسياق، ص 80

الفصل الثالث: النظريات المعاصرة في تحليل النصوص

- ✓ القراءة والتلقي
- ✓ علم النـــــص
- ✓ اللسانيات الجغرافية واللهجات
- ✓ النقد اللساني التكاملي

المبحث الأول: القراءة والتلقي

جاءت نظرية القراءة والتلقي كرد فعل على البنوية التي همشت المتلقي، وحصرت عملية القراءة على النص دون الانفتاح على غيره، فردت الاعتبار للقارئ وجعلت حياة النص مرتبطة أساسا بالقراءة، التي تعد تفاعلا بين هذا المتلقي ومادة النص، مما ينتج لنا نصا جديدا بروح جديدة وتبقى متجددة بتجدد القراء ومعارفهم العلمية .

إن هذه النظرة الفلسفية التي جاءت بها نظرية القراءة والتلقي مرتبطة "بالفلسفة الظواهراتية (phenomenology) التي تقيم ترابطا بين تجربة الذات والعالم المحيط بها، فقد قدم كانت (kant) الفلسفة المتعالية (transcendental philosophy) التي تفصل بين تجربة الذات على أساس أن إدراك العقل للظاهرة يستند إلى الحساسية التي تتشكل في الذهن مسبقا قبل الظاهرة "[1]، فإدراك الأشياء لا يكون حقيقة وإنما يتم عن طريق تصورها من خلال ما ينطبع في نفسية المتلقي، بهذا الطرح الفلسفي انبنت نظرية القراءة، والتي يرى أصحابها أنه بالقراءة "يعيد القارئ إنتاج النص وتولد النصوص وتحيا حياتها وتتفاعل وتثمر دوالا جديدة ولانهائية، وترى نظرية القراءة والتلقي أن استجابة القارئ هي النص الحقيقي، فالقارئ هو الذي ينتج النص الجديد من خلال الحوار إذ ثمة أسئلة يثيرها القارئ وجواب يقدمه النص هي التي يتولد منها النص الجديد "[2]، إن هاته النظرة الفلسفية ليست وليدة اليوم، وإنما عرفتها الفلسفة القديمة منذ أرسطو وأفلاطون اللذين أهتما باستجابة المتلقي وكيفية تأثير الشعر فيه.

أما في العصر الحديث فقد عدت "مدرسة كونستانس الألمانية أول تجمع نقدي يلتفت إلى القارئ عوضا عن النص الذي يعد في نظر البنيويين بنية مغلقة مكتفية بذاتها بعيدا عن المبدع والقارئ، وأطلق هانز روبرت ياوس hans robert jauss على هذا النقد اسم جمالية

1 سامي عبابنة، اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، مرجع سابق، ص308

[2]أحمد شهاب، تحليل الخطاب النقدي المغامر، مرجع سابق، ص114

التلقي"[1]، أما المدرسة الأمريكية فقد وسمته بالنقد القائم "على استجابة القارئ"[2]، هذه الاستجابة تتولد أساسا من المشاعر النفسية والمعارف العلمية.

يرى أصحاب هذه النظرية أن النص باعتباره كتابة " ينتظر ويستدعي قراءة ما، وإذا كانت القراءة محتملة فذلك لأن النص غير منغلق على نفسه، بل منفتح على كل شيء آخر، والقراءة تعني في كل فرضية ربط خطاب جديد بخطاب النص هذا الربط لخطاب بخطاب يشيء في صياغة النص ذاته، بقدرة أصلية على الاستئناف التي هي من سمة المفتوح، والتأويل هو نتيجة الملموس لهذا التسلسل والاستئناف "[3]، فالقارئ هو الذي يعيد صياغة النص وإنتاجه من جديد، وذلك من خلال الآليات التي توفرها هذه النظرية من تتبع البياضات وملء الفراغات والإجابة على التساؤلات .

لقد تلقى النقاد العرب نظرية القراءة والتلقي تنظيرا وتطبيقا، من خلال ترجمة النصوص النقدية المتعلقة بها، أما في الجزائر فقد أسهم عبد الجليل مرتاض في ترقية مفاهيم القراءة والتلقي من خلال كتاباته البارزة خاصة كتاب *في عالم النص والقراءة *، وكتاب *الظاهر والمختفي طرحات جدلية في الإبداع والتلقي*، هذين الكتابين صدرا عن ديوان المطبوعات الجامعية في الجزائر حيث طرح فيهما الرجل مفاهيم جديدة في هذين المجالين (القراءة والتلقي)، ويقول أنه لم يعثر على كتاب عربي يعالج قضية القراءة والنص بهذا الطرح اللساني الجديد "لم أعثر على كتاب عربي واحد يتناول الموضع تناولا داخليا معاصرا وبكيفية مستقلة اللهم إلا بعض الالتفاتات اللسانية المبعثرة هنا وهناك، وهي منسوخة في معظمها عن كتب أجنبية فوجهت شطري صوب بعض هذه الكتب الأجنبية الأصلية أو المترجمة أو فقرا مسجلة في أبحاث عربية "[4]، وحتى هذه لم

1إبراهيم خليل، في النقد والنقد الألسني، مرجع سابق، ص 109

2أحمد شهاب، تحليل الخطاب النقدي المغامر، ص115

3 بول ريكو، من النص إلى الفعل، ترجمة محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2001 ص 116

4 عبد الجليل مرتاض، في عالم النص والقراءة، ص25

ترق إلى المستوى المطلوب وإنما كلها تميل إلى الترجمة والأخذ من المصادر الأجنبية، فنحن أمام إبداع أصيل من عالم من علماء الجزائر.

العلامة اللسانية ورمزية اللغة:

ينطلق عبد الجليل مرتاض في مفهومه للقراءة من مفهوم العلامة اللسانية، والتي تطرقنا إليها في المباحث السابقة، ويرى أن استقبال أية رسالة تخضع في تشفيرها وقراءتها إلى المستويات الأربعة التي حددها هلمسليف عند تحديده لشكل ومادة العلامة اللسانية والمضمون والتعبير وهي مادة المضمون، أي الكلمات التي لم يقدر لها أن تولد بعد لأن مسؤوليتنا على تسمية مواليد اللغة أعظم بكثير من مسؤوليتنا على توليدها باعتبار التوليد اللغوي لا يتعدى الحقل الصوتي الكائن في الإنسان، وأن شكل المضمون الذي يعادل عند هلمسليف ما أشار إليه سوسير بمصطلح مدلول وأن شكل التعبير ويقابله عنده ما يعرف بالدال، وأن مادة التعبير وهي الكتلة الصوتية قبل أن تصاغ في اللغة[1]، فالقراءة تنطلق من فك الشيفرة الموجودة بين الدال والمدلول، والتي تعد اعتباطية عند بعض العلماء، وإلزامية عند البعض الآخر لهذا تختلف القراءة من قارئ لآخر ومن ناقد لآخر.

يوضح لنا عبد الجليل مرتاض حقيقة العلامة اللسانية، وأن لها وجها حقيقيا في القراءة ووجها مجازيا، ويجب مراعاة ذلك أثناء قراءة النصوص، ويقدم عدة أمثلة في اللغة العربية منها "الكرسي الذي وظف وظائف مجازية وحقيقية وسيموطيقية قال تعالى *وسع كرسيه السماوات والأرض *، كرسي الخلافة، كرسي الحكم، كرسي المعطوب، كرسي الفقه، كرسي المدير، المعلم التلميذ ...إلخ، إن أحدا لا يستطيع أن يحذف وحدة صوتية أو يغير أحيانا أو غالبا من شكل الكلمة دون الاعتداء الدلالي على المضمون، لإفساده أو تغييره، لكن العكس موجود أي التعبير بدال واحد عن مداليل مختلفة دونما تحوير أو تعديل للدلالة "[2]، وهذا الذي يعرف بالمشترك اللفظي، والذي اتفق لفظه واختلف معناه، وقد أثير جدل كبير بين علماء العربية حول مفهوم

1 ينظر، عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ط1، 2005، ص 42

2 المصدر نفسه، ص 44

المشترك اللفظي والمجاز ومنهم إبراهيم أنيس والذي يرى أن ابن درستويه كان " محقا حين أنكر معظم تلك الألفاظ التي عدت من المشترك اللفظي، واعتبرها من المجاز فكلمة الهلال حين تعبر عن هلال السماء، وعن حديدة الصيد التي تشبه في شكلها الهلال وعن قلامة الظفر التي تشبه في شكلها الهلال، وعن هلال النعل الذي الذي يشبه في شكله الهلال، لا يصح أن تعد من المشترك اللفظي لأن المعنى واحد في كل هذا، وقد لعب المجاز دورا في كل هذه الاستعمالات، ذلك أن المشترك اللفظي الحقيقي إنما يكون حين لا نلمح أي صلة بين المعنيين كأن يقال لنا مثلا أن الأرض هي الكرة الأرضية وهي الرّكام؟؟ وكأن يقال لنا أن الخال هو أخو الأم وهو الشامة في الوجه وهو الأكمة الصغيرة "[1]، وهذا قليل في اللغة العربية، ويجب مراعاته أثناء القراءة والتحليل .

يسعى عبد الجليل مرتاض إلى ربط القراءة بعلم الدلالة، وهو يؤكد أنه لا يمكن لأحد أن يصل إلى قراءة خطاب دون إحالته على علم الدلالة، ويتصور "القانون السيموطيقي للمفردات المعجمية في إفرادها وهي دال ومدلول كتصورنا لها في تركيبها dans son syntagmeأو جملتها والمسافة الغامضة التي تفصل بين الدال والمدلول كالمسافات البيضاء أو الزمنية الفاصلة بين علامة وأخرى في سلسلتها الخطية "[2]، ويعد الكلمة النموذج الأفضل لتمثيل العلامة اللسانية، لأنها " مشفورة il est codé كوحدات أدنى أي كمرفيم أو مونيم (المصطلح حسب المدارس)مرتبط ، بيد أنها ماديا مستقلة مثل الوحدات الأعلى شأنها في ذلك شأن تركيب syntagme أو جملة "[3]، بهذه النظرة اللسانية للكلمة يقدم لنا مفاهيم جديدة للقراءة تنطلق من علاقة الدال بالمدلول في ظل علم الدلالة الذي يعد فرع من فروع علم اللسانيات.

إذا عدنا إلى الجدل الفلسفي حول اللغة ومفرداتها فإن فهم اللغة نسبي ومختلف من قارئ لآخر، ويعود ذلك إلى معارفهم وخبراتهم المسبقة حول اللغة، والتي يقرؤون بها ويفسرون النصوص والخطابات، وفي نفس الوقت لا ننفي أننا رغم هذه الخبرة الفردية لكل واحد " نتشارك في تمثيلاتها

1 إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1963، ص 214

2 عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ص 51

3 المصدر نفسه، ص 52

العرفية في أذهاننا، وهذا أمر لا يصعب فهمه إذا أخذنا في الاعتبار أننا نعيش في مجتمعات ذات هيكلية عالية، وأننا تواصليون بالفطرة عندما نتكلم على الأشياء والأماكن والخبرات والأفكار فإننا نفترض أن بيننا قواسم مشتركة كثيرة – نفترض أن خبرتي شخصين شديدتا التميز أحداهما عن الأخرى إلا أنهما بمعنى من المعاني ليست إلا مثالين على الشيء نفسه "[1]، وهذا راجع إلى توزيع وترتيب إحالات الأشياء إلى المجالات التي تنتمي، إليها مما يسهل وحقق نجاح عملية التواصل .

قبل الحديث عن ترتيب وتوزيع الكلمات في الجمل ودورها في عملية القراءة، نشير إلى النظرة الفلسفية للكلمة والتي تخلق لنا من منظور النقد اللساني تعدد القراءة، أو تجعل للقارئ سلطة على النص، وباعتبار أن الكلمة هي أصغر وحدة لها معنى داخل الجملة والنص ، وهذا بغض النظر عن دلالة الأصوات المكونة لها، فالكلمات هي مجموعة من الأصوات مرتبة ترتيبا معينا من أجل التعبير عن أفكار وأشياء محددة، فهي لا تنطق" من فراغ، وإنما هي رموز لأشياء أو أفكار في العالم الخارجي عن اللغة حيث يتفق كل مجتمع على أن أصوات معينة تمثل أشياء محددة سواء كانت هذه الأشياء أحداث أم أفكارا"[2]، إن تشكل هذه الأصوات وترتيبها في كلمات راجع إلى ترتيب الأفكار في الذهن، ثم تتدافع هذه الأصوات فتشكل كلمات لتعبر عن هذه الأفكار، فالألفاظ خدم للمعاني كما قال عبد القاهر الجرجاني، وهذا ما اتفقت عليه الدراسات النقدية الحديثة منذ سوسير إلى يومنا هذا.

وباعتبار أن الكلمات عبارة عن علامات فإنها من حيث النظرة الفلسفية العقلية هي تحاكي شيئا أو تشير إلى شيء يتصوره المتلقي في العقل، والعلاقة بين العلامات كالعلاقة بين الجزء والكل فقيمة الكل في مجموع أجزائه كما أن قيمة الأجزاء تظهر من خلال هذا الكل، فالأشياء "في المنظار اللساني لا تدخل حيز الوجود إلا إذا كانت عناصر لمنظومة دالة فالتحليل اللساني هو إدراك أكثر مما هو تفسير أي أنه هو الذي يكون موضوعه بنفسه"[3]، ولهذا لا يمكن تحديد معاني

1 عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ص 387

2حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، مصر 2011،ط2 ، ص 87

3 ميشال فوكو، الكلمات والأشياء، ترجمة مطاع صفدي، ط2، دار الفارابي لبنان، 2013،ص 417

الكلمات إلاّ من خلال وظيفتها داخل الجملة، ومن خلال السياق الذي جاءت فيه، ومع هذا تبقى الكلمات عبارة عن رموز لمعاني وأفكار، ودراستها من اختصاص علم الدلالة أو علم دلالة الجمل، والذي يهتم بدراسة مكونات الجملة من كلمات وحروف والعلاقات القائمة بينها لتحقيق الدلالة العامة للجملة، ومنها يمكننا " معالجة النصوص استنادا إلى القواعد التفسيرية التي أفلح علم اللغة في تطبيقها على الأنظمة الأولية للعلامات التي تشكل أساس استعمال اللغة"[1] ، هكذا يتجلى لنا الفرق بين المعنى المعجمي للمفردة والمعنى التركيبي لها.

إن المعاني النحوية التركيبية "محصلة العلاقة القائمة بين الكلمات في الجملة وهو ما تدل عليه الكلمة باعتبارها رموزا للأشياء والأحداث والأفكار كما يتمثل المتحدث باللغة، فمثلا كلمات (كرة ، ولد ، ضرب)، لها معنى معجمي نجده فيما بين أيدينا من المعاجم، ولكن مثل هذه الكلمات ليس لها معنى نحوي حتى توضع في تركيب معين بطريقة معينة، حيث يكشف هذا التركيب عن طبيعة العلاقات النحوية بينها كأن نقول مثلا (ضرب الولد الكرة) أو (الولد ضرب الكرة)، وهنا فقط تظهر العلاقات النحوية بين هذه الكلمات"[2]، لتشكّل لنا تركيبا معينا من التراكيب اللغوية يكون ترتيبها بحسب مقصدية المتكلم.

ورغم هذا من الواجب علينا ألاّ "نسمح للكلمات بأن تحجب أبصارنا عن حقيقة الأشياء التي تكمن خلفها، وأنّه لمن العبث بصفة خاصة أن نسمح بذلك حين تكون هذه الأشياء نفسها هي كلمات أي حين نضطر إلى استعمال اللغة لتتكلم عن نفسها، وأحسن طريقة للتخلص من هذه الأخطاء هي أن نركز اهتمامنا على الجوانب الأساسية في الموضوع، أو بعبارة أخرى يجب أن نحاول إبراز العوامل الرئيسية التي تتضمنها أية عملية من عمليات وضع الرموز"[3]، لتكون دالة على ما نود الإشارة إليه أو التحدث عنه.

1 بول ريكور، نظرية التأويل ترجمة سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص 131

2 حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ط2، دار المعرفة الجامعية، مصر 2011، ص 104

3 ستيفن أولمن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، 1988، ص 70

إن القراءة والتأويل يخضعان في العصر الحديث إلى تقنيتين تدعي "الأولى استنطاق الكلام للكشف عما يقال خلفه ومن دونه، وتدعي الثانية السيطرة على أي كلام محتمل، أو إخضاعه للقوانين التي تنص على ما يمكن قوله، فأضحى التفسير والتشكيل الشكلين الأولين للتحليل في عصرنا والحق يقال، أننا لا نعرف غيرهما لكن هل نعرف علاقات التفسير والتشكيل، وهل نحن قادرون على الإشراف والسيطرة عليهما، ذلك أنه إن قادنا التفسير لا إلى خطاب سابق أول، بل بالأحرى إلى الوجود العاري لما يمكن اعتباره لغة، ألن يضطر هذا التفسير إلى أن يظهر الأشكال الخاصة للغة فقط، حتى قبل أن تكون اللغة قد اكتسبت معنى"[1]، هذه النظرة الفلسفية للكلمات والأشياء تجعل الناقد اللساني في فسحة أثناء القراءة والنقد.

كل قارئ يعلم أن النص الذي بين يديه كتبه صاحبه بلغة" لا سلطة له على نظامها ويرقد معناها رقادا عميقا في الكلمات التي يعيد خطابه البريق إليها للحظات وهو ملزم سلفا إيداعه أقواله وفكره، كما لو كانت لا دور لها سوى تحريك جزء ضئيل من هذه الأرضية ذات الاحتمالات المتعددة"[2]، هذا بالنسبة للكاتب أو الخطيب، فكيف بالمتلقي أو القارئ، فإذا كانت اللغة هي تحقيق جزئي للمعاني فإن القراءة هي محاولة لاستكمال المعاني القارة والمختزنة في الكلمات بحسب ترتيبها وتدافعها وتمفصلاتها وفواصلها، والفراغات القائمة بينها.

إن إشكالية القراءة والتأويل والتفسير في ما تحمله الحروف والكلمات من معاني، والتي تختلف بحسب ترتيبها كما أسلفنا، وهذا من اختصاص اللسانيات والمفاهيم اللغوية، لكن الدراسات النقدية الحديثة أخرجتها من الدراسات اللسانية إلى مجالات أخرى ذات مفاهيم وأدوات مختلفة، فالقارئ "يمارس فعل القراءة من منطلق رؤية نابعة من إحساسه بتوافق رؤاه مع ما يقدمه النص الشعري ولذلك يرى أن النص المقروء لا يقوى على التجسيد إلا بجهد القارئ ووعيه وإدراكه"[3]، وبهذا الإحساس والشعور يتفاعل القارئ مع النص، فيفجر كل طاقاته من أجل قراءة

1 ميشال فوكو، الكلمات والأشياء، ص 336

2 المرجع نفسه، ص 360

3 سامي عبابنا، اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، ط2،عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2010،ص 322

النص بمتعة يتمخض عنها إنتاج نص جديد بروح جديدة وأدبية مميزة، فنحن أمام إبداع من نوع آخر هو أبدع القراءة، والتي لن تصل إلى غايتها إلا بما يوفره النص من معطيات لغوية ورمزية.

بين نسيج النص وقراءة النص:

اهتم عبد الجليل مرتاض بكيفية نسج النصوص من طرف الكاتب، كما اهتم بالقارئ وكيفية القراءة والتفاعل مع النص ويعتبر العلامات اللسانية هي تشفير للمدونة، والقراءة هي فك لهذه الشيفرة، وأن عملية الكتابة " على الرغم من استقلالها عن اللغة حتى وإن كانت كل منهما لا تتجسد إلا بالأخرى لاسيما حين نتحدث عن اللغة المكتوبة فإن الكاتب يعتمد على مخزون احتياطي لا ينفذ ولا ينضب، حيث ينتقي عن وعي أو غير وعي، ونرجح الشق الأخير مابين الوحدات الدالة لبناء المرسلات les messages أو الملفوظات، لكنه مجبر عن طيب خاطر أو كره لاستخدام شيفرة غير غريبة عن المجتمع الثقافي الذي يتراسل معه بشكل مباشر، ولا تهمه النتائج بعد ذلك بالنسبة للمجتمعات الثقافية الغريبة عنه شفرة أو الغريب هو عنها، ولذلك فإن اللغة أمر غير مستهان به بالنسبة للأفراد والجماعات على حد سواء"[1]، فكل الكلمات لها دلالات اجتماعية مستقلة تم الاتفاق عليها من طرف أفراد ذلك المجتمع، والتي اكتسبوها عن طريق الممارسة والمشافهة فيجب مراعاتها أثناء كتابة النصوص والخطابات.

يتابع عبد الجليل مرتاض في حديثه عن الكاتب وطريقة نسجه للنص، وتحت عنوان صاحب القدرة الكلية من كتابه 'الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي'، حيث نجده قد ألزم الكاتب الذي "يوصف بأنه العالم بكل شيء omniscient يفترض فيه أنه يدرك التراكيب اللسانية التي يوظفها لكل خطاب في حدود الشفرة المتواضع عليها بينه وبين المشفرين "[2]، أو أصحاب المعجم الواحد، ثم نجده يلمح إلى أنواع القراء (القارئ المثالي – القارئ المتعالي – القارئ المخبر – القارئ الضمني و القارئ المعاصر ...)، دون ذكرهم بالمصطلحات الحديثة، وإنما بمفاهيم التواصل وفك الشفرة .

1 عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ص 14

2 المصدر نفسه، ص 16

لقد عالج قضية المرسل والمرسل إليه وكيفية فك الشفرة، ويرى أن المتلقي لا يفك الشيفرة ذاتها وإنما ما يتصوره من الشفرة، وإلا " تحول هو إلى الكاتب نفسه وهذا مستحيل، بينما يمكن للكاتب أن يتموضع مكان متلقيه بحكم علمه سلفا بكل شيء وباعتباره يمثل خطابا أصليا "[1]، وهذا هو مفهوم القارئ المثالي الذي "يجب أن يكون له سنن مطابقة لسنن المؤلف، ومع ذلك فإن المؤلفين يجيدون تنظيم السنن السائدة في نصوصهم وبالتالي ينبغي على القارئ المثالي أن يشاطرهم المقاصد المتضمنة في هذه العملية، وإذا كان هذا ممكنا فسيكون التواصل زائدا تماما، لأن المرء لا يبلغ إلا ذلك الشيء الذي لم يسبق أن تقاسمه المرسل والمتلقي "[2]، وهذا لا يتأتى إلا للكاتب نفسه فيصبح هو القارئ المثالي لعمله الإبداعي، وكم من كاتب نقد كتاباته بعد مرور حين من الدهر، لتجدد معارفه، وتوسع ثقافته، أو لتغير محيطه.

إن الذي يدعي أن الكاتب قد وضع كل الأنساق والتراكيب والكلمات والجمل بعناية فائقة وأصبح النص حاملا لمعانيه، وما على القارئ إلا وصفها بدقة عالية وفقط فهذا ضرب من الخيال، نعم النص يعطي أشياء فذلك "الشيء الذي يُعطى ينبغي أن يُتلقى والطريقة التي يتلقى بها تعتمد على القارئ بقدر ما تعتمد على النص، وليست القراءة – تذويتا – Internalisation مباشرا لأنها ليست مسارا أحادي الاتجاه، وسينصبّ اهتمامنا على إيجاد الوسائل لوصف عملية القراءة باعتبارها تفاعلا ديناميا بين النص والقارئ، ويمكن أن نأخذ كنقطة انطلاق الدلائل اللسانية وبنيات النص التي تستنفذ وظيفتها عند قدح زناد أفعال الفهم أثناء تطورها، وهذا يعادل قولنا بأن هذه الأفعال ولو أن النص هو مُحدِثها تتحدى المراقبة الكاملة من لدن النص نفسه، وبالفعل فإن الحاجة بالذات للمراقبة الكاملة هي التي تشكل قاعدة الجانب الإبداعي للقراءة"[3]، كون أن القراءة هي التي تعطي الكينونة الفعلية للنص.

1 عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ص17

2 فولفغانغ أيزر، فعل القراءة، تر: حميد الحمداني و الجلالي الكدية، مكتبة المناهل، فاس، ص22 .

3 المرجع نفسه، ص 56

إن النص ينسج من أجل أن يقول أشياء لم تكتب، ذلك من خلال الفراغات والبياضات الموجودة فيه، والتي تترك عن قصد وأحيانا أخرى عن غير قصد "فالمبدع يخضع للقيود ويفسح المجال لخياله لإبداع نصه والمحلل يخضع للقيود أيضا ويفسح المجال لخياله ليتفاعل مع النص ويتجاوز منطوقه إلى مفهومه ويملأ الثغرات التي يحتوي علها النص بطريقة أنواع الاستدلال، فالمبدع مدفوع بالطبيعة البشرية والخصائص اللغوية وجنس النص والسياق والمحلل محكوم بنفس الإكراهات ولكن لكل من المحلل والمبدع تجربة خاصة تجعل كلا منهما يسير في مسار معين، إن المبدع والمحلل مسيران من قبل المعرفة الخلفية المختزلة في الذاكرة المتصرف فيها من قبل الخيال "[1]، فكما أن الكاتب أو المؤلف ينسج نصه أو خطابه عبر مراحل عديدة، فإن فعل القراءة يكون عبر مراحل متعددة كذلك، من الكلمات إلى الجمل إلى النص أو الخطاب كاملا.

ومن هذا يمكننا القول أنه لا يوجد معنى نهائي للنص وإنما معنى مرتقب من عملية القراءة، وإنه يمكننا معرفة وقراءة تصورات الأشخاص وطريقة تفكيرهم وقصديتهم من الخطاب وهذا من "خلال تتبعك لآليات تحليلاته ومراقبتك لكيفية تفكيرهم وانتقاله بين فواصل الكلام ستحصل على رؤية شاملة، تكفي لمعرفة مالا يعرفه عن نفسه ربما ...أما الذي يؤخر اكتشافك له فهو استباق صورته إليك مدموغة بزخرفات كلام المعجبين بشخصه أو الناقمين عليه"[2]،هذه الانطباعات المسبقة والإعجاب المفرط من الصعب تغيره بسرعة، لأن الأحكام المسبقة تولد قناعات راسخة يتعسر تبديلها وتغيرها .

صناعة لذة النـص:

يحاول الكتاب والمبدعون إحداث الأثر في المتلقي، فينسجون النصوص ويخيطونها وفق تصور معين يحدث اللذة لدى القارئ، لذلك طرح بارت سؤال " هل الكتابة ضمن اللذة تضمن لي – أنا الكاتب – لذة قارئي " ثم يجيب قائلا " أبدا ويقع على عاتقي إذن أن أبحث عن هذا القارئ أن أغازله من غير أن أعرف أين هو، وبهذا سيكون فضاء المتعة قد خلق ذلك أن ما

1 محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير،ط1، عالم الكتاب الحديث الأردن،2016، ص 35

2 نديم نجدي، إضاءات نيتشوية، دار الفرابي، لبنان، ط2، 2013، ص 22

أحتاج إليه ليس هو الشخص في الآخر وإنما الأمر الذي أحتاج إليه هو الفضاء، إذ في الفضاء إمكان لجدل الرغبة وإمكان أيضا لفجاءة المتعة ولكن يجب ألا يكون اللعب قد انتهى كما يجب أن يكون ثمة لعب "[1]، هذا الفضاء تختلقه اللغة من الكلمات وكيفية اختيارها وترتيبها وإيقاعها والرابط بينها لتؤدي وظيفتها وهي إحداث المتعة في المتلقي، إن النقد اللساني اهتم بكيفية صناعة وبناء النصوص بمفهومها العام، كون أن المفردات والألفاظ تحمل معانيها وتحيل إلى أشياء ذات حقيقة نسبية أو كاملة، وطبيعة العلاقة بين الكلمات والأشياء أو بين الدال والمدلول جدلية، فالكاتب يعلم حقيقة المعاني التي تحملها الكلمات والتراكيب وكيفية نسجها، ويعلم أن للتعريف والتنكير دلالة، والتقديم والتأخير له دلالة، والأصوات والإيقاع والاستعارات والرموز وغيرها دالة، وهذا ما يشكل الصورة الحقيقة للجمل التي تشكل النص العام.

وبعد انتظام شكل هذا النص وبنيته الدلالية عمل القارئ على استكمال معانيه ودلالاته وهو يعلم "أن اللغة لتبني في مكان آخر، يبنيها الدفق المستحيل لكل لذائذ اللغة، لكن أين، وفي مكان آخر إنه في فردوس الكلمات، هنا يكون النص فردوسيا حقا، وطوباويا (من غير مكان) وشذوذا ممتلئ كمالا : إن كل الدوال قائمة هنا، وإن كل دال منها ليصيب هدفه، ويبدو أن الكاتب (القارئ) يقول لها : أحبك جميعا (أحبك كلمات وأشكالا ، وجملا وصفات وقطيعات : أحبك حابلا نابلا، أحب الإشارات وأشباح الأشياء التي تمثلها)إن ثمة نوعا من الفرنسيسكانية تدعو كل الكلمات لكي تستقر وتسرع، وتسافر مرة أخرى: فإذا بالنص حجر كريم مختلف الألوان موشى"[2]، فيحتاج هذا القارئ بالإضافة إلى الكفاءة اللغوية كفاءة من نوع خاص (كفاءة أدبية بالنسبة للنصوص الأدبية، كفاءة معرفية، سياسية، اجتماعية واقتصادية حسب النص المراد قراءته)كي يصل إلى قراءة النص قراءة جيدة، وبناء على هذا فإن " مؤهل الناقد الأساسي هو مخزون معرفي عن ممارسات وأفكار الفترات التي تنتج وتستهلك النصوص التي هي بصدد دراستها "[3]،

1 رولان بارت، لذة النص، تر: منذر عياشي، دار الوسيم، سوريا ، ط1، 1992،ص 25

2المرجع نفسه، ص 31

3 روجر فاولر، النقد اللساني، ص42

هذه المعرفة تراكمية عبر فترات زمنية ماضية، وكذا من خلال ما توفر من معرفة حاضرة من نصوص ووثائق ذات الصلة بالنص والموضوع الذي هو بصدد الاشتغال عليه.

الكتابـة والقــراءة:

يطرح عبد الجليل مرتاض تساؤلا لماذا نكتب ولمن نكتب وما هي الكتابة وهل الكتابة الأدبية الإبداعية تختلف عن الكتابات الأخرى، ثم يجيب قائلا إننا " حين نتلفظ بلفظ الكتابة فإننا لا نعني بها قط الكتابة في حد ذاتها كجنس صناعي أو مبني أو ذاتي بعالمها الخامي اتصالا مستقلا باعتبارها كيانا متميزا عن باقي الأصناف الأخرى من النشاطات الإنسانية، وإنما نعني بها ما تحقق منها أي المسمى بـ 'القراءة ' أو شيئا من هذا، والرواية نفسها تنطبق على القراءة وعلى ما يقرأ، إذ من الوهم الكبير ألا نفرق بين القراءة كعلم مستقل بذاتها له خصوصياته ومميزاته وبين فعل القراءة كحدث فيزيائي أو بيولوجي أو نشاط ذهني أو بصري ...لا علاقة لكل هذا بشيء اسمه 'القراءة' لكن ما يقرأ سيظل مع ذلك أغمض وأغرب مما يكتب "[1]، ولهذا وجب فهم آليات اشتغال الكتابة، وآليات القراءة ومفاهيمها المتعلقة بفعل الكتابة ذلك أنه " إذا كان الموقع الفعلي للعمل يقع بين النص والقارئ فمن الواضح أن تحقيقه هو نتيجة للتفاعل بين الاثنين، ولذا فالتركيز على تقنية الكاتب وحده أو على نفسية القارئ وحدها لن يفيدنا الشيء الكثير في عملية القراءة نفسها، وهذا لا ينفي الأهمية الحيوية لكل من القطبين بل كل ما في الأمر أننا إذا أهملنا العلاقة سنكون قد أهملنا العمل الفعلي كذلك "[2]، إن عمليتا الكتابة والقراءة هامتين في فهم وتحليل النصوص والخطابات، لأن النص أصلا موجه لقارئ معلوم / مجهول على قول بارت.

إن النص وضمنيا موجه "إلى كل من يعرف كيف يقرأ وهذا التعميم للجمهور هو أحد نتائج الكتابة المثيرة التي يمكن التعبير عنها بصورة مفارقة paradox فلأن الخطاب قرين الآن بسند مادي فهو يصير أكثر امتلاء بالروح بمعنى أنه يتحرر من ضيق موقف المشافهة وجها لوجه

1 عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ص 07

2 فولفغانغ أيزر، فعل القراءة، ص12

"[1]، وهكذا ينتقل النص بمعناه من زمن معين وظروف معينة إلى زمن آخر وظروف مغايرة، وهكذا تنفتح القصدية وتتوسع بالكتابة ويتحقق المعنى بالقراءة والتأويل، لأن من طبيعة " معنى النص أن ينفتح على عدد لا حصر له من القراء وبالتالي من التأويل وإمكانية انفتاح النص على قراءات متعددة هو النظير الجدلي للاستقلال الدلالي للنص "[2]، فمن هذا المنطلق نجد عبد الجليل مرتاض يفرق بين لحظات الكتابة ولحظات القراءة، فالكتابة عنده متعلقة بالتزامنية، أما ما ينتج عنه من نص فهو يتأرجح بين الزمنية والتزامنية .

فالنص عنده كتب في لحظة زمنية لا يمكن الرجوع إليها ولا يمكن تكراره مهما حاولنا لأنه خلال تلك اللحظة الزمنية أحاطت بنا ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية وحالة نفسية لا تتكرر أبدا والكتابة هي شاهد عليها، ولهذا فإن النص الناشئ ينتمي" إلى منظومة خاصة تعاين زمنيا بتمثيلاتها كلها الاجتماعية والاقتصادية والفنية والسياسية والفكرية والثقافية، لكنه في الوقت نفسه يفقده القدرة الفذة على الامتداد في الحياة من جانب أنه يسكنه ويجمده ويحجره ويعزله عن مساره التاريخي الممتد عموديا، فضلا على تحجيم قدرته على التنقل في المكان وهذا كله متصل بدلالة النص وبإمكاناته الكامنة وطاقته الفريدة التي يمثلها تشكله الخاص في اللحظة الزمنية الخارجية عن حدود لحظة إبداعية ومعايشته لنظم زمنية مباينة للنظام الزمني الذي أنتجه فيه وبقدرته على مماهاة البيئات المكانية المفارقة لبيئته التي ولد فيها"[3]، فدراسته في تلك اللحظة الزمنية والمكانية الثابتة هو قتل للإبداع وتحجير للفكر .

ولهذا نجد عبد الجليل مرتاض يتصور الكتابة على أنها بنية زمنية ما قبلية بحكم أنها سابقة للوجود وبنية زمنية ما بعدية دائما بحكم أنها تتجدد بالقراءة، لأن هذه الأخيرة عنده هي ما تحقق من هذه الكتابة عبر الزمن فالكتابة عنده هي "الرغبة وهي المشتهى وهي تنطلق من اللامتناهي ويكون دالها الذي هو القراءة لا منتميا خاصا للنص لا يحقق هويته إلا إذا آل إلى المنتهي إلى

1 بول ريكو، نظرية التأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2007، ص 63

2 المرجع نفسه، ص64

3 هيثم سرحان، آفاق اللسانيات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011، ص253

الصفر مولدا لنا شيئا عديم الهوية اسمه الكتابة"[1]، فهوية النص تنشأ عن طريق الولادة، ويكبر ويشب بالقراءة وإلا فالنص ولد ميتا لا حياة فيه، فحياة النصوص كحياة البشر تنمو وتتطور بمرور الزمن، فالإنسان الذي "يولد وهو يتمتع بصفات وراثية متميزة ويعيش حياة خالية من التلوث والحروب والمجاعات والأوبئة ويهيئ له من سبل العيش الكريم أفضلها يتوقع له أن يعيش حياة أطول من غير من قبيل الأخذ بالأسباب لا بإهمال جانب القضاء الحتم، وكذلك يتوقع للنص الذي يتمتع بصفات فنية عالية وجماليات رائقة وتماسك لغوي متميز وبنية حبكت حبكا جيدا أن يعيش حياة ممتدة في الزمن وأن يجتهد في خدمته المجتهدون ويتذوقه المتذوقون بل لعله يضحى محور الحياة لكثير من الناس وهذا شأن القرآن الكريم والكتب المقدسة الأخرى مثلا كما هو شان بعض نصوص الشعر العالمية والروايات والملاحم والسير"[2]، فحياة النصوص مرهونة بالكتابة الإبداعية الجميلة الخلابة الخلاقة التي يجد فيها القارئ متعته ويعيش فيها ما كتب الله له فيها أن يعيش .

يشير عبد الجليل مرتاض إلى أن عالمي الكتابة والقراءة "يلتقيان فور اختفاء الكاتب ليتمظهر بعد ذلك وبمحض الصدفة القارئ غير أن هذا القارئ على الرغم من تميز عالم القراءة عن عالم الكتابة لا يمثله فضلا عن أن يجسده أو يطمع ليقوم مقامه"[3]، ومن هنا تتجلى لنا الفروق الجوهرية بين عالم النص والكتابة والقراءة، ثم نجد عالمنا وتحت عنوان الكتابة في درجة الموت من كتابه الظاهر والمختفي يؤكد أن القراءة تبدأ من درجة الصفر التي ماتت عندها الكتابة لتنطلق هي، والقراءة في نظره " تتموقع كجنس لقيط فور اختفاء عملية الكتابة حيث أن قراءات قد تشتهر ويعود لها صدى ربما أبعد من الكتابة نفسها وما ذلك إلا لأن القراءة باعتبارها جنسا لقيطا أو على الأقل عالة على الكتابة فإنه يحاول أن يحقق هويته التي يستلهمها أو ينتهزها من فقد النص لهذه الهوية فور إنجازه، كما أن عمودية الكتابة تبدأ فور مآلها أو صيرورتها إلى نقطة الصفر لتنتهي أفقيتها وبالأحرى لتموت لإنفاذ كلماتها ولكن لنهاية أرسالها أو بلغها إنها الكتابة في درجة

1عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ص 09

2 هيثم سرحان، آفاق اللسانيات، ص 254

3 عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ص 09

الموت، لكنه ليس الموت الدال على الفناء بل الموت الدال على الحول على ميلاد القراءة "[1]، هذا التصور للكتابة في درجة الموت استوحاه عالمنا من الناقد الفرنسي بارت في ما يطلق عليه الكتابة في درجة الصفر يقول " إن تمثل بارت الكتابة في درجة الصفر قادنا إلى إدراك آخر ونعني به الكتابة في درجة الموت"[2]، وقد تمثله بمخطط بياني رأيناه لا يعبر عن حقيقة هذا التصور .

بين القراءة اللسانية والقراءة الأدبية:

يشتغل النقد اللساني على جميع النصوص والخطابات اللغوية أدبية كانت أو فلسفية أو قانونية أو غيها، إلا أن بعض نقاد الأدب المحدثين يرون أن النقد اللساني يمكن أن يؤدي غرضه إذا طبق على النصوص غير الأدبية، لكن النصوص الأدبية الفنية الجمالية في نظرهم ذات لغة خاصة، وأن "اللغة الأدبية التي يرومها النقد الألسني لغة أخرى غير التي تبغيها اللسانيات، لأنها تخرق كل معاير (اللغة الأدبية الجمالية)، وتتجاوز كل تقعيد (الضرورة الشعرية، الإيقاعية)، وتركن إلى كونها استعارة كبرى، تتأسس على طبيعة رواغة كثيرة التلون فهي تختلف عن اللغة القياسية لأنها تنزاح بطبيعتها عن معيارية اللغة، لأن هدف اللغة الأدبية إثارة انفعال لا تقرير وقائع، فهي لغة استشرافية بطبيعتها لأنها لا تعرف اختزال المعنى، وأنها توسَّع وتضيق وفي نفس الوقت التفاوت بين الرمز والفكرة، بين العلامة والمكتوب، والمكتوب والمعنى المحدد"[3]، وكل هذا قد تفطنت له الدراسات اللسانية التي انتقلت من المعيارية إلى الوصفية من أجل معالجة هذه الظواهر الخاصة بالأدب.

إن الدرس النقدي الحديث لا ينكر "دور المتعة والذوق والحدس في التقريب بين شقة النص والمتلقي، ولكن الدراسات الجدية لا يمكن لها البتة أن تستغني عن اللسانيات وإنما كلما أوغل فيها دارس الخطاب الشعري إلا وتبينت له آفاق جديدة وتوضحت أمامه معالم منهجية

1 عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ص 33

2 المصدر نفسه، ص 115

3 مونسي حبيب، نقد النقد، ص145

ملائمة "[1] ، فتلزم الناقد التمكن من المفاهيم العامة والخاصة للسانيات، وتوجب عليه اكتساب آلياتها العملية لتطبقها على لغة الخطابات الأدبية، وحسب رولان بارت فإن لذة النص تكمن في لغته "وأن نص اللذة هو النص الذي يرضى فيمتلأ، فيهب الخبطة إنه النص الذي ينحدر من الثقافة، فلا يحدث قطيعة معها، ويرتبط بممارسة مريحة للقراءة، وأما نص المتعة فهو الذي يجعل من الضياع حالة وهو الذي يحيل الراحة رهقا (لعله يكون مبعثا لنوع من الملل)، فينسف بذلك الأسس التاريخية والثقافية والنفسية للقارئ نسفا، ثم يأتي إلى قوة ذواقه، وقيمه وذكرياته، فيجعلها هباء منثورا، وإنه ليضل به كذلك حتى تصبح علاقته باللغة أزمة"[2]،تفرض على القارئ والناقد التدخل لإيجاد حلول لها، ولا يمكن إيجادها إلاّ في اللغة نفسها في انزياحاتها وفي إحالاتها وفي اتساعها وضيقها، إنه سحر اللغة.

وعلى هذا الأساس يرى عبد الجليل مرتاض أن الانزياح يكمن في صورة اللغة لا في اللغة نفسها، وأن الجنس الأدبي " غالبا ما يستورد معانيه وصوره وأخيلته من عالم غير محس ليجسدها في عالم آخر هو العالم المادي أو الواقعي الذي يعايشه ويلمسه ويتحرك في بعده، لأن الشعر المكتوب بلغة مألوفة أو بالأحرى بصور وتراكيب بنيوية غير رتيبة وعادة ما تكون مسموعة ومتداولة ببريق خطابي مبتذل يقودنا إلى الاستنتاج أن لغة الشعر مرتبة ومنتظمة بطريقة مختلفة، وبهذا فإن التحليل اللساني المطبق على الشعر قد ينتج نحوا مختلفا عن النحو الذي يمكن أن ينتجه تحليل اللساني للغة العادية "[3]، ومن أجل ترسيخ هذه الفكرة يورد مفهوم الشعرية لدى جاكوبسن واسقاطه لمبدأ التماثل من محور الانتقاء لما يسمى بالتماثلات الدلالية، والتي يجب قراءتها قراءة لسانية جمالية تختلف عن القراءة اللغوية المعيارية، لأن اللسانيات جاءت لتنقل الدراسات اللغوية من المعيارية إلى الوصفية، فكيف بالإبداعات الأدبية التي تكسر كل قاعدة لغوية وبلاغية من أجل إحداث لذة لدى القارئ، فرغم وجود مقاربات "متعددة للعلامة اللسانية على مستوى دالها ومدلولها فإن هذه العلامة تصبح شعرية لحظة تبنيها لنحو جديد مختلف عن قواعد معتادة ولدلالة

1 محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، ص 102

2 رولان بارت، لذة النص، ص 39

3عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ص 58

طارئة لم تكن في الحسبان من ذي قبل بين الباث والمتلقي على حد سواء، ولخطاب شعري متميز بمحايثة إبداعية أصيلة لا تتعامل مع اللغة العادية إلا كشكل من الأشكال الاعتباطية وليس كعرف مفقود، ولا ككنز مصون لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" [1]، فاللغة الشعرية تختلف كل الاختلاف عن اللغة العادية .

التلقي بين اللغة والثقافة:

إن تعامل عبد الجليل مرتاض مع معطيات نظرية التلقي لم ينحصر في تقديم مقولاتها عن القراءة والتفاعل بصفة مباشرة وعن علاقة الدال والمدلول والقراءة والزمنية والتزامنية فحسب، بل تجاوز ذلك إلى ما هو أعمق خاصة حين ربط هذه التصورات الجديدة للقراءة والتلقي بما هو مبثوث في ترثنا اللغوي والثقافي العربي الأصيل، فهو يرى أن إشكالية القراءة "في داليتها ومدلوليتها كامنة في شعور لا واع لحظة القراءة حتى يوهم كل قارئ متعاقب أنه يقرأ غير النص الذي قرأه من تقدمه حتى يتمكن هكذا من إقامة تعارض مستمر في هذه الدوال والمداليل المستقرة في النص، ليشعر من غير شعور أنه يقرأ نفس ما يتقدم بغير ما تأخر، وإلا فأي جدوى من قراءة نفس ما تأخر إن لم يكن بغير ما تقدم"[2]، فتتغير الرؤية بتغير الزمن وتجدد المعرفة لدى المتلقي، ومن هنا تنتج لنا قراءة جديدة للعمل الأدبي وهي متجددة في نفس الوقت .

كما نجده يربط بين التأويل والقراءة الدلالية بالمنهج الذي نعتمده للقراءة، فالتحليل اللغوي" للنص أفقيا أي تزامنيا غير تحليلنا إياه عموديا أي زمنيا أو تاريخيا، إذ شتان ما بين تأويل لا يأخذ بعين الاعتبار إلا البنية النصية كواقع معطى مشكل من عناصر ليس في علاقتها الخارجية، بل في علاقتها الداخلية وتأويل آخر يتلقى البنية نفسها تلقيا خارجيا ولكننا لا نغالي مغالاة من يذهب إلى أن البنية مستقلة عن التاريخ "[3]، وتتمتع بنوع من الاستقلالية والتحرر الذاتي عبر الزمن، ويمكن فصلها عن ظروفها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهذا ما يرفضه

1عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ص 63

2 عبد الجليل مرتاض، في عالم النص والقراءة، ص 88

3 عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ص122

عالمنا هاهنا، وقد أقره أصحاب نظرية القراءة والتلقي، حيث يرون أن العمل الأدبي والفني يحي من خلال التفاعل بين بنيته النصية والمتلقي، وأن تاريخية هذا العمل حسب ياوس لا تكمن فقط في" وظيفته التصورية أو التعبيرية بل كذلك بالضرورة في الأثر الذي يحدثه يسمح باستخلاص نتيجتين كفيلتين بتأسيس تاريخ الأدب على قواعد جديدة أولاهما أن حياة العمل إذا كانت ناتجة لا من وجوده في ذاته بل من التفاعل الحاصل بينه وبين البشرية، فإن هذا النشاط الدائم من الفهم وإعادة الإنتاج الإيجابية لإرث الماضي لا ينبغي أن يظل محصورا في الأعمال منظورا إليها معزولا كل منها عن الآخر، بل يتعين كذلك وبالأحرى إدراج العلاقة بين هذه الأعمال ضمن ذلك التفاعل الذي يربط العمل بالبشرية، ووضع العلاقة التاريخية بين الأعمال ضمن شبكة العلائق المتبادلة بين الإنتاج والتلقي، وبتعبير آخر فإن الأدب والفن لا ينتظمان في تاريخ نسقي إلا إذا نسبت سلسلة الأعمال المتوالية لا إلى الذات المنتجة وحدها، وإنما إلى الذات المستهلكة أيضا، أي إلى التفاعل بين المؤلف والجمهور، والنتيجة الثانية هي أن الواقع الإنساني إذا لم يكن إنتاجا للجديد فحسب بل كذلك وبالتكامل وإعادة إنتاج نقدية وجدلية للقديم "[1]، ولهذا قدم لنا عبد الجليل مرتاض قواعد وشروط قراءة العمل الأدبي، والتي تنبني أساسا على التميز بين ما هو لساني وما هو ثقافي.

ويرى أنه ما دمنا نخضع " تأويل البنية النصية إلى التحليل اللغوي وفق منظومة لغوية قواعدها سائرة بين المرسل والمرسل إليه، فإن هذه العملية لا تخلو من أحكام قيمية أيا كانت القراءة التي نتخذها سبيلا لإدراك نسيجها البنيوي إلا أنه يجب أن نعي الحدود الفاصلة في أي تأويل دلالي أو تحليل بنيوي بين النسقسن اللساني والتاريخي باعتبار الوحدات التي تتألف منها أية بنية نصية لا تخلو في كل حال من شرارة أو ومضة ثقافية ما"[2]، وأمام هذا التحدي الذي يواجه

1 هانس روبيرت ياوس، جمالية التلقي، ترجمة رشيد بنحدو، النجاح الجديد، الدار البيضاء، ط1، 2003 ، ص47

2 عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ص 122

المتلقي في قراءة أي نص وضع عالمنا القارئ أمم اختيارات ثلاث قبل الإقبال على معركة القراءة وهي[1]:

1– أن ينطلق من حيث انتهى ميلاد النص ولا يحفل إلا بعملية التلقي مثلما بلغت إليه، وفي هذه الحالة يتعامل مع بنية لغة لا مع لغة بنية .

2– أن ينطلق من حيث بدأ ميلاد النص ولا يعبأ إلا بعملية الإبداع (الكتابة مثلا) مثلما نسجه صاحبه وفي هذه الحالة يتعامل مع لغة بنية لا مع بنية لغة .

3– أن يكون واعيا بالحدود التي تفصل بين الاختيارين السابقين ليجد نفسه أمام بنية. وهكذا تكون عملية تلقي النص الأدبي مبنية على ركيزتين أساسيتين هما النص باعتباره كتابة لغوية دالة في مرحلة تاريخية معينة، يراعى فها السياق الثقافي والاجتماعي المؤثر في إنتاجه، وكذا باعتباره بنية لغوية دالة في حد ذاتها يمكن لها أن تعبر عن نفسها إذا أراد القارئ عزلها عن سياقها التاريخي والاجتماعي والثقافي.

والأحسن الجمع في نظر عالمنا بين هذين الركيزتين الأساسيتين في القراءة لتكتمل معالمها وهذا هو أساس نظرية التلقي، والتي يرى أصحابها أن الإبداع الأدبي يتميز بالاستقلال النسبي كون أنه عملية فنية من الدرجة الأولى، فجمالية التلقي "تستمد خاصيتها الجزئية من وعينا المكتسب بأنه أصبح من الآن فصاعدا مستحيلا فهم العمل في بنيته والفن في تاريخه باعتبارهما جوهرين وكمالين أولين، فاذا كنا لا نريد بعد تحديد الطبيعة التاريخية لعمل فني بمعزل عن الآثار التي ينتجها، وكان غير ممكن بعد اعتبار تاريخ الفن متجسدا كليا في تعاقب الأعمال بمعزل عن الاستقبال الذي حظيت به، فيتعين علينا حينئذ أن نقيم جمالية الإنتاج والتصور التقليدية على أساس جمالية التلقي"[2]، وعلى أساس هذا التصور يجب علينا الجمع بين الذات الفاعلة وإنتاجها الفني والأدبي مع الذات المتلقية والتي تحول بنية هذا الإنتاج إلى معنى من خلال التفاعل مع داله وتوظيف

[1] عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ص 123

2 هانس روبيرت ياوس، جمالية التلقي، ص158

معارفها العلمية والثقافية في انتتاج وتقريب مدلوله وفق رؤية ذاتية جمالية خاصة بقارئ واحد، لتراكيب لغوية خاصة وانساق ثقافية معينة .

ولهذا يرى عبد الجليل مرتاض أن هذه "الأنساق الثقافية والتراكيب اللسانية والدلالات الاجتماعية والسياسية والأيديولوجية، فإنها لا تعدو أن تراوح بأفكارها وعناصرها ما بين بنية سطحية وبنية عميقة، فكل تلق خارجي لهذه الأشكال من النصوص أو المدونات مرتبط بالنسيج البنيوي المتفرد الذي يؤلف بصورته أو نطقه أو رسالته بنية سطحية، وكل تلق يحاول أن يخرق الحواجز الظاهرية ليتفاعل بعناصر تلك الانساق والتراكيب والدلالات من الداخل هو في حقيقة أمره دال على بنية عميقة، وبتعبير أكثر شمولية فإن القراءة سواء كانت دالية أو مدلولية فإنها من بعض الوجوه ليست إلا شكلا من أشكال دوال التعبير، وليس معنى هذا أن القراءة بنية سطحية والكتابة بنية عميقة، إذ كان ولا بد فإن العكس أكثر احتمالا"[1]، لأن القراءة تلي الكتابة التي أصبحت عبارة عن علامات لسانية يعمل القارئ على فك رموزها كما أسلفنا، رغم إقرار عالمنا أن هذه العلامات لا تحمل المعنى الحقيقي التاريخي والثقافي الذي أريد لها حين الكتابة، ولكنها عالم منفتح على كل الاحتمالات وهنا تكمن جمالية القراءة والتلقي .

يميز عبد الجليل مرتاض بين القراءة العادية والقراءة الفاعلة، والتي يعرفها بأن النص " لا ينغلق بعصر ولا قارئ ولا حتى منتج له فهو مفتوح على نفسه أولا ومتقاطع أو متناص مع نصوص أخرى معاصرة له أو متباينة معه زمنيا "[2]، وإن انفتاح النص على القراءة المتعددة وانقطاع أثر الكاتب المباشر على النص وتناصه مع نصوص أخرى، هذه المفاهيم هي أساس نظرية التلقى والتي عرفت بهذه المصطلحات الهامة منها أفق التوقع، وموت المؤلف، والتناص .

تتضح هذه المفاهيم لنظرية التلقي في الدراسات والأعمال التطبيقية التي أنجزها عبد الجليل مرتاض على مدونات قديمة وحديثة، منها دراسته الأدبية والفنية في شعر الظريف التلمساني، والتي خصص لها فصلا كاملا من كتابه –في عالم النص والقراءة – حيث نجد الناقد يوظف معارفه

1 عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ص 124

2 عبد الجليل مرتاض، في عالم النص والقراءة، ص 124

الخاصة من أجل قراءة وتفسير وتأويل نصوصه الشعرية المختارة، وقد حدد سيرورة عملية القراءة منذ البداية وبوضح فهي في نظره " محركة من الخارج برد فعل ما كان لساني أو غير لساني من الداخل وهذه السيرورة الطبيعية على هذا النحو ليست عامة ولا خاصة، ليست عامة لأن ما يلفت نظري ربما لا يلفت نظرك، ولا حتى وجهة نظرك وليست خاصة لأن ما يلفت نظري ليس حكرا (أو محكرة) لي دون غيري أي ليس خاصا بـ (الأنا) دون (الغير)"[1]، ويعود هذا إلى المعارف والخبرات الشخصية التي يحسن توظيفها أثناء قراءة النص شعرا كان أو نثرا .

ويرى عبد الجليل مرتاض أن القراءة في نظامها الثابت هي " عملية تفسير ما هو أعلى ألا وهو النص بما هو أدنى ألا وهي القراءات المتعددة له عبر الأجيال، ولعل هذا أحد الأسرار الكامنة في أن النص يظل مفتوحا دائما، لأن معانيه تتعدد بتعدد قرائه غالبا ولكن يجب أن لا نقع في مزلق آخر كلما ذكرنا تعدد النص بتعدد قراءاته، إذ ليس القراءة – في نظرنا – مهما كانت صرامتها هي التي تعمل على تعدد معاني ما يقرأ بل هو الذي يعدد نفسه منعكسا على مستوى معين من مستويات القراءة ذاتها، لأن الفن لا يعكس نفسه بنفسه ولا أدل على هذا من أن الدال يعيش دائما دالا على مر الزمن وبصرف النظر عن عملية النطق ولكن الذي يتغير موقف الناس إزاء المدلول وصولا إليه مع ذلك بداله"[2]،عبر الزمن وهذا بحسب التصور الذي انتقل إلينا عبر مراحل متعددة فتغير مفهومنا لهذا الدال أو بقي على حاله بمرور الزمن .

رغم كل ما قدمه عالمنا حول مفهوم القراءة والتلقي إلا أنه يقر بوجود إشكاليات عديدة في هذه النظرية، كون أنها لا تصلح في عمومها لقراءة النص العربي، ولهذا نجده طرح بديلا عمليا وهو المزج بين ما جاءت به هذه النظريات بما هو مبثوث في تراثنا النقدي العربي خاصة في دراسات عبد القاهر الجرجاني يقول لو أردنا أن "نقارن بما ورد عند عبد القاهر قديما وبما جاء لدى غيره حديثا بروح علمية متأنية مجردة من كل انغماس في الذاتية المفرطة لما كدنا نجد فرقا كبيرا إلا في أسلوب الطرح وتقنياته، وليس في الطرح ذاته مع يقيننا المطلق بأن لكل عصر رجالاته وقراءه

1 عبد الجليل مرتاض، في عالم النص والقراءة، ص 145

2 المصدر نفسه، ص 101

وأدواته، إذ نحن لا نعد أن هذه العبقرية الفذة تغنينا عن العبقريات التي ظهرت حديثا منذ سنة 1816على الأقل في الغرب في مجال غلم اللغة الجديد الذي غدا يستغل في كل الحقول الدراسية في العلوم الإنسانية بدون استثناء، ولكن الرجل فاق أهل عصره بما تميز به من أفكار لسانية جديدة طبقها على كل أبواب اللغة ونصوصها، هذه الأفكار يمكن تعميمها على أية لغة إنسانية مما يسمح لنا أن نسميها نظريات لغوية دون أدنى تحفظ" [1]، ثم نجده يحيلنا إلى مباحث ومواضيع ومصطلحات لو أننا انشغلنا بها وفقهناها وطبقناها في دراساتنا العربية لكفتنا منها "التفسير، التأويل، النسق، النظم، الجنس، الكلام، النسج، النسيج، التصور، الدليل، التخيل، المجاورة النظم، الدلالة، دلالة الدلالة، معنى المعنى، الدال، الإشارة، الإبدال، الجملة، الأسلوب، اللغة ...،وهذا الأمر يحتاج إلى دراسة معجمية ووظيفية دلالية خاصة بهذا الرجل، فضلا عن نصوصه التي نحسب أننا نفهمها أحسن من خلال مقارنتها بالنظريات اللسانية المعاصرة"[2]، وهذا الذى يجب على منظومتنا الدراسية التعليمية والجامعية أن تهتم به، كما يجب على نقادنا إحياء هذه المفاهيم بمصطلحاتها القديمة لقراءة النص العربي قراءة مميزة بأدوات إجرائية عربية خاصة .

لقد أرسى عبد الجليل مرتاض قواعد الرأي القائل بأن القارئ هو أساس عملية القراءة والنقد، ذلك أن النصوص والخطابات لا قيمة لها دون قارئ يحرك شفراتها ويستخرج معانيها ويفك رموزها دون المساس ببنيتها اللغوية، إن القارئ /الناقد يجمع معارف لسانية وأخرى موسوعية وله دراية مسبقة عن كيفية اشتغال النصوص تمكنه من قراءتها وإبداع نصوص أخرى، فنحن أمام قارئ من نوع جديد إنه القارئ المبد

1عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ص 126

2 2عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ص 126.

المبحث الثاني: علـم النـــص:

يعد علم النص من أحدث المناهج التي تميزت بالوضوح والدقة العلمية، وهذا لجمعه وبلورته لعدة مناهج سابقة تحت علم واحد وبأدوات موحدة، وقد انبنى أساس هذا العلم على مفهوم النص الذي اختلف تحديده من دارس لآخر ومن ناقد لآخر، ويرى فان ديك أن علم النص هو علم قديم من حيث المفهوم جديد من حيث المصطلح، والذي عرف عند الفرنسيين بـ" (علم النص science du texte) وفي الإنجليزية سمي (تحليل الخطاب discourse analysis) ومع ذلك فقد عرفنا منذ زمن أبعد كثير وبخاصة في الدراسات اللغوية مصطلحي تحليل النص وتفسير النص، حيث كانت العناية مع ذلك في الغالب موجهة إلى الوصف المادي للنصوص الأدبية بوجه خاص، ويستهدف علم النص ما هو أكثر عمومية وأكثر شمولية، فهو يتعلق من جهة بكل أشكال النص الممكنة وبالسياقات المختلفة المرتبطة بها، ويعني من جهة أخرى بمناهج نظرية ووصفية وتطبيقية "[1]، وقد صاغ هذا التعرف من منطلق أن علم النص متداخل الاختصاصات، وهو علم ينمو في أكناف علم اللغة، كما يترعرع في أوساط علوم أخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع، وعلم السياسة وعلوم الاتصال، والتاريخ وغيرها من العلوم ذات الصلة .

تعددت مفاهيم النص، جاء على لسان جوليا كريستيفا أنّ النّص "مجموعة من الملفوظات النحوية أو اللا نحوية، إنه كل ما ينصاع للقراءة عبر خاصية الجمع بين مختلف طبقات الدلالة الحاضرة هنا داخل اللسان والعاملة على تحريك ذاكرته التاريخية، وهذا يعني أنه ممارسة مركبة يلزم الإمساك بحروفها عبر نظرية للفعل الدال الخصوصي الذي يمارس لعبة داخلها بواسطة اللسان، وبهذا المقدار فقط يكون لعلم النص علاقة ما مع الوصف اللساني "[2]، فهذه النظرة من وجهة لسانية لا أدبية جمالية حيث تعتمد على مكونات النص والعلاقات النحوية والدلالية دون إدراج العوامل الأخرى المنتجة للدلالة كالسياق والمقام وما يحيط بهما من ظروف اجتماعية ونفسية .

1 فان دايك، علم النص، ترجمة سعد حسن بحري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط1، 2001، ص14

2 جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2 ، 1997

كما نجد بعض التعريفات التي تنظر للنص على أنه بنية لغوية ذات نظام خاص، ومن هذا المنطلق يعرفون النص بأنه " تتابع مشكل من خلال تسلسل ضميري متصل لوحدات لغوية "[1]، أما بالنسبة لهاريس فالنص " هو تتابع من جمل كثيرة ذات نهاية "[2]محددة، لكن من العلماء من عد الجملة المنفردة نصا، ومنهم من عد الكلمة نصا إذا أدت معاني ومفاهيم النص، وقد قدم ايرنبرج نفس هذه المفاهيم حول النص وعنده النص هو " تتابع من الجمل يترابط من خلال وسائل التنصيص vertex tungsmittel ويعد من أنماط التنصيص[3]:

1. عدم تغيير الموضوع الرئيس إلى موضوعات جديدة (مثال ذلك : تقف سيارة في الجراج، طليت العربة حديثا)
2. الرابط السببي (مثال ذلك المصباح لا يضيء، انقطع التيار الكهربائي)
3. الربط الحافزي (مثال ذلك دخل هانس الكراج يريد أن يحضر فحما)
4. تفسير تشخيصي (مثال ذلك: وجد صقيع، انفجرت أنابيب التدفئة)
5. تخصيص (مثال ذلك حدث خطب أمس، كسرت ذراع بيتر)
6. الاتفاق غير الظاهر في الموضوع (اشترى أخي لنفسه بدلة، سقط بيتر من على السلم، كسرت ذراع عمتي، كل ذلك عرفته صباح امس)
7. الربط الزمني (مثال ذلك ترك بيتر البيت الساعة الثالثة، ثم دقت الساعة، ودخل الرجل)
8. ترابط الشروط (مثال ذلك دخل الشباب السينما، شخص ما أعطاه النقود)
9. تقابل استدراكي (بيتر إنسان لطيف، أما أخاه فهو كاذب)
10. انسجام السؤال جواب (مثال ذلك: ماذا فعلت مساء امس؟ ذهبت إلى السنما)
11. المقارنة (بيتر لديه معطف طويل، يمتلك أخوه معطفا أطول قليلا)
12. تصويب أقوال سبق ذكرها (مثال ذلك: رأى هانز ماريا، لا ، رأى بيتر ماريا).

---

1 زتسيسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم النص، تر: سعيد حسن بحري، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص 55

2 المرجع نفسه، ص 54

3 المرجع نفسه، ص 55

هذه مجمل العلاقات النحوية والدلالية الظاهرة والباطنة التي تجعل من الجمل المتتالية وغير المتتالية نصا، ولو تتبعنا هذه العلاقات في اللغة العربية لوجدنا أكثر من ذلك لاعتمادها على التلميح حينا والتصريح حينا آخر، واعتمادها على المحسنات البيانية والبديعية والحذف وغيرها من عوامل الربط الخفية .

كما أننا نجد تعريفات أخرى للنص متعلقة بالاتساق وبالانسجام، فالنص عندهم هو "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح النص"[1]، فهذا المصطلح كما لاحظنا له مجموعة من التعريفات منها ما هو متعلق ببنية النص ودلالته والأخرى متعلقة بنسيجه وتماسكه، والأخرى متعلقة بالروابط النحوية.

ينتج عن هذه المفاهيم والحدود المتعلقة بالنص مفهوم عام لعلم النص الذي "يستوعب العناصر الداخلية في تشكيل النص والمرتبطة بالإطار الخارجي المحيط به بقدر ما تتبدى فاعليتها في هذا التشكيل، فلا يعنيه الاستطراد الخارجي عن السياقات التاريخية والاجتماعية والنفسية بقدر ما يعنيه الحضور النصي لهذه السياقات وتحليل معطياتها"[2].

ونظرا لأهمية هذا العلم وهذا المنهج الحديث في تحليل النصوص بعامة والنصوص الأدبية بخاصة، وجدنا العالم الجليل عبد الجليل مرتاض قد ألف فيه المؤلفات العلمية الأكاديمية التنظيرية والتطبيقية، ومن أبرزها كتاب (لسانيات النص التحليلية) الصادر عن ديوان المطبوعات الجامعية سنة ،2013 وكتاب (في عالم النص والقراءة) الصادر عن نفس المؤسسة 2011، وكتاب (الوظائف النحوية في مستوى النص) الصادر عن دار هومة للنشر والتوزيع سنة 2011، وكتاب آخر ذو صلة بعلم النص وهو كتاب (التحليل البنيوي للمعنى والسياق) في كل هذا المنجز حاول تقديم مفهوم عام للنص والروابط النصية ومفهوم التماسك النصي وعلاقته بالروابط النحوية .

1 الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، بيروت ط1، 1993، ص 12

2 صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص155

ففي خضم تحديده لمفهوم النص وبعد تقديمه لعدة مفاهيم غربية وخاصة التي ترى النص من وجهة أنه ملفوظ وهو لا يقتصر على المكتوب من اللغة بل هو كل مدونة مهما كان نوعها مستقلة خطية أو شفهية، أما النص اللغوي الأسلوبياتي فيرى أنه لا يجب إقصاء اللسانيات عند تعريفه ذلك أن "النص الأدبي واللغة والتواصل ظواهر مما تهدف إليه اللسانيات التي تعد النص الأدبي موضوعا نهائيا في زمانه أو فضائه وبنيويا شيئا قد انتهى، وهو مندرج في بنيات معقدة من لغة "[1]، وبهذا يشكل في بعده الآخر لغة أخرى هي التجسيد الفعلي لها وهو الكلام بمفهوم دي سوسير .

كما نجده يقر أن النص لا يتحدد مفهومه من وجهة نظر واحدة، وهو بهذا يتوافق مع نظرة كبار اللسانيين وقد قدم لنا مجموعة من المقاربات للنص فالمقاربة الأولي وهي الشائعة والتي ترى النص عبارة "عن مجموعة منتهية من الأقوال أو الملفوظات الخطية التي تؤلف خطابا نوعيا متسقا مثل ذلك نص رواية فلوبير flaubert نص مداخلات خلال جلسة في المجلس الوطني، نص الجريدة الرسمية نص حواري موجه لتعليم اللغات .

المقاربة الثانية مقاربة لسانية سبق أن أشرنا إليها وهي مجموعة منتهية أو غير منتهية من الملفوظات الخطية أو المنطوقة تكون عموما خطابا متسقا حسب المؤلفين، ومعنى النص في هذه الحالة معادل لنص المدونة corpusأو الخطاب .

وأما المقاربة الثالثة فهي المقاربة البنيوية التي تعتبر النص عبارة عن مدونة مؤلفة من ملفوظات متتابعة خاضعة للتحليل على أن تكون مغلقة ومنهاة، وهذه الرؤية تعد أحد المبادئ الأساس للبنيوية، التي تقيم تحليلها على تصور نهائي للمدونة حتى تتبصر النص وتمنعه مليا كبنية وفوائد هذه المقاربة إزاء النص الأدبي أنها تتفادى كل إحالة مرجعية خارج النص من أجل التركيز على النص ذاته "[2]، أما من جانب تصوره لعمل العلامة اللسانية داخل النص وعلاقتها بالتحليل النصي والمعنى، فهو يرى أن النص " يتماثل أول ما يتماثل في شكل دال من الدوال، لكنه دال

1عبد الجليل مرتاض، في عالم النص والقراءة، ص07

2المصدر نفسه، ص09

صامت ليس بمقدوره أن يقول لنا شيئا، وإنما كل ما يقدر عليه أن يتلفظ صوتيا أو بصريا أو خياليا أو شيئا من ذلك في أنواع شتى من التلفظات المرتبطة قبل أي شيء بفضوليين منا بتلفظه على أي نحو كان"[1]، وهو بهذه الصفة لا يخبرنا بشيء وإنما يصبح النص منفتحا على عدد لا متناهي من القراءات والتأويلات المرتبطة أساسا بالعلامة اللسانية .

إن المتتبع لمفهوم النص من وجهة نظر لسانية عند عبد الجليل مرتاض يجده يعتمد في تحديده على النقاط الأساسية التالية :

1 – النص بنية كلية مرتبطة في ذاتها سواء كان النص مكتوبا أو منطوقا، طويلا أو قصيرا فبروز بنيته شرط أساسي في تكوينه وبهذا لا " يقتضي اتخاذ معيار متصلب للامتداد الطولي، فالنص الأدبي يمكن أن يكون رواية مؤلفة من مئات الصفحات أو بيتا واحدا من الشعر غير أن الرسالة التي يتضمنها كل من النصين تنحصر في حدودها، بحيث لا يمثل الامتداد الطولي عاملا جوهريا في القيمة النوعية أو الشعرية للنص، بل يصبح مجرد خاصية تتعلق بطريقة تراكب الأبنية الصغرى والكبرى المتصلة بمختلف الأجناس الأدبية "[2]

2– النص مستلة لفظية أي أنه " مجموعة من الملفوظات أو الجمل اللغوية الخاضعة إلى التحليل ومن ثم فإن النص ليس إلا عينة مقتدة من جني أدبي معين تشير في مجملها إلى تصرف لساني يمكن أن تكون خطية أو منطوقة "[3]،محددة ببداية ونهاية تحمل في طياتها معنى متكامل غير قابل للتجزئة .

3– وجوب معرفة المتلقي للغة النص ومعانيها وكيفية اشتغالها وإلا خرج النص من كونه بنية نهائية إلا نص منفتح على كل التأويلات لعدم معرفة المتلقي لغته.

1عبد الجليل مرتاض، في عالم النص والقراءة، ص 11

2 صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 160

3 عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، ص 76

السيــاق:

يعد السياق من المفاهيم الأساسية التي ينبني عليها مفهوم النص، ويقصد به " ما يسبق أو يلحق الوحدة اللغوية من وحدات أخرى تتحكم في وظيفتها ومعناها، ولكنه في مجال اللسانيات يمتد ليشمل كل الظروف التي تحيط بالنص مما يتصل بالمرسل والمستقبل والمقام ككل "[1]، فهذا التعريف قد جمع بين السياق اللغوي والذي هو مجموع الوحدات والعناصر اللغوية التي تحيط بوحدة معينة (كلمة أو جملة) وتؤثر في دلالتها، وكذلك السياق الغير لغوي المتمثل فيما يحيط بعملية إنتاج النص من ظروف اجتماعية ونفسية، وكذا ما يجمع الباث والمتلقي من ظروف مشتركة وتجربة علمية وثقافية.

ونظرا لأهمية السياق في تحديد دلالة النصوص نجد عبد الجليل مرتاض يتتبع مفاهيمه العامة الواردة في مختلف النظريات الغربية والعربية والتي استنبط منها أربعة إدراكات للسياق" :

- على مستوى الكلام هو المحيط اللساني لوحدة لغوية ويقصد بهذا المحيط هنا مجموعة العناصر الحاضرة بالفعل في النص بجوار مباشر أو بعيدة عن الوحدة المعتبرة
- على مستوى اللسان كل وحدة لسانية تستخدم في الوقت نفسه في السياق لوحدات ذات رتبة سفلى .
- السياق اللساني وغير اللساني، أي يميز بين سياق لساني وسياق مقامي .
- الوظيفة المرجعية تحيل على السياق الذي يمكن أن يكون مافوق لساني أو لسانيا"[2]،فالإحالة والمرجع اللساني وفق تصور عبد الجليل مرتاض هو ما نعود إليه لطلب معلومة نجهلها وهذا للعلاقة التي تربط العلامة والخطاب اللغوي بتجارب وتصورات المتكلمين، فمفهوم الإحالة والمرجع عنده مرتبطة بالواقع والتجربة مع العالم الخارجي، فالإحالة هي "الوظيفة التي بواسطتها تحيل علامة إلى شيء أو وسط كزني خارج لساني واقعي أو خيالي، لأنك لا مناص لك من استحضار الوظيفة المرجعية في خطابك مع

1 مسعود بودوخة، السياق والدلالة، دار الأيام للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015، ص 41

2عبد الجليل مرتاض، التحليل البنيوي للمعنى والسياق، ص 6

غيرك أو حتى نفسك ... وبعبارة أخرى كل علامة لسانية تحيل وفي الوقت نفسه وهي تضطلع بالعلاقة بين تصور وصورة صوتية سمعية بالتعريف الديسوسوري إلى واقع ما فوق لساني، ومهمة الوظيفة المرجعية تكمن في وضع العلامة اللسانية في علاقة وضعا غير مباشر مع عالم الأشياء الواقعية التي هي عالم كوني مستقل عن كل ما يكتسيه ويتقمصه من صور صوتية سمعية أو بنايات دلالية"[1]، متعارف عليها في محيط لغوي وثقافي معين، وتتوارثها الأجيال جيلا بعد جيل.

ثم نجد عبد الجليل مرتاض يقسم الإحالة إلى إحالة قبلية وبعدية أو إحالة سابقة وأخرى لاحقة، والفرق بين الإحالتين عنده أن "السابقة ثابتة واللاحقة متحركة، وإذا كانت الإحالة السابقة تنزع ما استطاعت إلى أن تكون مغلقة حتى لا يختلف اللاحق مع السابق فإن الإحالة اللاحقة تميل دوما أو بنسبة أكبر إلى أن تكون مفتوحة حتى لا تزول دينامية الخلق والإبداع، فاللغة عالم منته في وحداته ولكن نسجها عالم لا نهائي في معانيه وبكلمة واحدة أن كلمة ليس لها دلالة وكل ما تملك أن لها استعمالات"[2]، ولهذا فالإحالة القبلية ثابتة ومركزية والإحالة البعدية متغيرة متجددة، وهي تخضع "إجبارا لمجموعة من المسلمات الخارجية كالسياق والمحيط اللساني للكلمة الهدف لا ضفاء معنى عليها بدلا من معنى آخر في الوقت نفسه، وذلك ما أطلق عليه تعدد المعاني أو المشترك اللفظي، بل كل ما في الأمر أن المخزون الصوتي مخزون مستنفد بينما عالم الأياء عالم لا نهائي مما اضطر ويظطر الإحالات اللاحقة في كل مرة أن تحيل على عينة مستعملة من المخزون الصوتي دلالة بها على كل إحالة أو إحالات لاحقة ولذلك أشرنا إلى ثبوت الإحالة المركزية القبلية خلافا لما تلاها من إحالات تالية "[3] ما فوق لسانية، هذه الكلمات التي استعملت في سياقات جديدة عدت عند بعض اللسانيين كلمات جديدة .

1 عبد الجليل مرتاض، الروافد اللسانية لتحليل الخطاب، ص 109

2 المصدر نفسه، ص 114

3 المصدر نفسه، ص 115

وقد لاحظ عبد الجليل مرتاض أن السياق من المنظور اللساني بوصفه "مجموعة من الأمارات الشكلية المحيطة بوحدة، لا يفشي لنا بالدلالة كلها لهذه الوحدة اللسانية، لكن فقط بقيمتها أو موقعها الخاص بالنسبة للوحدات الأخرى داخل النظام اللساني "[1]،فالتحليل السياقي يحصر لنا معنى الوحدة اللسانية ويجعله (أي المعني) في حدود دون الوصول الى المعنى النهائي لهذه الوحدة، رغم إحالتنا على الوقائع والملابسات الاجتماعية التي أنجزت فيها هذه الرسالة الهدف، ولهذا يمكننا أن نحدد عناصر السياق عند عالمنا كما يلي :

فبالإضافة إلى المخاطب والمخاطب، أو المرسل والمتلقي وموضوع الرسالة وقناة التواصل (منطوق أو مكتوب) اهتم عبد الجليل مرتاض بالمقام وعده عنصر أساسي من عناصر السياق وقد عرفه بأنه "مجموعة الشروط لإنتاج الملفوظ إنتاجا خارجا عن الملفوظ نفسه "[2]، وهذا بحسب الزمان والمكان ومقاصد عملية التواصل، ولهذا نجده حدد طبيعة المقام في عنصرين أساسيين هما "المحيط الفيزيائي المشار إليه في الفضاء الزمني لفعل الكلام acte de parole الذي يحين actualiseإحالات عديدة، إما ملموسة وهو كل شيء من الأشياء التي لها علاقة بالخطاب، وأما زمنية متصلة بوقت التبليغ، إذ يمكن للمتكلم أن يقول، أنظر دون ذكر الشيء للنظر أو كان يقول: هو ذا رقم أربعة عشر دون الإشارة إلى حالة بعينها أو عنوان منزل أو رقم يحمل ذكرى وطنية ...أو كأن يقول: سيعود غدا منتصف النهار فالمعنى بالعودة ...تحل شفرته تبعا لوقت التبليغ " [3]،فهذه عناصر المقام التي تسمح لنا بتقريب الفهم والمبتغى لعملية التواصل، وقلنا تقريب الفهم لأن عالمنا يرى أن هذه العناصر غير كافية للوصول إلى المعنى الحقيقي، وقد أضاف ما يعرف بالفضاء الدلالي وهو بالإضافة إلى السياق والمقام تدخل عوامل اجتماعية ونفسية وثقافية لتحدد المعنى النهائي من عملية التواصل.

1عبد الجليل مرتاض، التحليل البنيوي للمعنى والسياق، ص 7

2المصدر نفسه ، ص 8

3 المصدر نفسه، ص 9

وللتميز والتفريق بين السياق اللساني والغير لساني (المقام) " الذي هو تجربة غير لسانية لكنها معيشة، أو إذا اعتبرنا السياق غير اللساني كمقام فهو مجموعة من شروط لإنتاج ملفوظ خارج عن الملفوظ نفسه، وبهذا المفهوم، فإن كل ملفوظ ينتج فعلا عن قصد يمكن أن يجد من خلاله مبرره ليكون متبنى من الشخص الذي يتكلم ومن الذي (أو الذين) يستمع (أو يستمعون) في محيط (مكان) وفي وقت (زمن) حيث يرسل كل هذه العوامل من نية ومتكلم ومستعمل ومحيط وزمان، والتي تؤثر في تحقيق أو إنتاج الملفوظ تشكل المقام أي السياق الغير لساني "[1]، والذي نجد عالمنا ربطه بالشعور وعدم الشعور، ويرى أن كثير من الفعل الما فوق لساني غير شعوري وعفوي ويتجلى الفرق بينهما عند عملية تعلم لغة جديدة فإننا نحاول استحضار الكلمات والشعور بما تحيل إليه عن وعي وإدراك وتركيز كبير.

الاتساق والانسجام:

يعد الاتساق أساس النص وقوامه وقاعدته الأساسية التي ينبني عليها، فهو الذي يشكل وحدة النص وتكامله، ويحدث هذا الاتساق والانسجام والتماسك على عدة مستويات (الصوتية والنحوية والمعجمية والدلالية والتداولية)، ويقصد بالاتساق " ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص / خطاب ما ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته، ومن أجل وصف اتساق الخطاب /النص يسلك المحلل الواصف طريقة خطية متدرجة من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالبا) حتى نهايته راصدا كالعطف والاستبدال والحذف والمقارنة والاستدراك وهلم جرا كل ذلك من أجل البرهنة على أن النص/الخطاب (المعطى اللغوي بصفة عامة) يشكل كل متكاملا "[2]،هذه الروابط والأدوات اللغوية تشكل علاقات بين الكلمات والجمل وتحدث اتساقا وتماسكا في النص، وتعين على فهم وتفسير هذه النصوص وهذا برصد الوسائل والعناصر اللغوية الفاعلة السابقة الذكر .

1 عبد الجليل مرتاض، لسانيات النص التحليلية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2013، ص 52

2 محمد الخطابي، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، ط01، 1991، ص 5

إن توفر بعض النصوص على هذه الروابط اللغوية (الشكلية) لا يعني أنها نصوص متماسكة ذلك أن أفكارها ومعانيها ودلالاتها مشتتة مبعثرة، ولهذا وجدنا من يفرق بين الاتساق والانسجام ويرى أن " الانسجام أعم من الاتساق كما يغدو أعمق منه بحيث يتطلب بناء الانسجام من المتلقي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلا (أو غير المتحقق) أي الاتساق إلى الكامن (الانسجام) ومن ثم، وتأسيسا على هذا التمايز، تصبح بعض المفاهيم مثل موضوع الخطاب والبنية الكلية، والمعرفة الخلفية بمختلف مفاهيمها حشوا إن أردنا توظيفها على مستوى اتساق النص /الخطاب، والعكس صحيح ، أي أن الوسائل التي يتجلى بها اتساق النص عاجزة عن مقاربة (بناء) موضوع الخطاب، والبنية الكلية لمعطى لغوي"[1]، فهذه الروابط اللغوية بهذا المفهوم قد تحقق لنا اتساق النص، وليس بالضرورة حققت انسجامه، كون أن الانسجام أعم من الاتساق ونحتاج لتحقيقه تدخل القارئ والمحلل، وهذا بالاستعانة بمعارفه ومعلوماته وخبراته المكتسبة، والتي هي من خارج النص، حيث يستعملها لإعادة بنائه وانسجامه كما يمكن الاستعانة بمعطيات سياقية ومقامية، فتحقيق اتساق وانسجام النص يعتمد على أطراف عملية التواصل كلهم باث ومتلقي.

أدوات التماسك:

يعد التماسك شرط أساسي في التميز بين ما هو نص وما ليس بنص، ولتحقق هذا التماسك اشترط العلماء وجود أدوات وروابط لتحقيقه منها ما يرتبط بالمفردات المعجمية وجزء يرتبط بالنحو والتركيب، وأخرى ترتبط بالدلالة والتداول ومن أهمها :

1- الإحـالـــة:

سبق وأن تحدثنا عن الإحالة بنوعيها النصية والمقامية، هذه الأخيرة ليس لها علاقة بالتماسك النحوي وإنما هي خارجة عن النص وتتجاوزه إلى المعرفة والخبرات التي يكتسبها القارئ عن محيط النص وعن المتكلم، ولهذا فالذي يهمنا هاهنا هو الإحالة النصية، وهي كل تعبير لغوي له علاقة

1 محمد الخطابي، لسانيات النص، ص6

بتعبير لغوي آخر في نفس النص، وتكون بين " ضمير وكلمة أو كلمة وكلمة أو عبارة، أو جملة وجملة، أو فقرة وفقرة وغيرها من الأنماط اللغوية "[1]، ومن وسائل التماسك الإحالي :

أ- **الضمـائـــر**:

تعد الضمائر من أهم الوسائل التي تحقق التماسك الداخلي والخارجي للنصوص، وهي عبارة " عن عناصر لغوية تحتاج إلى مفسر تعود إليه فيوضحها ويكشف عن مدلولها "[2]، وقد اهتم علماء العربية بالضمائر وقسموها إلى عدة تقسيمات كضمائر الحضور والغياب والضمائر الوجودية والملكية، وتعد الإحالة بواسطة الضمير "من عوامل الربط التي تفيد الكلام تماسكا، واتساقا وتنفي عنه التكرار وتجنبه التشتت إلا أنه لا تروق عنده في كل مقام، ولا تعذب في كل مساق، فقد تؤدي مع اضطراب التقدم والتأخر إلى فساد القول وهجنة في البيان وفتور إن لم نقل ضعفا في المعنى "[3]، فهذا النص يوضح لنا رأي الجرجاني في أهمية الضمائر في تحقيق وتشكيل المعنى وإيضاحه في النص، كما نجده يحث الكتاب على حسن استعمالها للحفاظ على سلامة التعبير وجماله وزينة سبكه .

ب- **أسمـاء الإشـارة:**

تعمل أسماء الإشارة على تحقيق الاتساق النصي وهذا بالربط القبلي والبعدي، كما تعتبر ذات قيمة إحالية كبرى فهي تسهم في تحقيق التماسك، وتتجاوز في قدرتها على تحقيق التماسك الضمائر الشخصية لأنها تحيل قبليا لجملة أو متتالية أو جزء من النص بأكمله، كما أنها تربط جزءا لاحقا بجزء سابق"[4]،وفي نفس الوقت تعمل أسماء الإشارة على تحديد مدى القرب أو البعد

1 عثمان محمد أحمد أبو صيني، نحو النص دراسة تطبيقية في سورة النور، عالم الكتاب الحديث، 2015، الأردن، ص 50

2 المرجع نفسه، ص51

3 إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص 203

4إبراهيم محمد عبد الله مفتاح، التماسك النصي للاستخدام اللغوي في شعر الخنساء، عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2015، ص 25

من الخطاب، فاسم الإشارة (هذا) يعبر به عن القرب، و(ذلك) للبعد، وللتعبير المتوسط يكون بحذف اللام في ذلك فنقول (ذاك) وهلم جرا .

2- الاستبـدال:

هو من صور التماسك النصي التي تتم داخل النص، ويختلف عن الإحالة "في كونه علاقة تتم على مستوى النحوي والمعجمي بين كلمات وعبارات، ويسهم الاستبدال في تماسك النص إذ يحقق الاستمرارية والعلاقة فيه قبلية فالعنصر المستبدل يوجد في الجملة اللاحقة "[1]، وينقسم إلى أنواع منها"[2]:

ا- الاستبدال الاسمي : Nominal Substitution

ويتم باستخدام عناصر لغوية اسمية مثل (آخر –آخرون –نفس)

ب- استبدال فعلي : Varbal Substitution

ويمثله استخدام الفعل (يفعل) مثل : هل تظن أن الطالب المكافح ينال حقه – أظن أن كل طالب مكافح (يفعل) ، الكلمة (يفعل) فعلية استبدلت بكلام كان من المفروض أن يحل محلها وهو (ينال حقه).

ج- استبدال قولي : Clausal Substitution

باستخدام (ذلك، لا) مثل قوله تعالى: ﴿ **قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ الكهف64** ، فكلمة ذلك جاءت بدلا من الآية السابقة عليها مباشرة ﴿ **أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ الكهف63**

ويسمى هذا الاستبدال الأخير بالاستبدال الجملي كذلك .

1إبراهيم محمد عبدالله مفتاح، التماسك النصي للاستخدام اللغوي في شعر الخنساء، ص 27

2أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، 2001، ص 123

3- الحـــذف:

هو إسقاط أو إزالة عنصر من عناصر الجملة لسبب كالإيجاز أو الاختصار، وتكمن فاعليته في تماسك النص لأن المحذوف مرتبط ارتباط وثيقا بما سبقه، وهو من الخصائص المميزة في اللغة العربية يقول عنه الجرجاني أنه باب " دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عند الإفادة أزيد من الإفادة "[1]، فيعتمد المتكلم على التلميح دون التصريح، والإشارة دون العبارة، وهذا باب عظيم من أبواب البلاغة العربية.

والحذف أنواع فمنها ما هو متعلق بالجملة ولا يتعداها، ومنه ما هو متعلق بالنص كليتا وهذا الأخير يحقق الترابط والتماسك الكلي للنص، إن حذف أي عنصر من عناصر الجملة لا يكون اعتباطيا وإنما يجب أن يتواجد دليل عليه في السياق الكلامي يجبرنا على السكوت عليه (الحذف)، وهنا يتدخل الجانب الفكري العقلي المنظم للغة، والذي يحدد القواعد النحوية لها، حيث يستدرك ذلك الحذف ويعتبره كأنه موجود في الواقع، فيزيل ذلك اللبس لأن النظام اللغوي يقتضي ذلك.

4- الوصـــل:

يمكن اعتبار الوصل واحد من أهم الشروط النحوية التركيبية الأساسية لتحقيق الاتساق النصي، ذلك أن الترابط بين الكلمات والجمل بالوسائل اللغوية هو ركيزة البناء اللغوي السليم، كما أنه تقنية يمكن من خلالها التأكد من اتساق الخطاب من عدمه، وقد عرف الوصل على أنه تحديد الطريقة التي يرتبط بها السابق بشكل منظم هذا تعريف هاليداي ورقية حسن وقد قسما الوصل إلى ثلاثة أنواع"[2]:

1 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دارا لخانجي، القاهرة، ط5، 2004 ص 71

2 بن الدين بن دوخة، الاتساق والانسجام النصي الآليات والروابط، دار التنوير، الجزائر،ط1، 2014، ص 22

ا- الوصل الإضافي : يتم الربط بالوصل الإضافي بواسطة الأداتين (الواو) و(أو) وتندرج ضمن المقولة العامة للوصل الإضافي علاقات أخرى مثل : التماثل الدلالي التحقق بكلمات نحو : بالمثل ، وعلاقة الشرح المتمثلة في عبارات مثل : أعني، وعلاقة التمثيل المتجسدة في تعابير مثل : نحو، مثل .

ب- الوصل العكسي : ويعني عكس ما هو متوقع، وتتم بتعابير مثل : لكن، غير أن.

ج- الوصل العكسي آخر:

يمكننا إدراك العلاقات المنطقية بين جملتين أو أكثر يعبر عنها بعناصر مثل : بالتالي، لهذا السبب، إذا، هذا، سبب ذلك ...وهي كما نرى علاقات منطقية ذات علاقات وثيقة بعلاقات عامة هي السبب والنتيجة.

الاتسـاق المعجمــي:

التماسك المعجمي هو التماسك الذي يحدث من خلال اختيار المفردات المعجمية، ولا نقصد بالمعجم أو القواميس اللغوية وإنما نقصد به "مجموعة الآداءات اللغوية التي استطاع ابن اللغة(ومنهم الشعراء) أن يخزنها في ذاكرته اللغوية ويستعملها عند الحاجة إلى استعمالها وتوظيفها فقواعد النظام اللغوي العام أو الكفاية أو القدرة"[1]، ويدخل في ذلك اللهجات اللغوية والمعاني الاجتماعية .

وقد قسم إلى قسمين أساسيين هما التكرار والتضام، فالتكرار يكون بإعادة اللفظة المعجمية أو أحد مرادفاتها أو ذكر الاسم العام لها أو الذي يشملها .

1 بن الدين بن دوخة، الاتساق والانسجام النصي الآليات والروابط، ص 23

أما التضام فهو "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو القوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك"[1]، ويكون هذا في العبارة أو الجملة وكيفية بناء وحداتها وترتيبها وتنظيمها في النص الواحد .

يمكننا القول أن مفهوم "التماسك ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي يضفيه القارئ على النص، ونتيجة لأن تأويل النص من القارئ لا يعتمد فحسب على استرجاع البيانات الدلالية التي يتظمنها هذا النص، بل يقتضي أيضا إدخال عناصر القراءة التي يملكها المتلقي داخل ما يسمى بكفاءة النص أو إنجازه، فإن نظمم العقائد والأعراف، والأبنية العاطفية وما يطلق عليه الشفرات المساعدة تسهم كلها في صنع هذا التماسك للخطاب النصي"[2]، هذا بالنسبة للتماسك النحوي والمعجمي والدلالي .

مرتكزات تحليل النصوص عند عبد الجليل مرتاض:

إن أي دراسة لسانية لنص ما تهدف إلى فهم النص، وكشفه وتجليته، لهذا وجدنا عبد الجليل مرتاض يتبع عدة أساليب مختلفة، وطرق متعددة لكي يكشف عن معاني النصوص بأسلوبه المميز الحديث المشبع بالقواعد اللغوية والبلاغية العربية القديمة والحديثة، وفق تصورات النظريات الغربية بما يتوافق مع خصائص اللغة العربية، ويتجلى الجانب التطبيقي في دراسة لمعلقة عمرو بن كلثوم في كتابه لسانيات النص التحليلية، حيث أسقط المفاهيم السابقة الذكر على هذا النص العربي الأصيل .

إن معاني النصوص عند عالمنا لا تتحقق من مجموع الجمل والمفردات التي تتألف منها، بل هي حصيلة تركيب وترتيب هذه الجمل بحسب القواعد النحوية الخاصة باللغة المعينة، ولهذا نجده بالإضافة إلى استخراجه للروابط النحوية واللغوية أثناء دراسة النصوص، واكتشاف ما بينها من علاقات تضام وتماسك، وما أحدثته من اتساق داخلي للنص المدروس مع الكشف عن جل

1 محمد الخطابي، لسانيات النص، ص25

2 صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة 1992، ص 241

الإحالات الداخلية له، نجده يعالج النصوص من منظور تواصلي، ومن منطلق أن لكل رسالة وظيفة مهيمنة، رغم إيمانه بوجود روابط قوية بين وظائف الرسالة الواحدة، والتي يستخرجها كلها ويبين واقعها، وبعدها يحدد خصوصية الرسالة ووظيفتها المهيمنة.

المبحث الثالث: اللسانيات الجغرافية واللهجات

ارتبط علم اللهجات بالنقد واللسانيات لارتباط اللهجة باللغة، هذين المفهومين (اللغة واللهجة) الذين صعب التميز بينهما منذ بداية الدراسات اللغوية اللهجية للقرآن الكريم على الأقل، وهذا التداخل بين اللهجة واللغة قد "جرى على ألسنة النحاة وجُمَّاع اللغة ولفظة لهجة، ولفظة لغة هما لفظتان تؤديان معنى واحدا، ولذلك نراهم يقولون لهجة قريش ولغة قريش لهجة تميم ولغة تميم"[1]، وإن الذي نبتغيه من خلال هذه الدراسة هو اللهجة العربية التي عالجها عبد الجليل مرتاض، وكذا اللهجات العامية الجزائرية، ويوجد اختلاف كبير بين اللهجة والعامية فاللهجة هي " مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة معينة بحيث يشترك فيها جميع أفراد بيئة واحدة وهذه البيئة أعم وأشمل "[2]، أما العامية فهي مجموعة من المفردات التي تستعمل وتندثر سريعا، وليس لها قواعد متعارف عليها ترقى بها إلى درجة اللهجة واللغة، والمحدد لصفات اللهجة والعامية يكون إما راجع لعوامل فيزيولوجية أو وراثية، كتنظيم مخارج الأصوات واختلاف النغمات وغيرها من العوامل، أو الانقطاع التام عن اللغة الأم مما يولد عبر الزمن لهجة خاصة، وكذا الاختلاط بأجناس ولغات أخرى مما يولد ألفاظ ونغمات جديدة تشكل بمرور الوقت لهجة.

إن الحديث عن اللغة واللهجة والعامية يجرنا إلى مفهوم " اللغة العامة ذات اللهجات المتعددة، ومفهوم العرف العام والعرف الخاص، ومفهوم الأمة والطائفة، وكذلك اختلاف نوعين من الاهتمامات الثقافية والحياتية تبعا لاختلاف المفاهيم المذكورة ومما يترتب على ذلك اختلاف لغة الأمة عن لغة الطائفة في نواح تجعل من الصعب أن تؤدي إحداهما وظيفة الأخرى دون الإحساس بالفشل، ومن هنا كان لابد من نسبة كل من اللغة واللهجة إلى ظروف استعمال خاصة تحول بين أداء كل منهما ووظيفة الأخرى"[3]، فاللغة لها وظيفة الجمع بين أطياف الأمة فتحمل ماضيهم الجامع وتاريخهم الواحد، أما اللهجة فهي وسيلة تواصل بين مجموعة قليلة لهم لغة

1 سالم نادر عطية أبو زيد ، أثر تعدد اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، دار جرير ، عمان ، ط1، 2014 ، ص31

2 المرجع نفسه ، ص 31

3تمام حسان ، الفكر اللغوي الجديد ، عالم الكتاب ،القاهرة ،ط1، 2011، ص 183

عامة ولهجة خاصة يستعملونها لتسهيل التواصل والتفاهم بينهم، كما توجد لهجات فردية خاصة بشخص واحد.

فاللهجة الفردية حسب اللسانيين هي "تنوع شخصي بمعنى حزمة سمات الكلام المميزة التي تسمح لنا بالتعرف على شخص ما كفرد إنها حقيقة معروفة أننا نستطيع بسرعة تحديد أصوات أصدقائنا عندما يتواصلون بنا هاتفيا ويمكننا التعرف على زميل يتكلم في حجرة أخرى أو في الممر حا لم نسمع بضع كلمات فاللهجة الفردية مركب من مواصفات الصوت التي تعكس عدد من المتغيرات : شكل أعضاء الكلام عند الفرد اللكنة بمعنيي اللهجة الاجتماعية / اللهجة وسمات اجتماعية أخرى مثل علامات العرق والنوع الاجتماعي، أنساق انفرادية من الصياغة وانتقاء الكلمات"[1]، ومن هذا نشأت عدة علوم حديثة منطلقاتها السمات الفردية الكلامية واللهجية، وخاصة ما يسمى بالبصمة الصوتية .

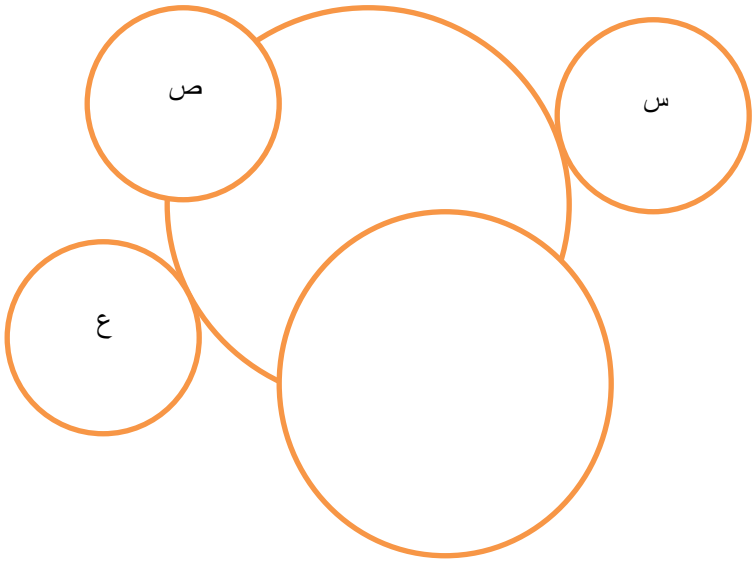
وإذا سلمنا أن اللهجة أطول عمرا من العامية وأقصر حياة من اللغة الأصل، فيمكننا القول أن الاستعمال اليومي لهذه اللهجات والعاميات يصبح حقا مكتسبا، ويمكننا بهذا قبول " القول بأن الصيغ العامية واللهجة وغير النموذجية كلها صيغ حية ومستعملة، ومن الممكن أيضا قبول بأن كثيرا من هذه الصيغ كان في الماضي داخلا ضمن اللغة النموذجية، ومنظورا إليه نظرة احترام وتقدير، وإن التقليل من قيمة أي من هذه الصيغ والنظر إليها على أنها أقل من الناحية الأدبية والجمالية ليعد شيئا فرديا كما أنه يعد تفضيلا ذاتيا، ومع هذا فإنه يجب أن يظل واضحا أن بقاء مثل هذه الصيغ اللهجية غير النموذجية من الكلام يؤدي إلى تعطيل تيار التفاهم"[2]، ومن هذا وجب أن تكون للهجة المحلية دور في عملية التحليل العلمي اللساني للنصوص والخطابات بكل أنواعها، مع محاولة تصفية هذه اللغة من كل رطانات تحاول الالتصاق بها.

واللهجة عند عبد الجليل مرتاض هي "تكلمات تنتمي تاريخيا وسلاليا إلى لغة موحدة طبعت بطابع رسمي من قوم أجمعوا عليها وتخاطبوا بها، وأبدعوا بواسطتها، وأصبحت تكتنز موروثا

1روجير فاولر، النقد اللساني، ص 307

2ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتاب القاهرة، ط8، 1998، ص231

أدبيا، ولسانيا، وعلميا، وحضارة لا تنم إلا عنهم من خلالها بوصفها منظومة لسانية ذات هوية تفصح عنهم، ويفصحون عنها"[1]، فهو يقر بمفهوم اللغة العامة ذات اللهجات المتعددة. كما يحيلنا إلى ما يسمى بالفضاء الثقافي في قوله تفصح عنهم ويفصحون عنها، وقد ضرب مثالا عن اللغة الأمازيغية في الأوطان العربية فهي " لغة كاملة الأوصاف، لكن بنيتها الداخلية الأساس مختلفة جذريا عن العربية، وهي لها لهجاتها ولغياتها المنتمية تاريخيا إليها عبر هذه الدول"[2]، وقصد إظهار العلاقة الموجودة بين اللهجات أو اللغيات بمصطلح عالمنا رسم مخطط يظهر فيه مدى علاقة اللغة باللهجة وكون اللهجة مشتقة من اللغة وهي تتقاطع معها حتما في جانب من الجوانب



ويرى عبد الجليل مرتاض أنه بالإضافة إلى اللهجة الإقليمية هناك "أشكال أخرى من التكلمات والتخاطبات المحددة من علماء اللسانيات الجغرافية بمصطلحات ومقاربات لا تخلو من التباس، ومن ابرزها رسم الحدود بين هذه الأشتات التواصلية في خضم فضاء جغرافي واحد، ومتكلمين تجمعهم هوية واحدة فهناك الأرغة الخاصة بفئة اجتماعية، وهناك الرطانة الخاصة بأصحاب مهنة أو جماعة معينة، وهي قريبة من الأرغة وثمت اللغة المزيج إلى جانب اللغة الهجين

1 عبدالجليل مرتاض، التهجين اللغوي في الجزائر في العهد العثماني، ص 12

2 المصدر نفسه، ص 13

فضلا عن اللغة المختلطة"[1]،كل هذه التكلمات والتخاطبات تلتصق باللغة الأم فتزاحمها في عقر دارها بل تصبح في بعض الأحيان متقدمة في الاستعمال عليها.

وقد فرق عالمنا بين الخطابات الرسمية والخطابات الطبيعية، وتساءل عن اللغة التي نتواصل بها يوميا هل هي لغة طبيعية خاصة بعامة الناس أم هي لغة رسمية" ذلك أن بعض التراكيب أو الوحدات اللغوية التي نوظفها قد نحسبها من لغة الخاصة وربما كانت من لغة العامة والعكس غير مردود، وهذه إشكالية تدخل في إطار الإنتاجات الخطابية الطبيعية التي نتداولها يوميا بقدر ما تعني الخطابات الرسمية التي نتحفظ فيها تحفظا شديدا"[2]، وقصد التمييز بين هذه الخطابات ومعرفة التراكيب اللغوية الفصيحة منها والعامية، يقترح أستاذنا توفير وسائل علمية وتقنية واستقصاء نصوص شفوية وكتابية في جميع ربوع الوطن العربي تصبح مرجعا للغتنا مثل الكتب القديمة التي صنفها علماؤنا الأوائل، ككتاب –لحن العامة لأبي بكر محمد بن حسن الزبيدي–، وكتاب – تثقيف اللسان وتلقيح الجنان– لأبي حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي، وتقويم اللسان لأبن الجوزي، وإن أردنا أن نكون عمليين في هذا المجال فيمكننا البدء بوطننا الجزائر فنرصد كل التراكيب والعبارات المتداولة ونقوم بتصنيفها وتحديد ما هو فصيح من العامي، وهذا الذي شرع فيه عبد الجليل مرتاض في كتابه السابق الذكر – تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى– حيث تتبع بعض الخطابات واللهجات الأندلسية والجزائرية في أوساط العامة،كما رصد خطابات لهجية صقلية جزائرية وحاول إيجاد الروابط اللغوية بينها.

ومن التراكيب والألفاظ المتفشية في العامية الجزائرية والتي أوردها أستاذنا على أنها تواصلات لغوية أندلسية لفظ "بزيم" يقولون بزيم للحديدة التي تكون في طرف حزام السرج يشرج بها أو التي تكون في الحزام وعندنا كذلك ما يشد به النعل على الرجل، ونحن ننطقه طبعا قس عاميتنا بتسكين الباء المسبقة بلام مفتوحة (لبزيم) بينما هي إبزيم وجمعها أبازيم وجاءت هذه

1عبدالجليل مرتاض، التهجين اللغوي في الجزائر في العهد العثماني، ص15

2عبد الجليل مرتاض، تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، ص 10

الكلمة موظفة في بعض الأشعار القديمة بينما استعمل أبو دؤاد الأيادي كلمة إبزين وتجمع على أبازين:[1]

من كلِّ جَردَاء قَد طَارت عَقِيقَتُها وكلُّ أجردِ مُسْتَرخِي الأَبَازِين

ويرجع هذا التغير إلى التبادل الصوتي الحادث بين اللام والنون، والذي يرجع إلى علل صوتية عرفت عند العرب، والإبدال ظاهرة لغوية، لم يتفق علماء العربية القدامى على عده ظاهرة صوتية كما هو الحال لدى المحدثين، ففي اللغة هو جعل الشيء مكان شيء آخر، أما اصطلاحا فهو "جعل الصوت مكان صوت غيره في بعض الكلمات مع بقاء الأصوات الأخرى"[2]، ومن الأسباب الداعية إلى إبدال صوت بآخر تأثر صوت بالأصوات الأخرى التي تجاوره فيتحول إلى صوت قريب منه في المخرج أو الصفة .

ومن الكلمات الشائعة كذلك لفظة دشيش حيث كان " الأندلسيون يقولون لما طحن من البر وغيره غليظا دشيش في حين أن الصواب حسب ما يراه الزبيدي جشيش بالجيم، جششت البر أجشه جشا فهو مجشوش وجشيش، والمجش رحى يجش بها البر وغيره"3

ولدراسة ظاهرة لغوية أو أي لهجة محلية اشترط عبد الجليل مرتاض عاملا الزمن والمكان، حيث يعتبرهما أداتين " أساسيتين لأية دراسة لسانية ميدانية تسعى أن تكون ذات طابع عقلي ومنهجي، وإذا كان عامل الزمن أمر مفروغا منه أي لابد من أن تكون المدونة محددة ومضبوطة في عصر معين بصرف النظر عن طوله أو قصره حسب حالات اللغات وتماشيا مع قدر معلوماتنا الأولية أو المؤكدة من عناصر هذه اللغة، فإن عامل المكان أكثر من ضرورة لأنه بدونه يصعب إن لم أقل يستحيل على أي دراسة لغوية أن تقيد وتضبط من عاملها الزمني لأن هذا الأخير لا يتقيد

[1] عبد الجليل مرتاض، تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، ص13

2 عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، ص 288

3عبد الجليل مرتاض، تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظلال فصحى، ص 14

إلا بالمكان "[1]، فعاملا الزمن والمكان مهمين في أي دراسة لغوية لهجية وخاصة في قضية التطور اللغوي .

التهجين اللغوي:

يعد التهجين اللغوي من الظواهر اللغوية القديمة الحديثة، وقد درسه العلماء قديما وحديثا بمسميات مختلفة، وفي جميع المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية، وقد عدَّ عند بعض اللسانيين ظاهرة طبيعية تقوي اللغة المحلية، ولهذا نجد من يعد "التهجين اللغوي بمعنى الإخصاب والتوليد سيرورة ملازمة لحياة المجتمعات، تلاحق التحولات وتسعى إلى التعبير عنها من خلال ابتداع الكلمات وتلقيحها وتفريغ دلالاتها وتلاوينها، وهو ما يجعل اللغة القومية تنقسم بالضرورة كما لاحظ باختين – إلى لهجات اجتماعية ورطانات مهنية ولغات للأجناس التعبيرية وطرائق كلام بحسب الأجيال"[2]، فكل جيل وله لغته وطبيعة تفكيره التي تنعكس على سلوكه ومنه إلى اللغة، وهذا شيء طبيعي فلغة العرب قبل الإسلام تختلف عن لغة الأمويين والعباسيين، وتختلف في مفرداتهما عن لغة العرب، وعن لهجات العرب تحت الحكم العثماني وتحت الاستعمار، ومن هنا حدث التهجين الذي أصبح سمة كل لغة تقاوم التغير عبر العصور.

إن أي فرد في المجتمع وحتى الكاتب والروائي مشدود "إلى تغييرات السلوكات والفضاءات والأزمنة، ويتخذ من اللغة الركن الأساس لتلمس هذه التغيرات التي تترجمها لغة الخطابات المؤطرة لثقافة المجتمع وصراعاته الاجتماعية والإيديولوجية، من ثم لا يكون خطاب الفلسفة والفكر والسياسة هو المرصد الوحيد لمتابعة تحولات المجتمع، بل إن الخطاب الأدبي هو أيضا مجال أساس لالتقاط التبادلات عبر جدلية الحوارية السارية في مجموعة مرافق العلائق البشرية، وهذا ما جعل الاهتمام النقدي يتجه إلى الفكر الروائي للغة لا بوصفها أداة تواصل فقط وإنما في وصفها تجلي وعي الروائي بتاريخ اللغة التي يستعملها واقتناصه للدلالات المتناسبة التي تتفرع عن التهجين

1 عبد الجليل مرتاض، التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، ص 134

2 محمد برادة، الرواية العربية ورهانات التجديد، ص 54

والتوليد والنحت والسخرية الباروديةّ"[1]، هذا في الجانب الأدبي الإبداعي الذي تختلف لغته عن اللغة الأكاديمية واللغة المعيارية، فالمبدع له مساحة يمكنه من خلالها استعمال مفردات وتراكيب من لغات ولهجات أخرى خارج لغته.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع ألف عبد الجليل مرتاض كتابا تحت عنوان * التهجين اللغوي في الجزائر في العهد العثماني * عالج فيه مفهوم التهجين اللغوي عن العرب والغرب، وبوادر التهجين اللغوي في الجزائر وكذا، الفرق بين التداخل اللغوي اللساني والتهجين، والتهجين اللغوي في الجزائر القديمة ثم التهجين اللغوي في العهد العثماني وقدم كنموذج تطبيقي مسلم بن عبد القادر الوهراني

عرف عبد الجليل مرتاض التهجين اللغوي بأنه "مزج تبليغٍ من متكلم إلى متلق بمفردات ومستويات لسانية تعود لأكثر من لغة واحدة، وكلما كانت هذه المفردات لا صلة لها باللغة المركزية المتمثلة في المنطوق الأدبي والموروث اللساني التاريخي كانت أكثر هجنة وأقل أصالة ونصاعة"[2]، فقد وضع أسسا لمعرفة الهجين من الأصيل إن صح هذا التعبير، وهي تتبع المفردة في المنقول الفصيح للغة الأم، وكذا البحث عنها في الموروث اللساني التاريخي وهذا عبر مراحل حياة اللغة، وقد اتبع هذا المنهج العلمي في كتابه *تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى* حيث استقصى بعض المفردات اللغوية العربية المتداولة في الأوساط العامية، ونسبها إلى أصلها اللغوي اللهجي خاصة الأندلسية والصقلية منها.

كما نجده يفرق بين التهجين الداخلي والتهجين الخارجي، حيث يعتبر كل تشوه أو لحن من اللغة الأم تهجينا داخليا، والتهجين الخارجي يكون من لغات أجنبية أخرى، أرجع سبب هجانة اللغة العربية بعد ظهور الإسلام إلى اتصال العرب المسلمين بأقوام أخرى مما "م يجعلها في منأى كلي عن بوادر تهجينية تنخر تواصلها الطبيعي المعتاد برطانات لغوية فارسية، ولاتينية ، ...

1محمد برادة، الرواية العربية ورهانات التجديد، ص 54

2عبد الجليل مرتاض، التهجين اللغوي في الجزائر في العهد العثماني ، ص7

حتى أصبح المتكلم مكشوف الهوية بمجرد نطقه أهو نبطي، خراساني، أهوازي، أو زنجي، أو سندي"[1]، وغيرها من اللغات التي أثرت وتأثرت باللغة العربية .

لم يقتصر التهجين حسب عالمنا على" عيوب الكلامية صوتية وأمراض فسيولوجية تتصل بالمفرد المتكلم أكثر مما تتصل بالخطاب اللغوي في حد ذاته، بل جعل يغزو اللغة العربية في بنيتها الداخلية غزوا خبيثا في مفرداتها، وسوابقها، ولواحقها، وأكساعها، وحولها إلى تراكيب لا شعورية يصعب عليك لحظها، وأنت تتكلم وتعبر"[2]، ويرجع كل هذا إلى الاحتكاكات والتواصلات الكثيرة الحادثة بين الشعوب والقبائل.

ففي الجزائر مثلا يعد عامل الفتوحات الإسلامية، والحملات الصليبية، والهجرة المتواصلة إليها خاصة من الأندلس وصقلية، والاستعمار الفرنسي الغاشم من أهم أسباب التهجين، وكذا ظهور طبقات اجتماعية تحاول كل طبقة التميز والانفراد بلغة معينة تخصها، ويرى عبد الجليل مرتاض أنه من هذا قد تولدت ثلاثة مستويات لغوية ظاهرة، وهي لغة خاصة بالطبقة المثقفة المتعلمة تعليما راقيا، ولغة الرسائل والدواوين والإدارة، ولغة خاصة بعامة المجتمع .

أنواع التهجين عند عبد الجليل مرتاض:

رصد عبد الجليل مرتاض مجموعة من التهجينات اللغوية، وقد قسمها إلى ثمانية تهجينات وبنى هذا التقسيم على حسب المستويات اللغوية التي أصابها التهجين، وعلى التواصلات المعتادة والمألوفة من مفردات وتراكيب مستعملة سابقا وهي عنده"[3]

1. التهجين الصوتي والفنولوجي.
2. التهجين الصرفي والنحوي.
3. التهجين المعجمي .

1 عبد الجليل مرتاض، التهجين اللغوي في الجزائر في العهد العثماني ، ص9

2 المصدر نفسه، ص 27

3 عبد الجليل مرتاض، التهجين اللغوي في الجزائر في العهد العثماني، ص 33

4. التهجين الدلالي.
5. التهجين الاشتقاقي.
6. المزج بين لغتين أو أكثر في تبليغ واحد.
7. اللامبالاة بمراعاة الحدود بين المستويات اللغوية.
8. تراكيب منكرة تتعدى الأضرب السبعة المشار إليها.

وقد وضح لنا جليا آليات تطبيق هذه التقسيمات على المدونة الكتابية والشفهية الجزائرية في كتابه* تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى*، وقدم لنا مجموعة معتبرة من الكلمات والتراكيب الهجينة وكيف وصلت إلى لغتنا العربية، أثناء الاستعمال في المجتمع الجزائري .

- **علم اللهجات الأدبي:**

علم اللهجات الأدبي هو موضوع استحدثه عبد الجليل مرتاض وأسس له، وحاول وضع اللبنة الأساسية والمرتكزات التي يقوم عليها هذا العلم، والذي يجمع بين علوم مختلفة كعلم اللغة و الأدب والأدب الشعبي والأنثروبولوجيا واللسانيات وعلم الاجتماع، ويرى أن" الزعم باستحداث علم لهجات أدبي مستقل بات أكثر من ضرورة ملحة بغية تنوير الأجيال العربية بماضي تراثها الأدبي وكنوزها اللغوية الموؤودة، لأن هذه الأشكال اللسانية العربية القديمة نجد القدماء متنازعين فيها، وكل فريق من اختصاصه يرى أنها من جنس حقله، ولذلك نجد كتب التراجم والطبقات النقدية والأدبية زاخرة بتراكيب لغوية كثيرا ما حولتها من اهتمام موضوعهم الذي رصدوا جهدهم له منذ البداية"[1]، وينسحب هذا على الكتابات الأدبية الحديثة والمعاصرة والتي تدخل في مجال وحدود هذا العلم المستحدث.

وعلم اللهجات الأدبي حسب تعريف عبد الجليل مرتاض هو "الدراسة العلمية للتكلمات الأدبية التي لا يمكن للمتكلم أن يغيرها أو يحورها وإلا فسد المعنى أو ضؤلت الدلالة وبردت"[2]،

1عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، دار هومة، الجزائر،ط1،2001،ص134

2 المصدر نفسه، ص 133

ولعله يقصد بذلك ما يكتسبه الفرد في مجتمعه من تواصلات خطابية لا يحسن السكوت إلا بها، لأنها تفي بالغرض من العملية التواصلية.

يشير عالمنا إلى أن هذا العلم الذي استحدثه هو علم متعدد المستويات، وهذا التعدد راجع لتعدد مستويات اللغة، حيث يرى أنه من المستويات الجديرة بالدراسة التطور الدلالي، إذ "كثيرا ما نحسب أن كلمات عامية أو أجنبية وهي عربية صليبة وثمت تراكيب نتداولها في خطابنا الشفوي وقد لا نجرؤ على توظيفها في إنتاجاتنا الكتابية"[1]، كوننا نظنها غير فصيحة، وقد أورد مجموعة من الأمثلة على ذلك مثل قولنا في العامية الجزائرية ' الله يخلف عليك' وهي في أصلها اللغوي الصحيح ' خلف الله عليك إذا رزئ بما عوض له فيه فقالوا خلف الله عليك أي كان الله عليك خليفة ' وهذا كثير في اللغة العربية والعاميات المنتشرة في الرقعة الجغرافية العربية، كما أن جواز التخاطب بالحن المتوارث من سامع إلى آخر من هذه المستويات الجديرة بالدراسة تحت هذا العلم، وكذا مخاطبة الناس بما يفهمون، وهذا لا يسوغ لأحد المساس بحرمة قواعد اللغة الفصيحة، وإنما هو باب من أبواب الدراسات النقدية اللسانية لما هو منجز حقا ويحتاج الدارس إلى تتبعه وفك رموز التواصل في هذه المنجزات.

لقد استحدث عالمنا هذا العلم، أو على الأقل أشار إليه من باب التنبيه ولفت النظر لأنه يعلم يقينا أن الإبداع الأدبي عبر التاريخ لم يقتصر على اللغة الراقية فحسب، بل تنوع بين اللغة الفصحى حينا والعامية المحلية واللهجة الخاصة حينا آخر، ولهذا وجب عدم إهمال هذا النوع الأخير لما فيه من جماليات الإبداع والخلق بأساليب محلية متميزة.

وقصد إتمام مشروعه العلمي ذهب عبد الجليل مرتاض إلى وضع الحدود الفاصلة بين علم اللهجات الأدبي وعلم اللهجات اللغوي، ويرى أن علم اللهجات الأدبي "وصفي يصارع من أجل هوية النص وبراءته الأدبية، ويقاوم جاهدا من أجل إخضاع بنية القواعد إلى بنيته النصية أو على الأقل يحاول أن يكون في منأى عن بنيتها المعيارية الصلبة، لتحرير المتكلم من عبوديتها"[2]،وهذه

2عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، ص 154

الوصفية التي يدعو إليها مستمدة من المفاهيم الأساسية التي جاءت بها اللسانيات الحديثة، والتي دعت إلى الانتقال من المعيارية إلى الوصفية، في دراسة المنجزات اللغوية الحية، لكن الذي نلحظه هو أن عبد الجليل مرتاض تجاوز هذا إلى الدعوة إلى كسر الحواجز في الكتابة وعدم التقيد بالتراكيب التي أجمعنا على فصاحتها، وإنما نستعمل ما يحقق لنا الهدف من العملية التواصلية الكتابية والشفهية.

أما علم اللهجات اللغوي فهو يهتم بالوقوف على "مايدور من تكلمات ونصوص وتراكيب شفوية وكتابية في حقل علم اللهجات الأدبي، ويجب أن يكون سندا له ومبررا لوجوده لا خصما مضادا له ولا يمكن لأحدهما أن يستغني كليا عن الآخر، فأحدهما يمثل المدونة بكل إشكالاتها الطبيعية وآخرهما يستحضر لوصف أو تبرير هذه المدونة، غير أنهما مع ذلك متداخلين ومتشابكان أشد ما يكون التداخل والتشابك إلى درجة أننا قد نجد أنفسنا نتحدث عن أحدهما في الوقت الذي نكون نتحدث فيه عن ثانيهما "[1]، وهذا يحتاج إلى تضافر الجهود للوصول إلى وضع الحدود الفاصلة والنهائية بين هذين العلمين، كما وضعت الحدود بين علم اللغة وعلم اللسانيات، وبين النقد اللغوي والنقد اللساني.

إن من أهم الفوارق التي تفصل بين العلمين أو الفارق الأكثر بيانا في نظر عالمنا، هو أن " علم اللهجات الأدبي لا يحفل بشرعية اللغة ودستورها المتعارف عليه، بقد ما يعبأ بعفوية المتكلم معبرا بشكل ضمني أن اللغة بنية شعرية ذات صفة اعتباطية مطلقة"[2] أساسها التواصل والتفاهم في نطاق اللهجة، وكأنه يريد الدراسة العلمية للهجات والعاميات المحلية وفق ما يتعارف عليه في تلك البيئة الجغرافية، وبعبارة أخرى يريد منا وضع مدونات مرجعية خاصة بكل لهجة وعامية يتم الرجوع إليها أثناء الدراسة والقراءة التحليل والنقد دون التقيد باللغة الفصحي .

1عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، ص155

2 المصدر نفسه، ص 155

إن هذا العلم الذي ابتكره عبد الجليل مرتاض يصلح كثيرا للدراسات اللغوية الأنتروبولوجية خاصة فيما يعرف بالفضاءات الثقافية الخاصة، والتي لا يمكن إعادة إنتاج تواصلاتها اللغوية خارج هذا الفضاء الشبه مغلق، لأن الفضاء الثقافي هو "كل فضاء تتحقق فيه وساطة ثقافية، أي يتم فيه تبادل التجارب الجمالية وتداول أشكال التعبير الشعبية التي تسمح بجعل عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية ممكنة وفعالة في المجتمعات الشفوية"[1]، فيحقق الفضاء تواصلات خاصة مختلفة عن الفضاء العام، والتي يجب دراستها دراسة علمية وفق ما يحدده هذا الفضاء.

مما سبق يمكننا القول أن عبد الجليل مرتاض من خلال هذه الدراسات العلمية اللهجية الأدبية والجغرافية قد وضع الحجر الأساس لأطلس لساني لهجي جزائري، ويتجلى هذا في كتاباته خاصة كتابه* تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، وكتابه * التهجين اللغوي في العهد العثماني*، حيث بين أهم اللهجات والكلمات التي دخلت في الاستعمال اللغوي وأصبحت من اللهجات والعاميات الجزائرية كما حدد مواضعها الجغرافية والمناطق المنتشرة فيها.

[1] حميد بوحبيب، مدخل إلى الأدب الشعبي، دار الحكمة، ط،1، الجزائر، 2009، ص 7

المبحث الرابـع: النقد اللساني التكاملي

يحق للمتتبع لمسار المناهج النقدية الحديثة وخاصة التي اعتمدت على اللسانيات أو بالأحرى التي ولدت من رحم اللسانيات وترعرع في أحضانها واتخذتها مرجعا لها في نقد وتحليل الخطاب، أن يتطلع إلى نقد لساني تكاملي بالمفهوم الذي اقترحه روجر فاولر خاصة في ظل تعدد واختلاف المناهج التي اعتمدت على اللسانيات، حيث نطمح إلى تبني هذا المنهج، وفرضه في الساحة النقدية بأدوات علمية إجرائية مميزة، ومصطلحات خاصة مبتكرة ونماذج تحليلية ستوفق إلى حد كبير في تحليل الخطابات بكل أنواعها الدينية، الأدبية، السياسية والقانونية، وهذا بالتركيز على اللغة في المقام الأول، مع مراعاة خصوصية كل خطاب.

فما الفرق بين النقد اللغوي والنقد اللساني وما هي منطلقات المنهج النقد اللساني التكاملي؟

بين النقد اللساني والنقد اللغوي:

لقد حاول علماء اللسانيات دراسة الخطاب من منطلق أن اللسانيات هي الدراسة العلمية للغة، وعليه ابتكروا مناهج لتحليل الخطاب ذات أبعاد لسانية محضة، ولكن يتبادر لنا هاهنا سؤال ما الفرق بين النقد اللساني والنقد اللغوي .

أ– النقـد اللغــوي:

يمكننا أن نقول أن النقد اللغوي هو صفة لكل "نشاط أو علم يعالج اللغة أو قضاياها في مرحلة ما قبل نشأة اللسانيات المعاصرة التي عرفت طريقها إلى النشأة والاستقلال مع مطلع هذا القرن، وهي صفة تشمل المنجز العلمي الذي أسهم به سلفنا من علماء العربية في مسيرة الفكر اللغوي"[1]، في كل المستويات وعبر كل العصور التي سبقت ظهور علم اللسانيات في العصر الحديث.

1 سعيد عبد العزيز مصلوح، في النقد اللساني، دار عالم الكتاب، القاهرة، ط1، 2004، ص228

ب- النقـد اللســانــي:

أما النقد اللساني فهو كل نشاط "بحثي معرفي ينتمي إلى المرحلة المعاصرة من الفكر اللغوي أي (اللسانيات)، بما هي علم عرف طريقه إلى الكينونة الأكاديمية مع مطلع القرن، وانشعبت مدارسه واتجاهاته على جامع يجمعها من التزام لمواصفات المنهج العلمي ومواصفاته، ولمنظومة من العقائد العلمية التي لما يرد عليها التغير والحؤول"[1]، فبهذا انتقلت الدراسات الحديثة من المفهوم العام للغة إلى المفهوم العلمي لها وهي اللسانيات، ومن هذا يمكننا القول أن النقد اللساني هو "اتجاه نقدي محدث يستعير آلياته التحليلية للنصوص من أمه الودود *اللسانيات* وما جاورها من البلاغة والأسلوبية والسيمولوجيا"[2]، فالنقد اللساني يستمد أدواته الإجرائية للتحليل من اللسانيات والعلوم المجاورة لها ويوظف "مناهج اللسانيات بأفرعها المختلفة ومصطلحاتها المتنوعة ومفاهيمها المتباينة، في حقل النقد الأدبي أي في الدراسة النقدية للخطاب إضافة إلى ذلك يوظف مفاهيم من النظرية الأدبية ولكن بعد أن تكون قد خضعت لتمحيص ومناقشة من منظور لساني"[3]، وهذا الاتجاه النقدي لا يقتصر على النصوص الأدبية فحسب بل يشمل كل أنواع الخطابات الدينية، والسياسية، والقانونية، والدبلوماسية الرسمية.

ولا يدَّعي أصحاب هذا المنهج النقدي أنه يفي بالغرض من العملية النقدية "بل يدعون صراحة إلى التحليل اللساني الذي يقارب النص، أي النص بالمفهوم الواسع للكلمة كصيغة من صيغ الخطاب ويأخذ بعين الاعتبار الأبعاد التداولية والاجتماعية والتاريخية للغة، والتي تتيح لنا وضع الخطابات الأدبية في سياقاتها التاريخية، والاجتماعية، والأيديولوجية، والتي تؤثر في عملية إنتاج الخطاب وتلقيه"[4] فالنقد اللساني بالإضافة إلى دراسته للغة الخطاب وإظهاره للجيد فيه والرديء، وتبينه لمواطن الإبداع والجمال في الخطاب، يضع النص في سياقه الاجتماعي والتاريخي

1 سعيد عبد العزيز مصلوح، في النقد اللساني، دار عالم الكتاب، القاهرة، ط1، 2004، ص230

2 حياة لصحف، مصطلحات عربية في نقد مابعد البنيوية، المجلس الاعلى للغة العربية، الجزائر، 2013، ص 38

3 روجر فاولر، النقد اللساني، تر: عفاف البطينة، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت، ط1، 2012، ص9.

4 المرجع نفسه، ص09.

والتداولي، ويدرس نفسية المتلفظ به وأديولوجيته، وهذا ما عجزت عليه مناهج ما قبل البنوية وما بعدها، فأصحاب هذا الطرح حاولوا دمج هذه المناهج كلها تحت منهج واحد وأدوات إجرائية خاصة قصد مقاربة النصوص من كل جوانبها المتعددة والمعقدة، وقد قدَّموا لذلك نماذج قصد تحليل النصوص من وجهة نظر النقد اللساني.

إن أهم ميزة للنقد اللساني التكاملي هي "القدرة على الانتقال من مستوى إلى آخر (من دون الالتزام بالوصف على المستويات كلها)، لنفترض أن ناقدا أهل نفسه لسانيا في كل من الجوانب اللغوية ووجد لنقل خاصية تركيبية لافتة في نص ما قد يكون تركيبا وترتيبا غريبا من حيث التقديم والتأخير أو تكرارا استثنائيا للصفات، فإن الناقد سيكون مؤهلا أيضا للبحث عن خصائص ذات الصلة في البنية الدلالية أو الإيقاعية لتفسيرها، وتلك القدرة على الانتقال من مستوى إلى آخر هامة، لأن الخصائص النصية التي تهم النقاد غالبا ما تلتصق بالباء على مستويات لغوية عديدة ومختلفة "[1]، هذه المستويات العديدة للغة تحتاج إلى أكثر من منهج وأكثر من وسيلة لفك رموزها ودلالاتها، لذا حاول هذا المنهج إيجاد آليات مناسبة كي تتفاعل هذه العلوم المختلفة بوسائلها المتعددة للوصول إلى فك شفرات الخطابات ولمس معانيها ودلالاتها .

وإذا سلمنا جدلا بهذا الطرح الجديد الذي جاء به النقد اللساني فيمكننا القول أن "ذروة النقد اللساني وسنامه فيما تطرحه المدارس والمذاهب اللسانية على اختلافها من تصورات وتقنيات محكمة لتحليل الكلام سواء على مستوى الجملة أو النص وسواء من حيث البنى الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، أو من حيث الوظائف الاجتماعية والاستعمالية وتعتضد اللسانيات في ذلك بعلوم السيميائية والتأويلية والمقامية"[2] ، فهذا المنهج يعمل على الربط بين النقد اللغوي والنقد الأدبي تحت مسمى واحدا.

1 روجر فاولر، النقد اللساني، ص25

2 سعيد عبد العزيز مصلوح، في النقد اللساني، ص234

مجالات النقد اللساني التكاملي:

إذا كانت المناهج النقدية قد انقسمت في مجملها إلى مناهج سياقية وأخرى نسقية، فإن النقد اللساني التكاملي هو "قراءة واحدة يمكن حصرها في الرسمية التالية -01- القراءة البنيوية -02- القراءة البنيوية التوليدية -03- القراءة الأسلوبية -04- القراءة السيميائية"[1]، بالإضافة إلى المناهج السياقية ولسانيات النص والتلقي.

كما أن بعض العلماء يرى أن تسمية كل هذه المناهج المختلفة في الأدوات والمتباينة في الاتجاهات بالنقد اللساني هو "تحايل على المنهج المركب ليتسع لها جميعا مادامت تنتمي إلى الأصل انتماء الفرع، فتتعدد أدوات القراءة بل تتجاوز فيه القراءات تبعا بالانطباع المباشر الذي يختلقه الأثر إلى الوصف إلى الاستنباط إلى التحليل إلى التركيب الذي يتخطى حدود النص كدال والتناص إلى تقاطع النصوص"[2]، هذه وجهة نظر الذين يرون صعوبة دمج كل هذه المناهج تحت منهج واحد يكون متنفسا لكثير من النقاد الذين حيرتهم الخطابات التي يستحيل قراءتها ونقدها بمنهج واحد، ذلك أن تحليل الخطاب "هو مبحث متعدد التخصصات في الأساس فهو يشمل أبحاث اللغويات والبيوطيقا والسيميوطيقا والدراسات التداولية وعلم النفس وعلم الاجتماع والأنتروبولوجيا والتاريخ والاتصال، نظرا لطبيعة الخطاب ذات الأوجه المتعددة، يجب أن تتكامل هذه الأبحاث المنتمية إلى تخصصات متعددة، ويجب أن نتوصل إلى نظريات تتسم بالتعقيد والقدرة على تفسير أبعاد الخطاب النصية والإدراكية والاجتماعية والسياسية والتاريخية والحقيقة إن مشكلة مثل العنصرية لا يمكن أن تفهم تمام الفهم على ضوء علم واحد"[3] ولا يوجد علم يستطيع جمع هذه العلوم المختلفة الاختصاصات تحت قالب واحد إلا اللسانيات، وهو ما أكده 'فان ديك' على أن مشكلة مثل 'العنصرية' مثلا لا يمكن أن تعالج بمنهج واحد، وإلا فسيكون التحليل قاصر ولا يصيب كبد الخطاب.

1 مونسي حبيب، نقد النقد، ط1، ص 140

2 المرجع نفسه، ص ن.

3 فان دايك، من نحو النص إلى تحليل الخطاب، تر: أحمد صديق الواحي، مجلة فصول، ع 77، 2010، ص45

لهذا سيجد الناقد في النقد اللساني التكاملي غايته، لأن هذا المنهج ليس له "ملامحه الثابتة إلى درجة التحجر، تلك الملامح التي تستطيع أن تقول بعد رصدها: ليست هناك أشياء أخرى ..إن المنهج التكاملي خلية حية تأخذ من الحياة كل ما يضمن لها أن تبقى بقوة، بصرف النظر عن هوية هذا الذي تأخذه، وهو منهج يؤمن أن التنوع والاختلاف عاملان مهمان في بقاء الحياة خصبة"[1] وأنَّ التحجر والتشبث بمنهج واحد أو بقراءة واحدة غير كاف ولا يحقق الهدف من عملية القراءة والنقد.

واضح من كل ما سبق أن الناقد اللساني الحديث يجب عليه أن يستعين في عمله بكل المناهج والدراسات السابقة "إذ لا يكفي منهج واحد ولا دراسة واحدة لكي ينهض بعمله على الوجه الأكمل، بل لا بد من أن يستعين بها جميعا، حتى يمكن أن يضطلع ببحث أدبي قيم ولعل في تعددها ما يشهد بأن منهجا واحدا لا يغني غناء تاما في البحوث الأدبية فلا بد أن يتحول عقل الباحث إلى ما يشبه مرآة تعكس أضواء كل تلك المناهج"[2] ولا يمكن أن يكون ذلك عشوائيا، وإنما وجب عليه أن يتخذ المنهج النقدي اللساني التكاملي بأدواته وتعدد قراءاته كمنهج للدراسة، حيث يوفر له الغطاء المناسب للدراسة بكل حرية، ويمكنه من الانتقال من مستوى إلى آخر من دون الالتزام بالوصف على كل المستويات.

1إبراهيم أحمد ملحم، النقد التكاملي استراتيجية تحليل الخطاب، عالم الكتاب الحديث، الأردن،2014،ص 28

[2]شوقي ضيف، البحث الأدبي، طبيعته، مناهجه، أصوله، ص 139، عن النقد التكاملي استراتيجية تحليل الخطاب، ص 16

الخـــاتمـــــــــــــة

لقد توصلنا في نهاية هذا البحث إلى النتائج الآتية:

- ❖ يعدّ عبد الجليل مرتاض علما من أعلام الجزائر الذين ساهموا ببحوثهم العلمية ودراساتهم النقدية في ترقية الدرس اللساني العربي تنظيرا وتطبيقا .
- ❖ خصوصية عبد الجليل مرتاض في استعمال بعض المصطلحات وتفرده بها لعدم موافقته للترجمة العربية المتداولة في الدراسات الأكاديمية نحو: السانتكس، الليكسيك.
- ❖ استعماله كلمات مركبة لبعض المصطلحات العلمية نحو: العلمغيين التي يقصد بها علماء اللغة، علمجيين التي يقصد بها علماء الاجتماع ، الفقلفي والتي يقصد بها فقيه اللغة.
- ❖ استحداثه لعلم جديد أطلق عليه مصطلح "علم اللهجات الأدبي" الذي حث على الاهتمام به كونه علم خصب ومجال رحب للدراسة اللسانية.
- ❖ خصص دراسات لما يسمى باللسانيات الإسلامية والتي تعتمد على اللغة الدينية الإسلامية والتي اقترح دراستها بمعزل عن اللغة العربية، كون الألفاظ الإسلامية لها دلالات خاصة تخرج عن الاستعمال العادي العربي.
- ❖ نسبية اللسانيات العامة في دراسة كل اللغات.
- ❖ مفهوم الأسلوبية عنده هي الدراسة العلمية الفنية الأدبية اللسانية، حيث أن المرسلة تحتاج زيادة عندما تؤدي وظيفة شعرية أو أدبية بصورة أوسع جمالية علاوة على وظيفتها التبليغية الاعتيادية.
- ❖ يرى عبد الجليل مرتاض أنه بتتبع المدارس اللسانية الحديثة يتضح أنه توجد أسلوبيات منها أسلوبية وصفية تقوم على علاقة العلة بالمعلول وهي ذات طابع دلال، وأسلوبية تكوينية تستند إلى الأسباب وإلى المؤلف والاقتراب من النقد الأدبي من جهة، وأسلوبية أشكال وتنطلق من التعبير والتلفظ، وأسلوبية كلمات بناء على المحتوى من جهة أخرى، ويرى أن

أسلوبية الأشكال وأسلوبية الكلمات لا تهتم بدراسة الكتّاب ولا العمل الأدبي بل تهتم بدراسة اللغة بذاتها.

- ❖ إذا كان القارئ المثالي عند ريفاتير يعني به مجموعة من المخبرين الذين يؤسسون وجود واقع أسلوبي فإن عبد الجليل مرتاض يخالف هذا ويفضل تسمية هذا القارئ بالإجمالي أو المركزي والأفضل نعته (بالقارئ الوسطي).
- ❖ استخلص عبد الجليل مرتاض أن الأسلوبية المقارنة لا تكون ولا ينبغيلها أن تكون إلا دياكرونية – تاريخية – خلافا للأسلوبية الموازنة التيقد يتاح لها أن تكون آنية، وبهذا التحديد العلمي والمنهجي المميز يجعل الناقد في سعة أثناء التحليل في قارن ما يقارن ويوازن بين الذي يوازن
- ❖ كما قدم عبدالجليل مرتاض مفهوم للأسلوب أكثر اتساعا حيث أنه ربطه باللغة التي هي مجموعة القواعد والقوانين الخاصة بمجموعة بشرية، والكلام هو نتاج شخصي والذي تقابله الأسلوبية من خلال دراسة الانزياحات والخروج المقصود وغير المقصود عن القواعد اللغوية والبلاغية، وهكذا اللسان الذي هو نظام بين العلامات المشتركة بين مجموعة بشرية يمكن لها أن تتخذ أسلوبا تواصليا معينا.
- ❖ إن الأسلوب من المنظور اللساني مرتبط بالكفاءة اللغوية المثلى، في حين أن الأسلوبية وثيقة الصِّلة بالأداء أو الكلام الفردي الانفعالي المباشر، وهذا التقابل شبيه بالتقابل الحاصل بين اللغة الكلام.
- ❖ التناص عند عبد الجليل مرتاض هو عمل لساني تواصلي بعدي مشوب بمستويات لسانية تفاعلية تتقاطع وتتداخل بطرائق شعورية هنا وبمناحي شعورية هناك.
- ❖ استحدث نوع جديد من التناص وهو التناص البريء، والذي يقصد به تناص المتكلم داخليا مع نفسه.

من خلال مفهوم التناص يمكننا أن نستنج أنه إذا كانت الجملة هي عبارة عن مجموعة من العلامات، فإن النص هو مجمـوعة من الأفكار بالإضافة إلى أنه مجموعة من الجمل، وكما أنه توجد جملة مركزية أساسية تتولد منها مجموعة من الجمل، فإنه يوجد نص تولد عن مجموعة نصوص، وبهذه النظرة لم يعد يُنظر إلى النص على أنه مجموعة من الجمل وإنما هو مجموعة من الأفكار المخزنة عن الحالات الاجتماعية والأحداث التاريخية والأساطير والتراث، وبهذا تصبح قراءة هذا النص قراءة لنصوص أخرى عن طريق هذا المفهوم الجديد للتناص.

- ❖ لقد أرسى عبد الجليل مرتاض قواعد الرأي القائل بأن القارئ هو أساس عملية القراءة والنقد، ذلك أن النصوص والخطابات لا قيمة لها دون قارئ يحرك شفراتها ويستخرج معانيها ويفك رموزها دون المساس ببنيتها اللغوية، إن القارئ /الناقد يجمع معارف لسانية وأخرى موسوعية، وله دراية مسبقة عن كيفية اشتغال النصوص تمكنه من قراءتها وإبداع نصوص أخرى، فنحن أمام قارئ من نوع جديد إنه القارئ المبدع .
- ❖ لقد استحدث عبد الجليل مرتاض مصطلح الكتابة في درجة الموت والذي استوحاه من الناقد الفرنسي بارت فيما يطلق عليه بالكتابة في درجة الصفر ويرى أن تمثل بارت للكتابة في درجة الصفر قاده إلى إدراك آخر ونعني بها لكتابة في درجة الموت، يؤكد أن القراءة تبدأ من درجة الصفر التي ماتت عندها هذه الكتابة.
- ❖ يقر عبد الجليل مرتاض بوجود إشكاليات عديدة فينظر للقراءة والتلقي كونها لا تصلح في عمومها لقراءة النص العربي، ولهذا نجده طرح بديلا عمليا وهو المزج بينما جاءت به هذه النظريات الغربية، وبما هو مبثوت في تراثنا النقدي العربي، خاصة في دراسات العالم الرباني عبد القاهر الجرجاني، ويرى أن الفرق بين الدراسات الغربية ونظرية الجرجاني يكمن

في أسلوب الطرح وتقنياته فقط، وليس في الطرح ذاته، ويحيلنا إلى مباحث ومواضيع ومصطلحات منها التفسير، التأويل، النسق، النظم، الجنس، الكلام، النسج، النسيج، التصور، الدليل، التخيل، المجاورة النظم، الدلالة، دلالة الدلالة، معنى المعنى، الدال، الإشارة، الإبدال، الجملة، الأسلوب، واللغة...، وغيرها من المواضيع والمصطلحات والمحاور اللسانية والعلمية والتي إن اهتممنا بها كفتنا في دراساتنا اللسانية العربية الحديثة.

- ❖ تنبني عملية تلقي النص الأدبي في فكر عبد الجليل مرتاض على ركيزتين أساسيتين هما النص باعتباره كتابة لغوية دالة في مرحلة تاريخية معينة، يراعفها السياق الثقافي والاجتماعي المؤثر في إنتاجه، وكذاب اعتباره بنية لغوية دالة في حد ذاتها يمكن لها أن تعبر عن نفسها إذا أراد القارئ عزلها عن سياقها التاريخي والاجتماعي والثقافي.

- ❖ يرى عبد الجليل مرتاض أن النص لا يتحدد مفهومه من وجهة نظر واحدة وهو بهذا يتوافق مع نظرة كبار اللسانيين وقد قدم لنا مجموعة من المقاربات للنص منها:

المقاربة الأولى: وهي الشائعة والتي ترى النص عبارة عن مجموعة منتهية من الأقوال أو الملفوظات الخطية التي تؤلف خطابا نوعيا متسقا مثل ذلك، نص مداخلات خلال جلسة في المجلس الوطني، نص الجريدة الرسمية نص حواري موجه لتعليم اللغات.

المقاربة الثانية: مقاربة لسانية وهي مجموعة منتهية أو غير منتهية من الملفوظات الخطية أو المنطوقة تكون عموما خطابا متسقا حسب المؤلفين، ومعنى النص في هذه الحالة معادل لنص المدونة أو الخطاب.

وأما المقاربة الثالثة: فهي المقاربة البنوية التي تعدّ النص مدونة مؤلفة من ملفوظات متتابعة خاضعة للتحليل على أن تكون مغلقة.

- ❖ نجد عبد الجليل مرتاض يتحدث عن وجود دال صوتي حيادي يعمل على خلق توازن بين الاعتباط الجذري والاعتباط النسبي، وكأنه يتصور وجود دلالة لجذر الكلمة لا تعطي رمزية للعلامة إلا إذا مر من الحيادية التي تعكس تصورا نفسيا لاستعمال كون أن تتتابع الأصوات نفسها لا يعني الدلالة نفسها، وهذا مفهوم لم تعرفه الدراسات اللسانية العربية من قبل.
- ❖ لقد عرّف عبد الجليل مرتاض التهجين اللغوي بأنه مزج تبليغ ٍمن متكلم إلى متلق بمفردات ومستويات لسانية تعود لأكثر من لغة واحدة، وقسم التهجين اللغوي إلى داخلي وخارجي ، وفرق بين التهجين الداخلي والتهجين الخارجي، حيث يعتبر كل تشوه أو لحن من اللغة الأم يعتبر تهجينا داخليا ، والتهجين الخارجي يكون من لغات أجنبية أخرى، وقد أرجع سبب هجانة اللغة العربية بعد ظهور الإسلام إلى اتصال العرب المسلمين بأقوام أخرى، مما لم يحمها من عواصف تهجينية تنخر تواصلها الطبيعي المعتاد وقد قسمها وفرق بينها ونسبها أي أصلها اللغوي الجغرافي الحقيقي وهذا من صلب عمل اللسانيات الحديثة .
- ❖ يمكننا القول أن عبد الجليل مرتاض من خلال هذه الدراسات العلمية اللهجية الأدبية والجغرافية قد وضع الحجر الأساس لأطلس لساني لهجي جزائري، ويتجلى هذا في كتاباته خاصة كتابه (تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى) وكتابه (التهجين اللغوي في العهد العثماني)، حيث بين أهم اللهجات والكلمات التي دخلت في الاستعمال اللغوي وأصبحت من اللهجات والعاميات الجزائرية، كما حدد مواضعها الجغرافية والمناطق المنتشرة فيها، فهذا العمل يعد لبنة أساسية يمكن أن تنجز عليها كثير من البحوث العلمية اللهجية اللسانية.

الملحق

الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض (سيرة ومسيرة)

يعتبر عبد الجليل مرتاض من الباحثين القلائل الذين جمعوا بين الكتابة العلمية والأدبية والنقدية والترجمة والإدارة والتكوين والتأطر، فهو من أعمدة اللغة العربية في الجزائر والوطن العربي، له نتاج علمي غزير ينم عن موسوعيته وثقافته العالية، وحبه للغة العربية لغة القرآن الكريم والدفاع عنها، بالاضافة إلى تقلده لعدة مناصب إدارية في أكبر الجامعات الجزائرية ومجالسها العلمية، نجده عضوا لاتحاد الكتاب الجزائريين، وعضوا للمجلس الأعلى للغة العربية، وعضوا برابطة الأدب الاسلامية العالمية، وعضوا اللجنة الوطنية لبرامج اللغة العربية .

إن المتتبع لكتابات عبد الجليل مرتاض يجد الترتيب العلمي المنهجي الهادف إلى تقريب المفاهيم وتبسيطها للقارئ، كما أننا نجده يواكب بامتياز الأحداث الثقافية والعلمية العالمية، ويسايرها بالكتابة والنقد والترجمة، كما يحاول إسقاطها على اللغة العربية لتطويرها وتجديدها والرقي بها .

أهم مؤلفات عبد الجليل مرتاض:

- كتاب *اللغة والتواصل*، عن دار هومة للنشر والتوزيع، الذي درس فيه التواصل الشفهي والكتابي، وهذا بالتركيز على أهم النظريات الغربية الحديثة والتي حاول تطبيقها على مدونات عربية قديمة .

- كتاب *الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية* عن دار هومة للنشر والتوزيع، عالج فيه البوادر الأولى للدرس اللغوي العربي الذي قسمه إلى عدة مراحل وأهمها مرحة ماقبل سنة 150هجرية ومابعدها .
- كتاب *دراسات لسانية في السامية واللهجات العربية القديمة* عن دار هومة للنشر والتوزيع، عالج هذا الكتاب التراكيب اللسانية في اللغات السامية، والعلاقات بين اللغات السامية وكذا اللهجات العربية البائدة .
- كتاب *علم اللسان الحديث في القرآن* عن دار هومة للنشر والتوزيع، تطرق عبد الجليل مرتاض في هذا الكتاب إلى مفهوم اللغة كنظام، ومفهوم اللسان ووظائف اللغة ، والبنية اللسانية و البنية اللغوية والقرآن والكلام والملفوظ.
- كتاب * تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل لفصحي* عن دار هومة للنشر والتوزيع.
- كتاب *الروابط اللغوية المغاربية القديمة* عن دار هومة للنشر والتوزيع، عالج هذا الكتاب الروابط الجيولوجية والثقافية المغاربية، وأدوات التواصل المغاربية القديمة، والروابط اللغوية الجديدة في ظل اللغة العربية .
- كتاب * الإعجاز اللغوي في اللسان العربي* عن دار هومة للنشر والتوزيع، الكتاب عبارة عن دراسة لسانية تحليلية تطبيقية على سورة الواقعة .

- كتاب *التهيئة اللغوية للنحت في العربية* عن دار هومة للنشر والتوزيع، عالج هذا الكتاب مسائل النحت بين القدماء والمحدثين .
- كتاب *التحولات الجديدة للسانيات التاريخية * عن دار هومة للنشر والتوزيع .
- كتاب * البنية اللسانية في رسالة الضب للبشبر الإبراهيمي* عن دار هومة للنشر والتوزيع، الكتاب عبارة عن تحليل بنيوي تطبيقي لرسالة الضب للبشير الإبراهيمي .
- كتاب * التحليل البنيوي للمعنى والسياق * عن دار هومة للنشر والتوزيع، بالإضافة إلى التحليل البيوي للمعنى والسياق عالج هذا الكتاب التحليل البنيوي للدلالة .
- كتاب * البنية السردية في الابداع الروائي* ديوان المطبوعات الجامعية، الكتاب هو دراسة بنيوية لرواية – لن يكون الربيع إلا أجمل- لرشيد ميمون .
- كتاب * المرفيمات الليكسيكية والنحوية * عن دار هومة للنشر والتوزيع .
- كتاب * الوظائف النحوية في مستوى النص* عن دار هومة للنشر والتوزيع، يعالج الكتاب مجمل التفاعلات بين عناصر التركيب اللغوي، كما قدم فيه عبد الجليل مرتاض مفاهيم نحوية جديدة .
- كتاب * اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي * عن دار هومة للنشر والتوزيع.
- كتاب *الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة* عن دار هومة للنشر والتوزيع.
- كتاب * التناص* ديوان المطبوعات الجامعية .

- كتاب * اللسانيات الأسلوبية * عن دار هومة للنشر والتوزيع .
- كتاب * الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي * ديوان المطبوعات الجامعية .
- كتاب * لسانيات النص التحليلية * ديوان المطبوعات الجامعية.
- كتاب * الروافد اللسانية لتحليل الخطاب * عن دار هومة للنشر والتوزيع.
- كتاب * في عالم النص والقراءة * ديوان المطبوعات الجامعية .
- كتاب * فواصل لغوية * ديوان المطبوعات الجامعية .
- كتاب *اللغة بين الوضع والاعتباط* عن دار هومة للنشر والتوزيع.
- كتاب * التهجين اللغوي في الجزائرفي العهد العثماني* عن دار هومة للنشر والتوزيع .
- كتاب * العربية بين الطبع والتطبيع* ديوان المطبوعات الجامعية .
- كتاب* بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب* دار الأشرف بيروت .
- كتاب *التحليل اللساني البنيوي للخطاب * دار الغرب وهران
- كتاب * البنية الزمنية في القص الروائي * ديوان المطبوعات الجامعية.
- كتاب * في مناهج البحث اللغوي * دار الصبة الجزائر.

القواميـــس:

- القاموس الوجيز في المصطلح اللساني –فرنسي عربي – دار هومة للنشر والتوزيع، قدم في هذا القاموس المميز مجموعة من المصطلحات اللسانية باللغة الفرنسية و مايقابلها بالعربية، وقد فاق عددها 1700 مصطلح في الأدب و اللسانيات والنقد .

الـروايـــــات:

- رواية * رفعت الجلسة * مطبعة النيل القاهرة
- رواية * دموع وشموع* دار هومة للنشر و التوزيع
- رواية * أنتم والآخرون * دار الغرب وهران
- رواية * لاحب الشمس في باريس * دار هومة للنشر و التوزيع .
- رواية * مابقي من نعومية اظافر الذاكرة * دار الغرب وهران.
- رواية * عقاب السنين * رابطة الأدب العربي الحديث .
- رواية * جزائريات * عن دار هومة للنشر والتوزيع

المقـالات:

- العولمة: قدم في هذا المقال الخطوط العريضة للنهوض باللغة العربية في ظل العولمة والتطور التكنلوجي.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفـص

قائمة المصادر والمراجع

أوّلا/ المصـــــادر

مرتاض عبد الجليل

1. ☒ الإعجاز اللغوي في اللسان العربي ، دار هومة للنشر والتوزيع ،ط1، 2018
2. ☒ البنية السردية في الإبداع الروائي، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2016
3. ☒ البنية اللسانية رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، دارهومة،الجزائر،ط1،2014.
4. ☒ التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2014
5. ☒ التحليل البنيوي للمعنى والسياق،دارهومة،الجزائر،ط2،2017
6. ☒ التناص، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط،2011
7. ☒ الروافد السانية لتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، ط1، 2016
8. ☒ اللسانيات الأسلوبية، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1،2013.
9. ☒ لسانيات النص التحليلية، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2013
10. ☒ الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 2005

11. ☒ في عالم النص والقراءة، ديواناالمطبوعاتالجامعية،الجزائر،ط2، 2011

12. ☒ اللغة بين الوضع والاعتباط، دار هومة، الجزائر،دط، 2016

13. ☒ اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، دط، 2003

14. ☒ المورفيمات اللسكسيكية والنحوية، دار هومة، الجزائر، ط1، 2019

15. ☒ الوظائف النحوية في مستوى النص، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر،دط، 2011

ثانيا/ المراجـع العربيـــــة

16. إبراهيم أنس،
دلالة الألفاظ، المكتبة الأنجلو مصرية ،مصر، ط2، 1963

17. إبراهيم محمود خليل،
☒ في النقد والنقد الألسني، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2002

18. ☒ مدخل إلى علم اللغة دار المسيرة، عمان، ط2، 2014

19. ☒ النقد الأدبي الحديث، من المحاكاة إلى التفكيك، دار الميسرة للنشر والتوزيع، ط5، عمان، ط3، 2015

.20
☒ في اللسانيات ونحو النص، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، ط3، 2015

21. أحمد ملحم إبراهيم،
حليل النص الأدبي ثلاث مداخل نقدية، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2016

22. برادة محمد،
الرواية العربية وراهنات التجديد ، مجلة دبي الثقافية ، ط1، 2011

23. بن دوخةبن الدين،
الاتساق والانسجام النصي الآليات والروابط، دار التنوير، الجزائر،ط، 2014

24. بنكراد سعيد
☒ السيميائيات والتأويل،مؤسسة تحديث الفكر العربي، الدار البيضاء، ط1، 2005

25. ☒ السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط2، 2012.

26. بودوخة مسعود،
السياق والدلالة ، دار الايام للنشر والتوزيع ، الاردن ، ط1، 2015،

27. تاورىريت بشير،
محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، دار الفجر، قسنطينة، ط1، 2016

28. الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر:
البيان والتبيين، ج01، تح: محمد عبد السلام هارون، دار الفكر سوريا،دت

29. الجرجاني عبد القاهر ،
☒ أسرار البلاغة، دار الخانجي، القاهرة، ط1، 1991
☒ دلائل الإعجاز، دارا لخانجي، القاهرة، ط5، 2004

30. جودة جاسم حميد،
جمالية العلامة الروائية، الرضوان للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014

31. حلمي خليل،
الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط2، 2011

32. خاين محمد،
☒ الإشهار وترجمة مقاربة لسانية سيميائية، منشورات مختبر اللغة العربية والاتصال جامعة وهران، 2018

33.
☒ الإشهار الدولي والترجمة إلى العربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة القطرية، ط1، 2015

34. الخطابي محمد،
لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، ط، 1991

35. داود محمد،
الصوائت والمعنى في العربية، دار غربي، القاهرة ،دط، 2001

36. دبة الطيب،
مبادئ اللسانيات البنيوية، دار القصبة للنشر، الجزائر 2001

37. درار مكي،
المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية ، دار الأديب، وهران، ط2،دت

38. رايص نور الدين،
اللسانيات المعاصرة ،عالم الكتاب الحديث، اربد ، الاردن ط 2014

39. زكريا ميشال،
الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ،المؤسسة الجامعية ،بيروت، دط، 1986

40. الزناد الأزهر،
نسيج النص، المركز الثقافي العربي ، بيروت ط1، 1993،

41. أبو زيد سامي يوسف،
النقد العربي القديم ، دار المسيرة ، عمان ، ط1، 2013

42. أبو صيني عثمان محمد احمد،
نحو النص دراسة تطبيقية في سورة النور ، عالم الكتاب الحديث ، الاردن، 2015

43. أبو العودس يوسف مسلم،
الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة عمان، ط، 2013

44. السد نور الدين،
الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، دار هومة، الجزائر، ط1، 2010

45. سرحان هيثم،
أفاق اللسانيات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011.

46. سلطاني طالب خليف،
النقد الأدبي الحديث، دار الرضوان، عمان، ط1. 2014

47. شهاب أحمد ،
تحليل الخطاب النقدي المغامر، عالم الكتب الحديث، الاردن، ط1، 2015

48. صبحي الصالح،
دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 2009

49. الصيغ عبد العزيز،
المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، دار الفكر، سوريا، 1998

50. عبابنة سامي،
اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، عالم الكتاب الحديث ، الأردن، ط2، 2010

51. عفيفي أحمد:
نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق، دط، 2001

52. عكاشة محمود،
☒ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، دار النشر للجامعات مصر، ط1، 2005
☒ لغة الخطاب السياسي، دار النشر للجامعات ، مصر، ط1، 2005
53.

54. علوي حافظ إسماعيل،
التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2 ،2014

55. عيلان عمر، في مناهج تحليل الخطاب السردي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2008

56. الغزالي عبد القادر،
اللسانيات ونظرية التواصل، دار الحوار، سوريا، ط1، 2003

57. الغول المهدي إبراهيم،
السياق وأثره في المعنى، أكاديمية الفكر الجماهير، ليبيا،ط1،2011

58. فضل صلاح،
☒ بلاغة الخطاب وعلم النص عالم المعرفة 1992

59. ☒ مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية القاهرة 1996

60. ☒ نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة،ط1، 1998

61. قطوس بسام،
استراتيجية القراءة ، التأصيلي الإجراء النقدي، مؤسسة حمادي ودار الكندي، إربد 1998

62. كريم زكي حسام الدين،
التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه ،دار غريب ،القاهرة ،2000

63. لصحف حياة
مصطلحات عربية في نقد مابعد البنيوية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2013

64. مباركي جمال،
التناص وجمالياته، رابطة الإبداع والثقافة، الجزائر 2003

65. مصلوح سعيد عبد العزيز،
في النقد اللساني، دار عالم الكتاب، القاهرة،ط1، 2004

66. معراجي عمر،
النص بين الدلالة والتداول، دار القدس العربي، ط1، 2011

67. مفتاح إبراهيم محمد عبد الله ،
التماسك النصي للاستخدام اللغوي في شعر الخنساء، عالم الكتاب الحديث، الأردن،دط، 2015

68. مفتاح محمد،
النص من القراءة إلى التنظير، عالم الكتاب الحديث الأردن، ط1، 2016

69. المهيري عبد القادر،
أهم المدارس اللسانية، الطبعة الرسمية، تونس، 1986

70. مومن أحمد،
اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت

71. مونسي حبيب،
نقد النقد، دار الأديب، وهران، ط1،2007

72. نديم نجدي،
إضاءات نيتشوية، دار الفرابي لبنان، ط2، 2013

73. وائل سيد عبد الحكيم،
تلقي البنيوية في النقد العربي، دار القلم والإيمان، مصر، دط، 2009

74. يقطين سعيد،
السرد العربي مفاهيم وتجليات، منشورات الاختلاف، ط1، 2012

ثالثا/ المراجع المترجمة

76. أوستن جون،
نظرية أفعال الكلام العامة، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدارالبيضاء، المغرب، ط1، 1991

77. بول ريكو،
☒ نظرية التأويل، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2007

78. ☒ من النص إلى الفعل ، ترج: محمد برادة وحسان بورقية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2001

79. ☒ نظرية التأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2007

80. بيار جيرو،
الأسلوبية، تر: منذر عياشي، دار الحاسوب للطباعة ط2،حلب، 1994م

81. بياجيه جان ،
البنيوية، تر: عارف منيمنة وبشير وبري ،منشورات عويدات، بيروت، ط4، 1985

82. تزفيتان تودوروف،
مقولة السرد الأدبي، تر: الحسين صحبان و فؤاد صفا ،منشورات اتحاد كتاب، المغرب، الرباط، ط1، 1992

83. جفري سامسون،
مدارس اللسانيات التسابق والتطور ،ترج: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، الرياض، دط، 1994

84. جورج مونان،
سوسور أو أصول البنيوية، ترج: جواد بنيس، الرحاب الحديث، بيروت، ط1، 2016

85. جوليا كريستيفا:
علم النص، تر: فريد الزاهي، دارتوبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2_1993

86. روبرما رتان،
مدخل لفهم اللسانيات، ترج: عبد القادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ط1، 2007

87. روجر فاولر،
النقد اللساني، تر: عفاف البطينة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،ط1،2012

88. رولان بارت،
☒ التحليل البنيوي للسرد، تر: حسين بحراوي وآخرون،منشورات اتحاد كتاب المغرب،الرباط،ط1،1992

89.
☒ درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، المغرب، ط3، 1993

90.
☒ لذة النص، تر: منذر عياشي، دار الوسيم، سوريا،ط1992،1

91. رونال بارت، جيرار جينيت،
من البنيوية إلى الشعرية، تر: غسان السيد، دار نينوي، ط1، 2001

92. زتسيسلاف واور زنياك ،
مدخل إلى علم النص ، تر: سعيد حسن بحري ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، ط1، 2003

93. ستيفن أولمن،
دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، دط، 1988

94. سلوفوني جان،
الملفوظية ،ترجمة قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دط، 1998

95. فان دايك،
علم النص، تر: سعد حسن بحري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة ، ط1، 2001

96. فرديناند دي سوسور،
دروس الألسنة العامة، تر: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، دط، 1985

97. فولفغانغ ايزر،
فعل القراءة، تر: حميد الحمداني والجلالي الكدية، مكتبة المناهل، فاس،دط،دت

98. فيكتور إيرليخ ،
الشكلانية الروسية، تر: محمد الوالي ،المركز الثقافي العربي، ط1، 2000

99. كلود جرمان، ليمون لوبلان،
علم الدلالة، تر: نور الهدى لوشن، دار الفاضل ،دمشق، دط، 1994

100. كلود ليفي شتراوس،
الأسطورة والمعنى، تر: شاكر عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، دط، 1986

101. ماري نوال غاري،
المصطلحات المفتاح في اللسانيات ، تر: عبد القادر فهيم الشيباني، دط، 2007

102. ميشال آريغيه، وآخرون،
السيميائية أصولها و قواعدها، تر: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، دط، 2002

103. ميشال فوكو،
الكلمات والأشياء ، تر: مطاع صفدي، دار الفارابي لبنان، ط2، 2013

104. نوام تشومسكي،
آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، تر: عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع،ط1،2009

105. هانس روبيرت ياوس ،
جمالية التلقي ، تر: رشيد بنحدو ، النجاح الجديد ، الدار البيضاء ، ط1 2003

106. هنريش بليت،
البلاغة والأسلوبية، تر: حمد العمري ،إفريقيا الشرق، دط، 1999

المعاجـم

107. باتريك شارودو،
معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، تونس،دط، 2002

108. فيصل الأحمر،
معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010

109. مرتاض عبد الجليل
القاموس الوجيز في المصطلح اللساني، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2001

المجـــلات:

110. جيرار جينت،
من التناص إلى الأطراس، تر: حسني مختار، مجلة علامات، ج25،ع7، المغرب، 1997
111. فان دايك،
من نحو النص الى تحليل الخطاب، تر: أحمد صديق الواحي ،مجلة فصول،ع 77، 2010

الرسائل الجامعيـة

112 رفاس سميرة،
الملامح الدلالية للتشكيلات الصوتية في المباني الإفرادية من ديوان ربيع بوشامة ، رسالة ماجستير جامعة وهران ،2003

فهرس الموضوعـــات

فهـــــرس المـــوضـــوعـــــــات

مقدمـة	أ
المـدخـــــــل: النقـــــد واللسانيـــــــات	12
الفصـل الأول: البنوية وتجلياتها في خطاب عبد الجليل مرتاض النقدي	19
البنوية وأصولها الفكرية	20
المنطلقات الفكرية للسانيات البنوية	21
المفاهيم الأساسية للسانيات البنوية:	26
مفهوم اللغة	27
مفهوم الكلام	27
مفهوم اللسان	28
العلامة اللسانية	29
اعتباطية العلامة	30
الآنية والزمنية	31
محور التعاقب و محور الاستبدال	31
البنية السطحية والبنية العميقة	34
الكفاءة والأداء اللغوي	35
تلقي البنوية عند عبد الجليل مرتاض	36
البنية اللسانيةعند عبد الجليل مرتاض	36
البنية في القرآن الكريم عند عبد الجليل مرتاض	38
روافد المفاهيم اللسانية عند عبد الجليل مرتاض	39
مستويات الاعتباط اللغوي عند عبد الجليل مرتاض	43
مفهوم اللسان عند عبد الجليل مرتاض	49
التطبيقات البنيوية عند عبد الجليل مرتاض	51
النقد التطبيقي في كتاب "البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي"	54
مفهوم المدونة عند عبد الجليل مرتاض	54

فهـــــرس المـــوضـــوعـــــــات

التحليل اللساني والسجل اللغوي	55
التحليل اللكسيكي للنصوص	61
الكلمات اللكسيكية والكلمات النحوية	65
التطبيقات البنوية في الإبداعات الروائية عند عبد الجليل مرتاض	68
الفصـل الثاني: المناهج النسقية الحداثية وما بعد الحداثة	72
الأسلـوبيــة	73
مفهـوم الأسلوبيــة	77
الأسلوبيات الفرعية	80
الأسلوبية الفونولوجية	80
الأسلوبية المقارنة	81
الأسلوبية الموازنة	82
الأسلوبية تطبيقـا	83
التنـاص	87
التناص تنظيرا وتطبيقا عند عبد الجليل مرتاض	89
مفاهيم التناص الغربية	92
التعالي النصي	92
التداخل النصي	93
التعالي النصي من نوع آخر	93
ما فوق النصية	94
الما بين نصية	94
بين اللغة موضوع واللغة الواصفة	94
جامع النـص	95
الما بعد النصية	95
مفهوم التناص عند العرب	96

فهـــــرس المـــوضـــوعـــــــات

الاقتبـاس	98
التضميـن	99
العقـد والحـل	99
التلميــح	100
التطبيقـات التناصيـة	100
السيميائيـة	104
منطلقات التحليل السيميائي للخطاب الإشهاري عند عبد جليل مرتاض	109
بين علم الدلالة وعلم السيمياء	113
الفصـل الثالث: النظريات المعاصرة في تحليل النصوص	115
القراءة والتلقي	116
العلامة اللسانية ورمزية اللغة	118
بين نسيج النص وقراءة النص	123
صناعة لذة النـص	125
الكتابـة والقـراءة	127
بين القراءة اللسانية والقراءة الأدبية	130
التلقي بين اللغـة والثقـافـة	132
علـم النــص	138
السيــاق	143
الاتساق والانسجام	146
أدوات التماسك	147
الإحـالـــة	147
الضمــائـــر	148
أسمـاء الإشـارة	148
الاستبـدال	149

فهـــــرس المـــوضـــوعـــــــات

الحـــذف	150
الوصـــل	150
الاتساق المعجمـي	151
مرتكزات تحليل النصوص عند عبد الجليل مرتاض	152
اللسانيات الجغرافية واللهجات	154
التهجين اللغوي	159
أنواع التهجين عند عبد الجليل مرتاض	161
علم اللهجات الأدبي	162
النقد اللساني التكاملي	166
بين النقد اللساني والنقد اللغوي	166
النقـد اللغـوي	166
النقـد اللسـانـي	167
مجالات النقد اللساني التكاملي	169
خاتمـــــة	172
الملحـــــق	178
قائمة المصادر والمراجع	184
فهرس الموضوعات	198

الملخص :

تطور النقد الأدبي عامة والنقد اللساني خاصة، تطورا سريعا تماشيا والإنتاج الأدبي بمختلف أجناسه، وما زاده تشعبا واختلافا تنوع المدارس اللسانية في مشارق الأرض ومغاربها، حيث عملت على تحليل النصوص والخطابات وفق مرجعياتها الفلسفية والفكرية والعلمية، كل ذلك وفق أدواتها الإجرائية الخاصة.

يتناول هذا البحث المنجز النقدي اللساني للدكتور عبد الجليل مرتاض، من خلال كتاباته العلمية والنقدية، وقد اتضح لنا جليا أن الرجل يمتلك رؤية واضحة وتصورا متكاملا حول النظريات النقدية الغربية، والتي حاول تطبقها على النصوص العربية التراثية والحديثة بأدوات إجرائية تنسجم وخصوصية هذه اللغة، مما أسهم في ترقية وتطوير اللسانيات العربية .

Summary:

The development of literary criticism in general and linguistic criticism in particular, developed rapidly in line with literary production of various races, and what made it branched and differentiated by the diversity of linguistic schools in the east and west of the earth, as I worked on analyzing texts and discourses according to their philosophical, intellectual and scientific references, all according to their own procedural tools.

This research deals with the linguistic critical achievement of Dr. Abdul-Jalil Mortad through his scientific and critical writings, and it has become clear to us that the man has a clear vision and an integrated conception of Western critical theories, which he tried to apply to traditional and modern Arabic texts with procedural tools consistent with the specificity of this language, which contributed to Promotion and development of Arabic linguistics.